المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الثلاثون
محرم ١٤٣٥ هـ
نوفمبر ٢٠١٣ م

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الثلاثون

محرم ١٤٣٥هـ

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع :٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ ـ ١٦٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أعضاء هيئة التحرير

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره, مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A ٤) .

٣- أن يكون حجم المتن (١٧ Traditional Arabic)، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً : يُعطى الباحث خمس نسخ من المجلة، وعشرين مستلة من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

الاستدلال بتفسير ابن عباس
في إعراب القرآن

د. خالد بن إبراهيم النملة
قسم النحو الصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الاستدلال بتفسير ابن عباس في إعراب القرآن

د. خالد بن إبراهيم النملة
قسم النحو الصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر الرجوع إلى الثابت من التفسير بالمأثور في صحة التقدير الإعرابي، وثمرته في الترجيح بين الأوجه الجائزة في إعراب الآية من القرآن، وذلك لأجل الوصول بالتفسير والإعراب إلى التفهم الصحيح لكلام الله تعالى، ولتجنب حمل كلام الله تعالى وتفسيره بمجرد الاحتمال الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام.

وقد اخترت تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مثالاً، لمكانته في التفسير، ولتوفر المكونات الذاتية والخارجية التي أعلت شأن ابن عباس رضي الله عنهما، وأنزلت تأويله للقرآن بأعلى المنازل.

وجاءت الدراسة في ثلاثة أقسام، هي: القسم التمهيدي، وفيه الحديث عن تفسير ابن عباس ومقومات تميّزه، والحديث عن النحويين والتفسير بالمأثور، وبعده القسم التطبيقي، وهو عماد الدراسة، وفيه دراسة لأربع عشرة مسألة، ظهر فيها الثابت من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مويّداً أحد الأوجه الإعرابية في كل مسألة منها. وفي القسم الثالث إلماحات سريعة إلى أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في التوجيه الإعرابي للقرآن.

Al-Istidlal bi Tafseer ibn Abbas fi I'rab Al-Qur'an (Guidance by the Exegesis of Ibn Abbas in the Parsing of the Qur'an)

Dr Khalid ibn Ibrahim Al-Namla

Department of Syntax, Morphology, and Philology- Faculty of Arabic Language- Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract;

This study aims at investigating the influence of reference to what is reportdly confirmed of the exegesis, in what is narrated according to the right parsing, and the influence of favoring between permitted forms of parsing the verse in the Qur'an. It also aims to arrive, through exegesis and parsing, to the right understanding of Allah's words, and avoid the understanding and exegesis of His words through the parsing probability, which might be possible through the structure of speech.

I have chosen the exegesis of Ibn Abbas as an example due to its high status in the Qur'an interpretation, and the related and unrelated components that have elevated the position of Ibn Abbas (may Allah be pleased with them), and have set his exegesis in the highest status.

The study is divided into three parts: preparatory in which there is reference to: Ibn Abbas exegesis and the features that distinguish it, grammarians and their viewpoint on report interpretation,; and lastly, the practical part, where there is a study of fourteen issues, and in which what is reportedly confirmed of Ibn Abbas exegesis seems to have supported the parsing forms in these issues. The third part makes quick references to the impact of Ibn Abbas exegesis (may Allah be pleased with him) in the parsing of the Qur'an.

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليمًا كثيرًا. أمّا بعد:

فإن العلم بكلام الله عز وجل ودراسته تفسيرًا وإعرابًا من أولى ما عُني الباحثون بمراعاته، وأفضل ما تعبت الخواطر بمعاناته، إذ فيه من أسرار المعاني ما لا ينفد، ومن جمال التركيب ما لا يُجحد.

وإن المواءمة فيه بين صحة التفسير من جهة المعنى وسلامة التقدير من جهة الإعراب هو الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة؛ للوصول بالتفسير والإعراب إلى التفهّم الصحيح لكلام الله تعالى، ولتجنّب حملِ كلام الله تعالى وتفسيره بمجرّد الاحتمال الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام.

ومن هذا المنطلق نشأت فكرة هذه الدراسة؛ لبيان حاجة من يعرب القرآن إلى الرجوع إلى الثابت من التفسير بالمأثور، ولإظهار أثر ذلك في صحة التقدير الإعرابي، وثمرته في الترجيح بين الأوجه الجائزة في إعراب الآية من القرآن.

ثمّ أصدق العزمَ على المضي في الدراسة أصالتها، وصلتُها المباشرة بكتاب الله تعالى، وما يقتضيه البحث فيها من عودةٍ إلى كتب التفسير بالماثور وكتب إعراب القرآن للمعربين الأوائل، مع طول النظر والتأمّل فيها معنًى وتركيبًا.

وقد اخترت من التفسير بالمأثور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مثالاً؛ لمكانته في التفسير، ولتوافر المكوّنات الذاتية والخارجية التي أعلت شأن ابن عباس رضي الله عنهما، وأنزلت تأويله للقرآن بأعلى المنازل.

واقتضت طبيعةُ البحث والمادةُ العلمية لهذه الدراسة أنْ تكون في ثلاثة أقسام، هي:

القسم التمهيدي، وفيه المدخل إلى الموضوع من خلال مبحثين؛ تحدثت في أوّلهما عن تفسير ابن عباس ومقومات تميّزه، وفي الآخر عن النحويين والتفسير بالمأثور.

بعده القسم التطبيقي، وهو عماد الدراسة، وفيه دراسة لأربع عشرة مسألة ظهر فيها الثابت من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مؤيّدًا أحد الأوجه الإعرابية في كل مسألة منها. وقد رتبت المسائل بحسب ترتيب آياتها في القرآن، وبدأت كل مسألة بذكر أشهر الأقوال في إعراب الشاهد منها، جاعلاً القول الذي يعضده تفسير ابن عباس رضي الله عنهما آخر الأقوال فيها؛ ليتصوّر القارئ في البداية الأقوال في المسألة تصوّرًا عامًا، قبل ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وتعضيده للرأي الأخير منها.

وفي القسم الثالث أشرت بإلماحات سريعة إلى أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في التوجيه الإعرابي للقرآن، وكان المعتمدُ عليه فيه ما جاء في مسائل القسم الثاني، وجاء الحديث فيه من جهتين؛ من جهة عناية معربي القرآن الأوائل بتفسير ابن عباس، ومن جهة الموافقة والمخالفة بين تفسير ابن عباس ومعنى الإعراب عند النحويين.

وتعمّدت لأسباب عديدة أن تكون الدراسة بأقسامها الثلاثة مركّزة ومختصرة؛ ولذلك جاء الحديث في القسم الأول موجزًا، وفي القسم الثاني سريعًا في الدخول إلى ما له صلة بالموضوع، دون تفصيلٍ في إعراب الآية، أو مناقشةٍ لأقوال العلماء فيها والترجيح بينها. وفي القسم الثالث مومئًا إلى ملامح من أثر تفسير ابن عباس في التوجيه الإعرابي للقرآن.

وقد دعت كثرةُ المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما وما اشتملت عليه من تعارض في بعض معاني الروايات عنه إلى التوثيق والتحقيق في المرويّ عنه، ولهذا لم يُستدلّ هنا إلا بما ثبتت نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح أو حسن، وكان المنهج المتّبع في ذلك هو إثبات الرواية من أشهر كتب التفسير بالمأثور، واخترت

منها تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم، ثم تخريجها بالرجوع إلى الدراسات الحديثة التي عنيت بتحقيق نسبة الرواية إليه، ورجعت في ذلك إلى الدراسات الآتية:

١. الرسائل العلمية في تحقيق المرويّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مجموعة من رسائل (الماجستير) في قسم القرآن وعلومه، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خرّج الباحثون فيها الروايات المنقولة عن ابن عباس رضي الله عنهما من الفاتحة إلى الناس.

٢. كتاب: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) للأستاذ الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين.

٣. كتاب: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، للدكتور: عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة، وأن يهيّئ لها من يسدّد ما فيها من نقص، كما أسأله أن يجعلها لي في الأولى والآخرة فخرًا وذخرًا وأجرًا. والله أعلم، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وإخوانه إلى يوم الدين.

* * *

المدخل

تفسير ابن عباس رضي الله عنهما

يُعدّ الثابتُ من تفسير الصحابي للقرآن الكريم من أبرز الطرق المعتمدة في الوصولِ إلى الفهم الصحيح للمراد من كلام الله تعالى.

وهو أحد النوعين المتفق على دخولهما ضمن مصطلح التفسير بالمأثور[1]، ذلك أنّ تفسير القرآن بالقرآن لا يدخل على الصحيح في التفسير بالمأثور؛ لأنه لا نقل فيه حتى يكون طريقُه الأثرَ[2]، وتفسير التابعي في دخوله ضمن التفسير بالمأثور خلافٌ بين العلماء[3]. فبقي تفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بقول الصحابي اتّفاقًا.

ومن العلماء[4] من يرى أنّ تفسير الصحابي الذي شهد الوحي وعاش حياة التنزيل له حكم الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد اشتهر جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفسير، ومنهم المكثر المتفرّغ لتعلّمه وتعليمه، كابن عباس وابن مسعود، ومنهم المقلّ لانشغاله عنه بصوارف أخرى، كالخلفاء الأربعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ويُعدّ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للقرآن الكريم من أوسع موارد التفسير المأثور، وأقربها للمعنى الصحيح لكلام الله تعالى؛ وذلك راجع للمكوّنات التي أحاطت بابن عباس رضي الله عنهما وبتفسيره فجعلته بأعلى المنازل في التفسير، وأدقّ المسالك في التأويل، ومن تلك المكوّنات :

1. المقوّمات الذاتية في شخصية ابن عباس رضي الله عنهما، فقد رزقه الله ذكاءً حادًا وذهنًا وقّادًا، وحافظةً قويّةً، وفهمًا ثاقبًا، فأعانته هذه الخصائص الفطرية على دقة

---

(1) من أشهر تعريفات التفسير بالمأثور أنّه: تفسير القرآن بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وله تعريفات أخرى، انظر: مناهل العرفان ٢/١٢، والتفسير بالمأثور نقد للمصطلح وتأصيل ٢.

(2) انظر: التفسير بالمأثور نقد للمصطلح وتأصيل ٢.

(3) انظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٧٣.

(4) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/١٥٧.

النظر، وعمق الفهم للمعاني، والتفريق بين المتشابهات. قال طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه[١]: "لقد أعطي ابن عباس فَهْمًا ولَقْنًا[٢] وعِلمًا". وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[٣]: "ما رأيت أحدًا أحضرَ فهمًا، ولا ألَبّ لُبًّا، ولا أكثر علمًا ولا أوسع حِلمًا من ابن عباس".

٢. تكرار دعاءِ النبي صلى الله عليه وسلم له أن يعلّمه الله الكتاب، وهذه من أعظم الخصائص التي اختص بها ابن عباس رضي الله عنهما في فهم التأويل، روى البخاري في الصحيح[٤] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ضمّني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علّمه الكتاب"، وفي رواية: "اللهم علّمه الحكمة".

وهذا الدعاء بهذه الألفاظ كان في بيت خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، لما وضع ابن عباس رضي الله عنهما الماء للنبي صلى الله عليه وسلم ليلاً ليتوضأ. ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم ثانيةً وعُمر بن الخطاب رضي الله عنه يشهد ذلك، قال ابن حجر[٥]: "كان عمر يدعو ابن عباس ويقرّبه ويقول: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يومًا، فمَسَحَ على رأسك وقال: "اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل".

وقد أخبر ابن عباس رضي الله عنهما نفسُه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له مرتين[٦].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧.

(٢) اللَّقْنُ: سرعةُ الفهم، وغلامٌ لَقِنٌ: سريعُ الفهمِ. اللسان والقاموس المحيط (لقن).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧، والبداية والنهاية ١٢/٩٢.

(٤) كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم علّمه الكتاب"، رقم الحديث (٧٥) ١/٣١، وكتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب ذكر ابن عباس، رقم الحديث (٣٧٥٦)، ٤/٢٦٢، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم الحديث (٧٢٧٠)، ٨/١٧٥.

(٥) فتح الباري ١/١٧٠.

(٦) انظر: جامع الترمذي كتاب المناقب، باب مناقب عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، رقم (٣٨٢٢) ورقم (٣٨٢٣)، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧.

وأثرُ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرٌ في لطيف فهم ابن عباس رضي الله عنهما لكلام الله تعالى، وعميق إدراكه لأبعاده وإشاراته الدلالية.

٣. المصادر التي أخذ منها العلم والتأويل، فقد كانت قرابةُ ابن عباس رضي الله عنهما من النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها مؤهلةً له للقرب من النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة الأخذ منه. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم لازم ابن عباس رضي الله عنهما كبار الصحابة وأخذ منهم الفقه والتأويل، ومن أبرزهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب رضي الله عنهم[١].

٤. علمه بالعربية ولغاتها وغريبها، وسعة اطّلاعه على كلام العرب، وقوة استحضاره لما تحويه ذاكرته من الشعر الجاهلي.

٥. اعتناؤه بتفسير القرآن تعلّمًا وتعليمًا، ومن اعتنى بشيء وأفرغ له ذهنه وبذل له وقته وجهده أوتي حكمتَه، وابن عباس رضي الله عنهما أضاف إلى المكوّنات السابقة عنايته بالتعلّم والتعليم؛ ففي التعلّم قال ابن عباس رضي الله عنهما عن نفسه[٢]: "إن كنتُ لأسال عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقال أيضًا[٣]: "لما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلتُ لرجل من الأنصار: هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجبًا لك يا بن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فترك ذلك، وأقبلتُ أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنْ كان ليبلغني الحديثُ عن الرجل فآتي بابَه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريحُ عليّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلّا أرسلت إلي فآتيك؟

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٢/١٠٠.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٤، وقال الذهبي: "إسناده صحيح"، والبداية والنهاية ١٢/٨٨.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٢-٣٤٣، والبداية والنهاية ١٢/٨٦.

فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقلَ مني ".

وفي التعليم تذكر كتب السير[١] أن ابن عباس رضي الله عنهما عاد إلى مكة بعد مقتل علي بن أبي طالب، وتفرّغ فيها للتعليم، وازدحم الناس عليه في بيته والمسجد، وأفرغ وقتَه للتفسير خاصة، وجلس للإملاء والعرض، فتخرّج في مدرسته كبار المفسرين من التابعين، ومن أبرزهم: عكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير رحمهم الله، وغيرهم.

وكان مجاهد بن جبر يسأل ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس رضي الله عنهما: اكتب، فيكتب، حتى سأله عن التفسير كلّه[٢]. وقال مجاهد[٣]: "عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أُوقِفه عند كل آية منه، وأسأله عنها".

ولهذا التوافر في المكوّنات والتكامل في المقوّمات عند ابن عباس رضي الله عنهما تتابع عليه ثناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وأقرّوا له بالفضل والتميّز، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُدخله مجلسَه مع أشياخ بدر، وهو شاب في سن أبنائهم[٤]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه[٥]: "نِعمَ ترجمانُ القرآن ابنُ عباس"، وقال أبيّ بن كعب رضي الله عنه لولده محمد[٦]: "هذا يكون حَبرَ هذه الأمة، أرى عقلاً

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١، والبداية والنهاية ١٢/٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١/٨٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/٨٥، ٣/٧٥٥، وحسّن إسناده الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره إنّه كان توّابًا﴾، رقم الحديث (٤٩٧٠)، ٦/١١٣.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧، والبداية والنهاية ١٢/٩٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١/٨٤، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٤٨.

وفهماً". وقال عبدالله بن عُمر رضي الله عنهما[1]: "ابن عباس أعلمُ الناس بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم".

وقد صرّح الزركشي[2] بأن قول ابن عباس مقدَّم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير.

النحويون والتفسير بالمأثور

صاحَبَ النحوُ في نشأته وتطوّرِه ظهورَ مدرستي التفسير بالمأثور في مكة برئاسة ابن عباس رضي الله عنهما ومن بعده من تلاميذه، وفي والكوفة برئاسة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ومن بعده من تلاميذه. وفي كنف تلك الظلال العلمية التي تدرُس كتاب الله تعالى، وتتباحث لأجل الوصول إلى الفهم الصحيح لكلامه عزّ وجلّ نهضت الدراسات النحوية، وظهرت المؤلفات في النحو عامة، وفي إعراب القرآن بصورة خاصة.

ولهذا لم يكن للنحويين الذين عُنوا بالتوجيه الإعرابي للقرآن بدٌّ من التأثر بالتفسير المأثور ومراعاته عند النظر في الأوجه الإعرابية للآية، بل والتحاكم إليه عندما يتنازع المسألةَ الواحدةَ أكثرُ من وجه إعرابي صحيحٍ من جهة الصناعة النحوية.

فالمعرب للقرآن كان آنذاك ينظر في الغالب إلى معنى الآية وما جاء في تفسيرها بعين، وينظر بالعين الأخرى إلى النظام اللغوي والقاعدة الإعرابية، ثم يختار الوجه الإعرابي الذي يكون هو والمعنى على سَمتٍ واحد، ويوافق المأثور في تفسير الآية.

والتطبيقات عند النحويين في هذا الجانب كثيرة ومتنوّعة، وفي التفصيل الآتي عرضٌ سريع لثلاثة أنواع من تلك التطبيقات، مع ذكر مثالين على كل نوع:

النوع الأول: ذكرُ التوجيه الإعرابي للآية والاحتجاج له بقول المفسرين، ومن أمثلته :

١. في بيان المعنى والتقدير الإعرابي لقول الله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ [النحل: ٦٢] ذكر سيبويه أنّ ﴿جَرَمَ﴾ عملت الرفع في ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ لأنها فعلٌ بمعنى

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٩٢/١٢.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١٨٣/٢.

(حَقّ)، والمعنى: لقد حقّ أنّ لهم النارَ، ثم قال[1]: "وقولُ المفسرين: معناها: حقًّا أنّ لهم النارَ، يدلّك أنها بمنزلة هذا الفِعل إذا مُثّلت". وقال الفراء بعدما ذكر أنّ الأصل في تركيب (لاجَرَمَ) أنّها بمنزلة (لا بُدّ)، وأنّها لما كثُر استعمال العرب إياها صارت بمنزلة حقًّا[2]: "وكذلك فسّرها المفسّرون بمعنى الحقّ". فسيبويه والفراء يحتجان بقول المفسرين في معنى ﴿جَرَمَ﴾ على توجيه إعرابها وعملها فيما بعدها.

٢. ذكر المبرّد[3] أنّ الواوَ في ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] واوُ الحال، وأنّها بمعنى (إذْ)، فقال[4]: "ومثل ذلك قوله: ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، والمعنى والله أعلم: إذ طائفة في هذه الحال، وكذلك قولُ المفسّرين".

النوع الثاني: ذكرُ قولِ المفسّرين على أنّه رأي آخر جائزٌ في التوجيه الإعرابي للآية، ومن أمثلته:

١. في إعراب قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ذهب سيبويه إلى تقدير حرف الجر، والمعنى: ولأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا، ثم ذكر قول المفسرين في أنها معطوفة على ما في أوّل السورة، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] فقال[5]: "وأما المفسّرون فقالوا: على ﴿أُوحِيَ﴾ كما كان ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] على ﴿أُوحِيَ﴾". وقال المبرّد[6]: "وكذلك قوله عند الخليل: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا

---

(١) الكتاب ١٣٨/٣، وانظر في تفسير ﴿لا جَرَمَ﴾ بمعنى حقًّا: تفسير الطبري ٣٧٣/١٢، ٢٦٢/١٤.

(٢) معاني القرآن ٨/٢، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٥/٣.

(٣) انظر: المقتضب ٦٤/٢، ٢٦٣/٣، ١٢٥/٤، والكامل ٤٢٥.

(٤) المقتضب ١٢٥/٤، وانظر في تفسير ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: تفسير القرطبي ٣٧٠/٥.

(٥) الكتاب ١٢٧/٣، وانظر في تفسير ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ على ﴿أُوحِيَ﴾: تفسير الطبري ٣٤٠/٢٣.

(٦) المقتضب ٣٤٦/٢.

مَعَ اللَّـهِ أَحَـدًا﴾، أي: ولأنّ. وأما المفسّرون فقالوا: هو على ﴿أُوحِـيَ﴾، وهذا وجهٌ حسَنٌ جميلٌ".

٢. ذكر النحاسُ رأيين في نوع ﴿إِنْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]؛ هما أنّها شرطية أو نافية، وبنى الثاني منهما على المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقال[١]: "إنْ جعلت ﴿إِنْ﴾ للشرط فـ﴿كَانَ﴾ في موضع جزم، وإن جعلتها بمعنى (ما) فلا موضع لـ﴿كَانَ﴾. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ قال: "يقول لم يكن للرحمن ولد"، قال أبو جعفر: جعل ﴿إِنْ﴾ بمعنى (ما) كما قال جل وعز: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك: ٢٠]، أي: ما الكافرون إلا في غرور".

النوع الثالث: ردّ التقدير الإعرابي لمخالفة معناه للتفسير، ومن أمثلة ذلك:

١. نقل الفراء في إعراب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] رأيَ الكسائي في إعراب ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ أنّه معطوف على الضمير الفاعل في ﴿هَادُوا﴾، على أنّ معنى ﴿هَادُوا﴾: تابوا، لا على أنّها من اليهودية، ثم ردّ قوله وما يتضمنه من تقدير إعرابي بأنه خلاف ما جاء في التفسير، فقال[٢]: "قال الكسائي: أرفعُ ﴿الصَّابِئُونَ﴾ على إتباعه الاسم الذي في ﴿هَادُوا﴾. ويجعلُه من قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، لا من اليهودية. وجاء التفسير بغير ذلك".

٢. علّق الفراء[٣] الجار والمجرور ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١-٢] بـ﴿بِعَذَابٍ﴾، على أن اللام في

---

(١) إعراب القرآن ١٢٢/٤، وانظر الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾في: تفسير الطبري ٦٥٤/٢٠.

(٢) معاني القرآن ٣١٢/١، وانظر في تفسير ﴿هَادُوا﴾ بمعنى اليهودية: تفسير الطبري ٣٢/٢.

(٣) انظر: معاني القرآن ١٨٣/٣.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ للاستحقاق، والمعنى: سأل سائل بعذاب مستحقٍ أو واجبٍ للكافرين، واقعٍ بهم. ثم جاء النحّاسُ فردّ إعرابَ الفراء، وجعل الجار والمجرور ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ متعلّقًا بـ﴿وَاقِعٍ﴾، وممّا احتج به أنّ التفسير المأثور على خلاف قول الفراء، فقال[1]: "وأهل التأويل على غير قوله، قال مجاهد: وواقعٌ في الآخرة".

الدراسة التطبيقية

في هذا القسم مسائل مختاراتٌ في إعراب القرآن، رُبط بينها وبين الثابت من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما؛ لتبيّن أثر تفسيره في تقوية أحد الآراء في التوجيه الإعرابي للآية، من خلال التوافق بين تفسير ابن عباس رضي الله عنهما والمعنى الذي يؤول إليه القول بأحد الأوجه الإعرابية في الآية.

وقد جاءت هذه التطبيقات المختارة من مواضع متفرّقةٍ من القرآن متنوّعةً في الجانب الإعرابي الذي تتناوله، ففيها إعراب الفعل المضارع، وتوجيه العطف، وبيان نوع الحرف ومعناه، وفيها إعراب المفرد والجملة وشبه الجملة، وفيها النظر في الحذف والتقدير، والتقديم والتأخير، وبيان ما يعود إليه الضمير.

١. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلبِسُواْ ٱلحَقَّ بِٱلبَٰطِلِ وَتَكتُمُواْ ٱلحَقَّ وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

أجاز عدد من النحويين ومعربي القرآن وجهين إعرابيين في قوله تعالى: ﴿وَتَكتُمُواْ﴾، هما:

الأول: النصب بـ(أن) المضمرة بعد الواو على رأي البصريين[2]، أو بالصرف على رأي الكوفيين[3].

الثاني: الجزم عطفًا على ﴿تَلبِسُواْ﴾.

---

(١) إعراب القرآن ٥/ ٢٨، وانظر قول مجاهد في: تفسير الطبري ٢٣/ ٢٤٩.

(٢) انظر: الكتاب ٣/ ٤٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢١٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢١٩.

وقد اكتفى كثيرٌ من معربي القرآن بذكر الإعرابين السابقَين دون ترجيح أحدهما على الآخر[1]، على الرغم من اختلاف المعنى بينهما.

لكن عددًا آخر منهم رجّح الجزم على النصب، على اختلاف بينهم في الاستدلال على الترجيح، فالفراء[2] بدأ بذكر الجزم عطفًا على ﴿تَلبِسُواْ﴾، أي: ولا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تكتموا الحق، واستدلّ على أنّه مستقيمٌ صوابٌ بآيات شبيهة بهذه الآية في الإعراب، كقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: ولا تُدلوا بها إلى الحكام، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، أي: ولا تخونوا أماناتكم.

وتجمُل الإشارة هنا إلى أنّ الآيتين اللتين استدلّ بهما الفراء على تقوية الجزم في ﴿وَتَكتُمُواْ﴾ مختومتان بما ختمت به الآية محل النظر، وهو قوله: ﴿وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾، ولا أحسب أن هذا جاء عند الفراء مصادفة دون قصدٍ منه في الربط بين هذه الآيات.

وفريق من المعربين[3] استدلّ على تقوية الجزم بالمعنى؛ إذ الجزم يقتضي من جهة المعنى النهي عن كل واحد من الفعلين ﴿تَلبِسُواْ﴾ و﴿وَتَكتُمُواْ﴾ دون تقييده بالمصاحبة بينهما، أما النصبُ بالحرف أو بالصرف فيقتضي النهي عن الجمع بينهما، وهذا يدل بمفهومه على جواز فعل كل واحد منهما على حِدتِه، وهذا ليس بظاهر، بلْ هو خلاف المراد، ولهذا فالوجه عندهم هو الجزم.

وتضيف الدراسة إلى ترجيح الجزم دليلاً ثالثًا، وهو موافقة المعنى على وجه الجزم للتفسير المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقد روى الطبري[4] وابن أبي حاتم[5]

---

(١) انظر: الكتاب ٣/ ٤٤، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٢٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢١٩، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٩٢، والكشاف ١/ ٢٩٥، والمحرر الوجيز ١/ ١٣٥، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٧٨، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٣.

(٢) انظر: معاني القرآن ١/ ٣٣.

(٣) انظر: المقتصد للجرجاني ٢/ ١٠٢٧، والبحر المحيط ١/ ٣٣٥، والدر المصون ١/ ٣٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١/ ٦٠٩.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٩٨.

بسنديهما الحسنين[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وما جاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم".

وفي رواية أخرى عند الطبري[2] بالسند الحسن نفسه[3] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾: "أي: ولا تكتموا الحق".

وقد تنبّه الطبري في تفسيره[4] إلى هذا الدليل من ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقد ابتدأ تفسير ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ بذكر وجهين من التأويل؛ الأول منهما: أن يكون الله تعالى نهاهم عن كتمان الحق كما نهاهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل، ويكون قوله: ﴿وتَكتُمُواْ﴾ مجزومًا بما جزم به ﴿تَلبِسُواْ﴾ عطفًا عليه.

والوجه الآخر: أن يكون النهي عن أن يلبسوا الحق بالباطل، ويكون ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ خبرًا من الله تعالى عنهم بكتمانهم الحق الذي يعلمونه، فيكون ﴿وتَكتُمُواْ﴾ منصوبًا بما يسمّيه النحويون الصرف.

ثم قال الطبري بعد هذا[5]: "فأمّا الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما فهو على مذهب ابن عباس الذي حدثنا به أبو كُرَيب، قال:...."، ثم ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما السابق بسنده من طريقين.

وهذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما يوافقه المعنى الذي ذكره النحويون في جزم ﴿تَكتُمُواْ﴾ عطفًا على ﴿تَلبِسُواْ﴾، قال سيبويه[6]: "إن شئت جعلت ﴿وتَكتُمُواْ﴾ على

(1) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ١٤٨/١، والمفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص ٢٢٧.

(2) انظر: تفسير الطبري ٦٠٨/١.

(3) انظر في تحسين السند: المفسر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص ٢٢٦.

(4) انظر: ٦٠٨/١.

(5) تفسير الطبري ٦٠٨/١.

(6) الكتاب ٤٤/٣.

النهي". وقال الفراء[1]: "إن شئت جعلت ﴿وَتَكۡتُمُواْ﴾ في موضع الجزم؛ تريد به: ولا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تكتموا الحق، فتلقي (لا) لمجيئها أول الكلام". وقال الزجاج[2]: "﴿وتكتموا﴾ يصلح أن يكون جزمًا، على معنى: ولا تكتموا الحق".

٢. قال الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]

تعدّدت أقوال معربي القرآن[3] في توجيه الجر في ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ﴾ في هذه الآية، ومن أشهر تلك الأقوال:

الأول: العطف على ﴿ٱلشَّهۡرِ﴾، والمعنى: يسألونك عن الشهرِ الحرامِ والمسجدِ الحرامِ قتالٍ فيهما[4].

الثاني: العطف على الضمير المجرور في ﴿بِهِۦ﴾، ويكون المعنى: وكفرٌ به وكفر بالمسجد الحرام[5].

الثالث: الجر بحرف جر محذوف يدل عليه ما قبله، والتقدير: وكفرٌ به وبالمسجد الحرام، ويكون مجموع الجار والمجرور في (بالمسجد) معطوفًا على الضمير المجرور في ﴿بِهِۦ﴾[6].

الرابع: الجر بالواو على أنها حرف قسم[7].

الخامس: العطف على ﴿سَبِيلِ﴾، والمعنى: وصدٌّ عن سبيل الله وعن المسجدِ الحرام.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣٣/١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٤/١، وانظر: المقتصد للجرجاني ١٠٢٧/٢، والبحر المحيط ٣٣٥/١، والدر المصون ٣٢١/١.

(٣) انظر الأقوال مجملة في: البحر المحيط ١٥٥/٢، والدر المصون ٣٩٣/٢.

(٤) هذا رأي الفراء في معاني القرآن ١٤١/١.

(٥) اختاره أبو حيان والسمين الحلبي، انظر: البحر المحيط ١٥٥/٢، والدر المصون ٣٩٣/٢.

(٦) هذا رأي ابن هشام في المغني ٥٥/٦.

(٧) ذكره ابن عصفور في شرح الجمل ٢٤٨/١.

وإلى هذا القول الأخير ذهب كثيرٌ[1] من النحويين، ومن هؤلاء مَن[2] استدل على التعاطف بين كلمتي ﴿الْمَسْجِدِ﴾ و﴿سَبِيلِ﴾ بموضعين من القرآن مساقهما قريبٌ من مساق هذه الآية، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥] ممّا يدلّ عنده على صحة التعاطف بين الكلمتين في الآية محل النظر.

وتضيف الدراسة دليلاً آخر يتقوّى به القول بعطف ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على﴿سَبِيلِ﴾، وهو أن معنى هذا الوجه الإعرابي موافقٌ لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما للآية، فقد روى الطبري[3] وابن أبي حاتم[4] بسنديهما الحسنين[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: "وصدٌّ عن المسجد الحرام".

وهذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما هو المتّفِق بلفظه مع قول مَن عطف ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على﴿سَبِيلِ﴾، قال الأخفش[6]: "وقال: ﴿وكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ على: وصدٌ عن المسجد الحرام، وقال الزمخشري[7]: "صدُّهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرُهم بالله وإخراجُ أهله..."، وقال أبو البركات الأنباري[8]: "أي صدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام".

---

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش ١/١٨٤، وتفسير غريب القرآن ٨٢، وتفسير الطبري ٣/٦٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ١/٣٠٨، ومشكل إعراب القرآن ١/١٢٨، والكشاف ١/٤٢٥، والمحرر الوجيز ١/٥٢٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/١٥٢.

(٢) انظر: الحجة للفارسي ٣/١٢٨، ١٢٩، وكشف المشكلات ١/١٥٨، ١٥٩، والتبيان في إعراب القرآن ١/١٧٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/٦٥٧.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢/٣٨٦.

(٥) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ١/٣٢٨.

(٦) معاني القرآن للأخفش ١/١٨٤.

(٧) الكشاف ١/٤٢٥.

(٨) البيان في غريب إعراب القرآن ١/١٥٢.

وبهذا يتقوّى بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما عطف ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على ﴿سَبِيلِ﴾.

وإنّ من تمام القولِ الإشارةَ إلى أنه يُشكل على هذا الإعراب بهذا المعنى إشكالٌ في الصناعة النحوية ذكره بعض المعربين[1]، وهو أنه يقتضي الفصل بالأجنبي وهو ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بين المصدر وهو ﴿صَدٌّ﴾ وما هو من تمام صلته وهو ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهذا الفصل لايجوز.

وقد تنبّه الأصفهاني ـ وهو من القائلين بهذا الإعراب الذي يعضده تفسيرُ ابن عباس رضي الله عنهما ـ إلى هذا الإشكال، وأوضح الإجابة عنه فقال[2]: "فإن قيل: فأنتم إذا حملتم قوله: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ على قوله: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كان التقدير: وصدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، فيكون في صلة الصدّ؛ لأنّ المعطوف على الصلة في الصلة. فلا يجوز الفصل بين ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وبين ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ حينئذٍ بقوله: ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾؛ لأنّه هو مصدر معطوف على الصد، والموصول لا يعطف عليه إلا بعد تمامه، قلنا: نضمر له ما يتعلّق به لجَرْيِ ذكره، فكأنّه قال: وصدوكم عن المسجد الحرام".

ولعل مما يمكن أن يجاب به عن الإشكال الحملَ على التقديم والتأخير بين ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ و﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيكون تقدير الكلام: وكفرٌ بالله وصدٌّ عن سبيلِ اللهِ وعن المسجد الحرام وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله، ويُقدّم الكفر بالله على الصد عن سبيله. وبهذا الحمل يستقيم المعنى والتقدير الإعرابي. والله أعلم.

٣. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]

ذكر بعض معربي القرآن[3] رأيين في التوجيه الإعرابي لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، هما:

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن ١٧٥، والبحر المحيط ٢/١٥٥، والدر المصون ٢/٣٩٣، والمغني ٦/٥٤.

(٢) كشف المشكلات ١/١٦٠، ١٦١، وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١/١٥٢.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٢١٩، والبحر المحيط ٢/٤٩٧، والدرّ المصون ٣/٢١٣.

الوجه الأول: أنّ الكلام على حاله، من غير تقديم وتأخير بين التوفي والرفع. وبهذا الوجه لا يكون التوفي بمعنى الموت، وإنما يكون بأكثر من معنى، منها استيفاء الأجل أي إتمامه وإكماله، وهذا في المستقبل، أي سيكتب لك إتمام الأجل، ومنها النوم كالذي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ومنها تأخير الأجل، ومنها العصمة من القتل، ومنها الأخذ والقبض تامًّا، كما يقال: توفيت مالي من فلانٍ أي أخذته وقبضته تامًّا، ومنها غير ذلك.

وجعل السمين الحلبي[١] هذا الوجه أظهر الوجهين.

واستدل بعض من ذكر هذا الوجه[٢] بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

الوجه الثاني: أنّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وأنّ المعنى: إني رافعك إليّ ومتوفّيك. وبهذا الوجه يكون التوفّي بمعنى الموت الحقيقي؛ وذلك لأنّ الواو لمطلق الجمع دون الدلالة على ترتيب؛ ولأنّ الأمّة مجمعة على أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء، وأنه فيها حيٌّ، وأنّه ينزل في آخر الزمان، ثم يُتوفّى بعد ذلك[٣].

وقد بدأ عدد من المعربين[٤] بذكر هذا الوجه الثاني دون أن يستدلوا له بدليل، وذكروا الوجهَ الأولَ بصيغ يُفهم منها أنهم لا يختارونه، كقول الفراء[٥]: "وقد يكون الكلام غيرَ مقدّم ولا مؤخّر"، وقول الزجاج[٦]: "وقال بعضهم:..."، وقول أبي البركات الأنباري[٧]: "وقيل: معنى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضك ورافعك إليّ".

---

(١) انظر: الدرّ المصون ٣/٢١٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤/١٠٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٢٠، وزاد المسير ١/٣٤٧.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢/٢٣٧، والبحر المحيط ٢/٤٩٧، والدرّ المصون ٣/٢١٣.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٢١٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٢٠، وكشف المشكلات ٢٣٤، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٠٦، والتبيان في إعراب القرآن ٢٦٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ١/٢١٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٢٠.

(٧) البيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٠٦.

وتضيف الدراسة لهذا الوجه الثاني دليلاً من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يتقوّى به القول الثاني، وهو القول بالتقديم والتأخير، فقد روى البخاري في صحيحه[1] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: مُمِيتُكَ".

كما روى الطبري[2] وابن أبي حاتم[3] بسند صحيح[4] أو حسَن[5] أنّ ابن عباس رضي الله عنهما فسّر التوفّي بالموت، فقال: "﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يقول: إنّي مُميتُكَ".

وفي رواية ذكرها السيوطي[6] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾: "يعني: رافعُك ثمّ متوفّيك في آخر الزمان".

فتفسير ابن عباس رضي الله عنهما للتوفّي في الآية بالإماتة وهي الوفاة الحقيقية يقوّي القول بأن المعنى: إني رافعك إلي ثم مميتك، أي على التقديم والتأخير في الآية. وهذا هو ظاهر المعنى في التوفّي، وهو الأكثر في القرآن.

٤. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩].

ذكر عددٌ من معربي القرآن[7] أنّ ﴿النِّسَاءَ﴾ في الآية منصوب على المفعول به للفعل ﴿تَرِثُوا﴾، وأنّ توجيه النصب يحتمل أحد وجهين من جهة المعنى، ومن جهة الإعراب،

(١) كتاب التفسير، سورة المائدة، في نص ترجمة الباب رقم (١٣) ٥/٢٢٧.

(٢) تفسير الطبري ٥/٤٥٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٤/٦٦١.

(٤) انظر في تصحيح السند: المفسر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص ٥٩٣.

(٥) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ١/٤١٩، وتفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ١٦٩.

(٦) انظر: الدر المنثور ٣/٥٩٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٦/٥٢١-٥٢٢، ٥٢٥-٥٢٦، وإعراب القرآن للنحاس ١/٤٤٣، والتبيان في إعراب القرآن ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٢/٤٩٨-٤٩٩، والبحر المحيط ٣/٢١١، ٢١٢، والدر المصون ٣/٦٢٧.

وذكر بعضهم مع كل وجه إعرابي روايةً عن ابن عباس رضي الله عنهما تعضد الرأيَ وتفسّر معناه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الوجه الأول: أن ﴿النِّسَاءَ﴾ مفعول به مباشرة للفعل ﴿تَرِثُوا﴾ من غير تقدير حذف مضاف، فيكنّ هن الموروثات بعد وفاة أزواجهن، ويكون الخطاب في هذا لأولياء الميت وأقاربه، والمعنى: لا يحل لكم أن ترثوا من المتوفّى نساءَه كما ترثون أمواله.

وقد أوضح الطبري ـ وهو ممّن اختار هذا الوجه ـ معنى كون النساء موروثات فقال[1]: "فإن قال قائل: كيف كانوا يرثونهنّ؟ وما وجه تحريم وراثتهنّ وقد علمتَ أنّ النساء مورَّثاتٌ كما الرجال مورَّثون؟ قيل: إن ذلك ليس من معنى وراثتهنّ إذا هنّ متن فتركن مالاً، وإنما ذلك أنهنّ في الجاهلية كانت إحداهنّ إذا مات زوجها كان ابنُه أو قريبُه أولى بها من غيره، ومنها بنفسها، إنْ شاء نكحها وإنْ شاء عَضَلَها فمنعها من غيره ولم يتزوجْها حتى تموت، فحرّم الله ذلك على عباده".

الوجه الثاني: أن ﴿النِّسَاءَ﴾ مفعول به على تقدير حذف مضاف، والتقدير: لا يحل لكم أن ترثوا أموالَ النساء، أو تركاتِ النساء، فيكون الموروث على هذا التقدير هو الأموال وليس النساءَ أنفسَهن، ويكون الخطاب في هذا للأزواج.

قال السمين الحلبي وقد بدا بذكر هذا الوجه[2]: "و﴿النِّسَاءَ﴾ مفعول به؛ إما على حذف مضاف، أي: أن ترثوا أموال النساء، إنْ كان الخطاب للأزواج؛ لأنّه رُوي أنّ الرجل منهم إذا لم يكن له غرض في المرأة أمسكها حتى تموت فيرثها، أو تفتدي منه بمالها إن لم تمت".

وأدخل ابن عطية[3] في هذا الوجه صورًا أخرى من النهي عن إرث أموال النساء، يختلف فيها المخاطب في الآية، لكنّها لا تخرج من جهة الإعراب من التقدير المذكور،

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٥٢١، واختار الطبري هذا الوجه في ٦/ ٥٢٧.

(٢) الدر المصون ٣/ ٦٢٧.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٨–٤٩٩، ونقله أبو حيان في البحر المحيط ٣/ ٢١١.

ومن ذلك: إمساك الآباء بناتِهم دون تزويج حتى يمتن فيرثوا أموالهن، والخطاب في هذا للآباء، أو من كان في حجره يتيمةٌ، لها مالٌ، فيكره أن يزوجَها غيرَه طمعًا في مالها، فيتزوجُها كرهًا لأجل ذلك، والخطاب فيه لأولياء اليتامى.

وقد أورد الطبري[1] بعدما ذكر الوجه الأول ما يؤيد ذاك التأويلَ والإعرابَ من التفسير المأثور، ومن أصحّ ما أورده روايةٌ في صحيح البخاري[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته، إنْ شاء بعضهم تزوّجها، وإنْ شاؤوا زوَّجوها، وإنْ شاؤوا لم يزوِّجوها، فهم أحقّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك".

فقول ابن عباس رضي الله عنهما: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته" يقوّي نصبَ ﴿النِّسَاءَ﴾ على المفعول به، بإيقاع الفعل عليه مباشرة. ويكون معنى الآية النهي عن أن يرثوا النساءَ من أزواجهنّ بعد وفاتهم كما يورث المالُ بعد وفاة صاحبه.

ثمّ ذكر الطبري[3] الوجه الثاني في تأويل الآية، ونقل أقوال القائلين به، ومن ذلك ما رواه بسنده الحسن[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمُه ثوبَه، فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوّجها، وإن كانت دميمة حبَسَها حتى تموتَ فيرثَها".

والذي يظهر بعد النظر في الروايتين اللتين نقلهما الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه لا تعارض بينهما، بل الثانية منهما تؤكد معنى الأولى وإعرابَ ﴿النِّسَاءَ﴾ فيها، وتضيف إليها معنًى زائدًا غيرَ مخالف للمعنى الأول، وذلك أنّ قولَ ابن عباس رضي الله

(١) انظر: تفسير الطبري ٦/ ٥٢١.

(٢) كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾، الحديث رقم (٤٥٧٩)، ٥/ ٢١١، وكتاب الإكراه، الباب رقم (٥): باب من الإكراه كره وكره واحد، الحديث رقم (٦٩٤٨)، ٨/ ٧٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٦/ ٥٢٦. ورواه بالسند نفسه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٠٢.

(٤) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٢/ ٢٠، وتحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص٢٠٥.

عنهما في الوجه الثاني: "كان الرجل إذا مات وترك جاريةً ألقى عليها حميمُه ثوبَه، فمنعها من الناس" موافقٌ للمعنى في الوجه الأول، وهو قوله: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته"، وفيه زيادةُ بيانٍ لطريقة إرث ولي الميتِ أو حميمِه المرأةَ بوضع ثوبه عليها، ومنعِها من الناس. وقولَه في الوجه الثاني: "فإن كانت جميلة تزوّجها، وإن كانت دميمة حبَسَها حتى تموتَ" قريبٌ جدًا من معنى قوله في الوجه الأول: "إنْ شاء بعضهم تزوّجها، وإنْ شاؤوا زوَّجوها، وإنْ شاؤوا لم يزوِّجوها".

والذي زاد في قول ابن عباس رضي الله عنهما في الوجه الثاني هو النص على الإرث منها، وذلك قوله في آخره: "فيرثَها"، وهذا هو المعنى الإضافي في هذا القول، وهو المعنى الذي التفت إليه الطبري فيما يبدو، وساق الرواية من أجله.

وهذا المعنى غير مُعارِض للمعنى العام في الوجه الأول، بل هو متمّمٌ له، وهو نتيجة إرثه المرأةَ نفسَها؛ بأنْ يُتبع ذلك إرثَه أموالَها بعد موتها، بعدما ورثها هي بعد موت والده أو قريبه، فهو يرثُ المرأةَ نفسَها أي يتملّكها بعد وفاة زوجها، ثم يرثُ أموالها بعد وفاتها.

وبهذا يمكن القول: إن الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما تؤولان بتكاملهما إلى تقوية الوجه الأول وهو نصب ﴿النِّسَاءَ﴾ على أنه مفعول به دون تقدير مضاف محذوف.

ويعضُد هذا فيما يظهر أمران:

أولهما: أن الطبري[1] أورد من بين الأقوال في الوجه الأول قولاً آخر مسندًا إلى ابن عباس رضي الله عنهما غيرَ الذي في البخاري، وهذا القول لا يكاد يختلف عن قول ابن عباس رضي الله عنهما في الوجه الثاني، وهو قوله رضي الله عنه في تفسير الآية: "كان الرجلُ إذا مات أبوه أو حميمُه فهو أحقّ بامرأته، إنْ شاء أمسَكها، أو يحبسُها حتى تفتديَ منه بصداقها، أو تموتَ فيذهَبَ بمالِها". وبموازنة هذا القول مع قوله السابق في الوجه الثاني: "كان الرجلُ إذا مات وترك جاريةً ألقى عليها حميمُه ثوبَه، فمنعها من الناس، فإن كانت جميلةً تزوّجها، وإن كانت دميمةً حبَسَها حتى تموتَ فيرثَها" يتبيّن أن

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٦/ ٥٢٣.

المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما في الوجه الثاني يؤول إلى الوجه الأول، وإن جعل الطبري رحمه الله أقواله مفرقةً بين الوجهين.

والآخر: ما أورده الفراء والزجاج في بيان معنى الآية، لما جمع كل واحد منهما المعنيين اللذين تضمنتهما الروايتان عن ابن عباس رضي الله عنهما في صياغة واحدة، دون ذكر للتقدير الإعرابي، فالفراء قال[١]: "كان الرجل إذا مات عن امراته وله ولد من غيرها وَثَبَ الولدُ فألقى ثوبَه عليها فتزوّجَها بغير مهر إلا المهر الأول، ثم أضرَّ بها ليرثَها ما وَرِثَت من أبيه فأنزل الله تبارك وتعالى..."، وقال الزجاج[٢]: "معناه: تُكرهوهن على التزويج بكم، وهذه نزلت لأنهم كانوا إذا مات زوجُ المرأة وله ولدٌ من غيرها ضَرَبَ ابنُه عليها حجابًا، وقال: أنا أحقُّ بها، فتزوّجَها على العقد الذي كان عَقَدَه أبوه من تزوُّجها ليرثها ما ورثت من أبيه، فأعلَمَ الله عزّ وجلّ أنّ ذلك حرام".

وعلى التسليم بعدم صحة الجمع بين روايتي ابن عباس رضي الله عنهما في الوجهين تتقوّى الرواية في الوجه الأول؛ لأنّها في الصحيح، على الرواية الحسَنة في الوجه الثاني، وبهذا التقوّي يترجّح إعراب ﴿النِّسَاءَ﴾ مفعولاً به دون تقدير مضاف محذوف.

٥. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]

تنظُر هذه المسألة في توجيه الرفع في ألفاظٍ من هذه الآية، وهي: كلمة ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ الأولى وما عطف عليها، وكلمة ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ في الموضع الثاني، وكلمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ وما عطف عليها، وكلمة ﴿فَصِيَامُ﴾.

والقول في توجيه واحدة منها يصدق على بقية الكلمات في الآية ،كما سيأتي في نهاية المسألة.

---

(١) معاني القرآن ١/٢٥٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٣٠.

وقد أجاز بعض معربي القرآن[1] في رفع كلمة ﴿تَحْرِيرُ﴾ الأولى ثلاثة أوجه، هي:

الوجه الأول: أنها فاعل لفعل محذوف، تقديره: فيجب عليه تحريرُ رقبة.

الوجه الثاني: أنّها خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: فالواجب أو فكفّارته تحرير رقبة.

الوجه الثالث: أنّها مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: فعليه تحرير رقبة مؤمنة.

وهذا الوجه الأخير هو الذي عليه أكثر المعربين[2]، قال الفراء[3]: "وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ مرفوع على قولك: فعليه تحريرُ رقبة".

وتضيف الدراسة دليلاً يعضد هذا الرأي، وهو موافقته لأقوال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية؛ فقد أخرج الطبري[4] بسنده الحسن[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ الأولى: "يعني بالمؤمنة من عقل الإيمان وصام وصلّى، فإن لم يجد رقبة فصيام شهرين متتابعين، وعليه دية مسلّمة إلى أهله إلا أنْ يُتَصَدّقَ بها عليه". والشاهد في هذه الرواية قوله: "وعليه دية مسلّمة إلى أهله"؛ إذ جاء التصريح بتقدير الخبر للمبتدأ ﴿دِيَةٌ﴾.

وأخرج أيضًا[6] بسنده الحسن[7] عنه رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: "فإن كان في أهل الحرب وهو مؤمن، فقتَله خطأً، فعلى قاتله أن يكفّر بتحرير رقبة مؤمنة..". والشاهد فيها قوله: "فعلى قاتله أن يكفّر بتحرير رقبة مؤمنة".

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن ٣٨٠/١، والدر المصون ٤ /٧١.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٨٢/١، وللأخفش ٢٦٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٨٠/١، ومشكل إعراب القرآن ٢٠٥/١-٢٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٦٤.

(٣) معاني القرآن ٢٨٢/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٧ /٣١٢.

(٥) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٢ /٩٠، وتحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص ٣٥٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري ٧ /٣١٧.

(٧) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٢ /٩٠، وتحقيق المرويّ عن عبدالله بن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص ٣٥٦.

وأخرج أيضًا[1] بسنده الحسن[2] عنه رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: "يقول: إذا كان كافرًا في ذمّتكم فقُتِل فعلى قاتله الديةُ مسلّمةً إلى أهله، وتحريرُ رقبة مؤمنة، أو صيامُ شهرين متتابعين". والشاهد فيها قوله: "فعلى قاتله الديةُ".

فابن عباس رضي الله عنهما فسّر المعنى في هذه الروايات بما يوافق تقدير الإعراب الذي عليه أكثر المعربين، مما يجعل الرواية عنه مقوّيةً لهذا الوجه من الإعراب.

والقول في التقدير الإعرابي لقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ يصدق كما ظهر من الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما على بقية الكلمات الثلاث المماثلة لها في الآية، وهي كلمة ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ الثانية، وكلمة ﴿فَدِيَةٌ﴾، وكلمة ﴿فَصِيَامُ﴾.

وبهذا فسر المعنى بعض أهل التفسير، وبه قدر الإعرابَ بعض المعربين:

فأما المفسرون فمنهم الطبري، الذي قال في تفسير﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الأولى[3]: "يقول: فعَليه تحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ من ماله". وقال في تفسير ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الثانية[4]: "فإذا قَتَل المسلمُ خطأً رجلاً من عِداد المشركين، والمقتولُ مؤمنٌ، والقاتل يحسبُ أنّه على كُفره، فعَليه تحرير رقبة مؤمنة". وقال في تفسير ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾[5]: "يقول: فعَلى قاتله ديةٌ مسلّمة إلى أهله، يتحمّلها عاقلته".

وأما المعربون فمنهم الأخفش، الذي قال[6]: "وقال: ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، وقال: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أيْ: فعَليه ذلك". ومنهم النحاس، الذي قال في إعراب﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الأولى[7]: "أي: فعَليه تحريرُ رقبة"، وقال في إعراب ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣١٨.

(٢) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٢/ ٩٠، وتحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص ٣٥٦.

(٣) تفسير الطبري ٧/ ٣٠٥.

(٤) السابق ٧/ ٣١٤.

(٥) السابق ٧/ ٣١٨.

(٦) معاني القرآن ١/ ٢٦٤.

(٧) إعراب القرآن ١/ ٤٨٠.

الثانية[1]: "أي: فعَلى القاتل تحريرُ رقبة"، وقال في إعراب ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾[2]: "أي: فعَليه صيامُ شهرين متتابعين".

٦. قال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠]

اشتهر بين معربي القرآن[3] وجهان من الإعراب في توجيه النصب في ﴿فَرِيقًا﴾ الأولى و﴿فَرِيقًا﴾ الثانية في الآية، هما:

الوجه الأول: أنّ ﴿فَرِيقًا﴾ الأولى مفعول به مقدَم للفعل ﴿هَدَى﴾، و﴿فَرِيقًا﴾ الثانية مفعول به لفعل محذوف يفسّره الفعل في ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ بعده، والتقدير: كما بدأكم تعودون، هدى فريقًا، وأضَلّ فريقًا حقّ عليهم الضلالة.

وذهب إلى هذا الوجه سيبويه[4] وأبو عبيدة[5] والزجاج[6] والنحاس[7]،واختاره الطبري[8].

ومن المعربين[9] من أضاف إلى هذا الوجه الإشارةَ إلى إعراب الجملتين الفعليتين: (هدى فريقًا وأضلّ فريقًا)، فذكر أنّهما إما في محل النصب على الحال من فاعل ﴿بَدَأَكُمْ﴾ وهو الله تعالى، على تقدير (قد)، والتقدير: كما بدأكم اللهُ هاديًا فريقًا ومُضِلاً فريقًا آخر

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق ٤٨١/١. وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢٦٤.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٣٧٦/١، وإيضاح الوقف والابتداء ٦٥٣-٦٥٤، ومشكل إعراب القرآن ٣١١/١، وأمالي ابن الشجري ٨٦/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٩٥، والتبيان في إعراب القرآن ٥٦٣-٥٦٤، والبحر المحيط ٢٩٠/٤، والدر المصون ٥/ ٢٩٩-٣٠٠.

(٤) انظر: الكتاب ٨٩/١.

(٥) انظر: مجاز القرآن ٢١٣/١.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٣١/٢.

(٧) انظر: إعراب القرآن ١٢٢/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١٤٨/١٠.

(٩) انظر: الدر المصون ٥/ ٣٠٠.

تعودون، وعلى هذا يكون الوقف على ﴿الضَّلَالَةُ﴾، وإما أنهما جملتان مستأنفتان، ويكون الوقف على ﴿تَعُودُونَ﴾.

الوجه الثاني: أنّ ﴿فَرِيقًا﴾ الأولى منصوبة على الحال من فاعل ﴿تَعُودُونَ﴾، و﴿فَرِيقًا﴾ الثانية معطوفة عليها، والتقدير: كما بدأ الله تعالى خلقكم تعودون فريقًا مهدِيًّا وفريقًا حاقًّا عليه الضلالة، وتكون الجملتان الفعليتان ﴿هَدَى﴾ و﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ في محل النصب على النعت لـ﴿فَرِيقًا﴾ و﴿فَرِيقًا﴾، مع تقدير الرابط في جملة النعت الأولى، والتقدير: فريقًا هداه، أو هداهم، و(هداهم) أولى لمناسبتها للثانية: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾، ويكون على هذا الوجه الوقفُ على ﴿الضَّلَالَةُ﴾.

وهذا الرأي منسوب للكسائي والفراء[1] وابن الأنباري[2]، وهو اختيار الفراء فيما يظهر من كلامه في الآية؛ لأنه بدأ به فقال[3]: "ونُصب الفريق بـ﴿تَعُودُونَ﴾"، وأيّده بقراءة أبي بن كعب: ﴿تعودون فريقين فريقًا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة﴾، ثم ذكر الوجه الآخر ثانيًا بصيغة يُفهم منها التضعيف له فقال: "وقد يكون الفريق منصوبًا بوقوع ﴿هَدَى﴾ عليه"[4].

وتضيف الدراسة دليلاً يعضد هذا الرأي، وهو موافقته للمنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية؛ فقد أخرج الطبري[5] بسند صحيح[6] أو حسن[7] عن ابن عباس

---

(١) انظر: إعراب القرآن ٢/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ٩/ ١٩٠.

(٢) انظر: الدر المصون ٥/ ٣٠٠. وفي كلام ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٦٥٣-٦٥٤ ما قد يُفهم منه أنّه يختاره.

(٣) معاني القرآن ٣٧٦/١، وانظر: مشكل إعراب القرآن ٢٨٧/١-٢٨٨.

(٤) نسب السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٣٠٠) إلى الفراء أنه ذهب إلى الوجه الأول، وأظن السمين نظر إلى كلام الفراء عن الآية في هذا الموضع وفي مواضع أخرى من كتابه؛ لأنّ الفراء مثّل بهذه الآية على النصب على الاشتغال في أربعة مواضع من المعاني (١/ ٢٤٠، ٢/ ١٨، ١٣٢، ٢١٤)، ولكنّ ذكره لها في تلك المواضع لا يخرج فيما يظهر عن كونه يجيز فيها الوجه الأول، وكلامه هنا يُفهم أنّه يجيز الوجهين، ويميل إلى الوجه الثاني.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٤٢/١٠.

(٦) انظر في تصحيح السند: المفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الأعراف والأنفال والتوبة، ص ١٢٤.

(٧) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٢/ ٣١٠، وتفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ٤١٩.

رضي الله عنهما أنه قال في تفسيرها: "قال: إن الله سبحانه بدأ خلق ابنِ آدم مؤمنًا وكافرًا، كما قال جل ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم، مؤمنًا وكافرًا".

فقوله: "ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم، مؤمنًا وكافرًا" يوافق في معناه التقدير الإعرابي في الوجه الثاني، وهو: كما بدأ خلقَكم تعودون فريقًا مهدِيًا وفريقًا حاقًّا عليه الضلالة.

٧. قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]

ذكر عددٌ من معربي القرآن[1] عدةَ أقوال في نوع ﴿ما﴾ وإعرابها في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، ومِن أشهر تلك الأقوال ما يأتي:

القول الأول: أنها مصدرية ظرفية، في محل النصب بالفعل ﴿يُضَاعَفُ﴾، والمعنى: يضاعفُ لهم العذاب في النار مدةَ كونهم يستطيعون السمع، ومدةَ كونهم يبصرون. وهذا يعني دوام مضاعفة العذاب لهم.

القول الثاني: أنّها مصدرية منصوبة المحل بإسقاط حرف الجر، والجارُ والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُضَاعَفُ﴾، والتقدير: يضاعفُ لهم العذاب بكونهم يستطيعون السمع وكونهم يبصرون ولا ينتفعون بذلك.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٨، و تفسير الطبري ١٢/٣٧٠-٣٧٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦، ومشكل إعراب القرآن ١/٣٥٧، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/١٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٦٩٣، والبحر المحيط ٥/٢١٣، والدر المصون ٦/٣٠٢، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٢٠-٢٢.

وهذا الرأي منسوب للفراء[1]، وهو المرجّح عنده[2] فيما يظهر؛ وذلك أنّه جعله أحدّ الوجهين الجائزين، وابتدأ به نقلاً عن المفسّرين، واستدلّ على أنّ حرف الجر مقدّر في الآية بظهوره في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]. وبظهور حرف الجر مرّةً في نحو قول الله تعالى: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦، ٩٧، والزمر: ٣٥]. وتقديره مرّةً في نحو قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]. وبأنه يقال في الكلام: لأجزينّك بما عملتَ، ولأجزينّك ما عملتَ. ثم ذكر الرأي الآخر وهو الرأي الرابع هنا بصيغة (ويقال) مما يُفهم منه أنّه يرجح ما ابتدأ به.

ورَدّ هذا الرأيَ أبو حيان بقوله[3]: "وهذا فيه بُعدٌ في اللفظ وفي المعنى".

الوجه الثالث: أنها موصولة منصوبة المحل بإسقاط حرف الجر أيضًا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُضَاعَفُ﴾، والتقدير: يضاعف لهم العذاب بالذي كانوا يستطيعون السمع والذي كانوا يبصرون من غير أن ينتفعوا بذلك. وفي هذا الرأي قال السمين الحلبي[4]: "وفيه بُعْدٌ لأنَّ حذفَ الحرفِ لا يَطَّرد".

وعلى الآراء الثلاثة السابقة لا يحسن الوقف على ﴿الْعَذَابُ﴾. ﴿مَا كَانُوا﴾.

الوجه الرابع: أنّها نافية، وأنّ المعنى: لم يكونوا في الدنيا يستطيعون أن يسمعوا الحقَ سماعَ انتفاعٍ، ولم يكونوا يبصرونه إبصارَ المهتدي إليه، وإنْ كانوا ذوي أسماع وأبصار محسوسة؛ وذلك بسبب الختم الذي ختم الله به على قلوبهم وأسماعهم،

---

(١) انظر: البحر المحيط ٥/ ٢١٣، والدر المصون ٦/ ٣٠٢، ونسبه الطبري في تفسيره ١٢/ ٣٧٢ لبعض أهل العربية، ويقصد به الفراء؛ لأنه نقل كلامه في الآية وما استدلّ به.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٨.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢١٣.

(٤) الدر المصون ٦/ ٣٠٢.

والغشاوة التي جعلها على أبصارهم، فحال بذلك بينهم وبين طاعته، جزاءَ مبادرتهم بالكفر وانشغالِهم به وإنكارِ الحق باختيارهم ومشيئتهم(١).

وعلى هذا الرأي يحسن الوقف على ﴿الْعَذَابُ﴾، والابتداء بالنفي:

والقول الأخير أجازه عددٌ من معربي القرآن(٢)، واقتصر الزجاج(٣) على ذكر معناه فقال: "أيْ: من شِدّة كفرهم وعداوتهم للنبي لا يستطيعون أن يسمعوا ما يقول"، واختاره الطبري(٤).

وهو الرأي الذي يعضده تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرج الطبري(٥) بسنده الحسن(٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾: "أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة؛ أمّا في الدنيا فإنّه قال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾، وهي طاعته ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، وأما في الآخرة ، فإنه قال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]".

وواضحٌ من قول ابن عباس رضي الله عنهما أنه يذهب إلى أنّ ﴿ما﴾ في الآية نافية، وأنهم لم يكونوا في الدنيا يستطيعون السمع ولم يكونوا يبصرون بسبب ما حال الله به بينهم وبين طاعته.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٧٠/١٢-٣٧٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢، والبحر المحيط ٢١٣/٥، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٠/٣-٢٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٨/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ١٠/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٦٩٣/٢، والبحر المحيط ٢١٣/٥، والدر المصون ٣٠٢/٦.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤٥/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣٧٢/١٢.

(٥) السابق ٣٧١/١٢.

(٦) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤٩/٣، وتحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ٥٥٧.

٨. قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]

تعدّدت آراء معربي القرآن في نوع ﴿إنْ﴾ في الآية، وفي معنى الجملة بعدها، وأشهر ما قيل فيها[١] مايأتي:

الرأي الأول: أنها نافية، واللام التي في ﴿لِتَزُولَ﴾ لام الجحود، والمعنى: وما كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال، أي إنّ مكرهم لم تكن لتزول منه معالم النبوّة وشرائع الدين التي كالجبال في ثباتها وقوّتها، وهذا يعني التحقير والتقليل من مكرهم مهما بلغت قوته وعظمت أدواته.

وإلى هذا المعنى والإعراب في الآية ذهب جمهور المعربين[٢].

واستدلّ الفراء[٣] على معنى النفي في الآية بقراءة عبدالله بن مسعود: ﴿وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

ويجدر التنبيه هنا إلى أنّ الطبري[٤] روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية: "يقول: ما كان مكرُهم لِتزولَ منه الجبال". لكنّ هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ضعيفة[٥]، لا تنهض لتكون حجّةً لهذا القول.

---

(١) انظر: اللامات للزجاجي ١٦٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٧٧٤، والبحر المحيط ٥/٤٢٦، والدر المصون ٧/١٢٦، والمغني ٣/١٦٦.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٧٩، ومجاز القرآن ١/٣٤٥، وتفسير الطبري ١٣/٧٢٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/١٦٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧٢، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ١/٣٣٧، والحجة للفارسي ٥/٣١، ومشكل إعراب القرآن ١/٤٠٧، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي ٢/٢٨، وكشف المشكلات ٦٥١، والمحرر الوجيز ٤/١١٣، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٦١.

(٣) انظر: معاني القرآن ٢/٧٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٣/٧٢٥.

(٥) انظر في تضعيف الرواية: تحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ١٤٥٢.

وقـد تتـابع علـى تـضعيف هـذا الـرأي عـددٌ مـن العلمـاء، فـضعّفه الزجـاجي[1] بـأنّ لام الجحود لا تكون بعد المنفي بـ (إنْ)، وإنمّا تكون بعد (ما) أو (لم).

لكن هذا التضعيف مـدفوعٌ عنـد المرادي بـأنّ تقييـد دخـول الـلام بعـد (ما) أو (لـم) دون (إنْ) محلُّ خلاف بين أهل العربية، قـال المـرادي فـي لام الجحـود[2]: "قيـل: ولا يكـون قبلهـا مـن حـروف النفـي إلا (مـا) و(لـم) دون غيرهمـا، قلـت: الظاهر مـساواة (إنْ) النافيـة لهمـا فـي ذلك"، ثم ذكر الآية محلّ النظر هذه.

ثمّ ضعّفه أبـو حيـان بمعارضته ما في القـراءات الأخـرى من معنى تعظيم مكرهم، فقال[3]: "لكنّ هذا التأويل ومـا روي عـن ابـن مـسعود مـن قـراءة ﴿وَمَا﴾ بـالنفي يعـارضُ مـا تقـدّم مـن القـراءات؛ لأنّ فيهـا تعظـيمَ مكـرهم، وفـي هـذا تحقيـره". ويقـصد أبـو حيـان بالقراءات ما ذكره من قراءة الكسائي[4]: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بفـتح اللام الأولى في ﴿لتَزُول﴾ وضم الثانيـة، والقـراءة المنسوبة إلى عمر بن الخطاب وعلي بـن أبي طالـب وابـن عبـاس وابـن مـسعود وأبيّ بـن كعـب رضي الله عـنهم وغيـرهم[5]: ﴿وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

وضعّفه بعدهما ابنُ هشام[6] من جهـة صناعية ومعنويـة أخـرى، هي اخـتلاف فـاعلي ﴿كَانَ﴾ الناقصة و﴿تَزُولَ﴾.

الرأي الثاني: أنّها مخفّفة من الثقيلة، واللام التي في ﴿لِتَزُولَ﴾ لام (كَيْ)، والمعنى: وإنّـه كان مكرهم معدًّا ليُزيلوا به ما هو كالجبال في الثبات والقوة، لكنّ هذا المكر باطل.

وإلى هذا المعنى والإعراب ذهب الزجاجي[1].

---

(1) انظر: اللامات للزجاجي ١٦٠.

(2) الجنى الداني ١١٦، وانظر: توضيح المقاصد ٤/ ١٢٤٤.

(3) البحر المحيط ٥/ ٤٢٦.

(4) انظر: السبعة ٣٦٣، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣١.

(5) انظر: المحتسب ١/ ٣٦٥.

(6) انظر: المغني ٣/ ١٦٦.

الرأي الثالث: أنّها شرطية، واللام التي في ﴿لِتَزُولَ﴾ لام (كَيْ)، والمعنى: ومكرُ الله أعظمُ من مكرهم، وإنْ كان مكرُهم عظيمًا معدًّا ليزيلوا به ما هو كالجبال في الثبات والقوة، وهذا يعني التعظيم والتهويل من مكرهم، وهو كما يقول المرء: أنا أسرع من فلان، وإن كان آيةً في السرعة لا يُشقُّ له غبار.

وإلى هذا المعنى والإعراب ذهب الزمخشري وابن هشام. قال الزمخشري[٢]: "﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾: وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فضُرِب زوالُ الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته، أي: وإنْ كان مكرُهم مسوى لإزالة الجبال، مُعدًّا لذلك".

وقال ابن هشام بعدما ذكر ضعفَ الرأي الأول[٣]: "والذي يظهر لي أنّها لام (كَيْ) وأنّ ﴿إنْ﴾ شرطية، أي: وعند الله جزاء مكرهم، وهو مكرٌ أعظم منه، وإن كان مكرهم لشدّته مُعدًّا لأجل زوال الأمور العظام المشبّهة في عظمها بالجبال، كما تقول: أنا أشجع من فلان وإن كان معدًّا للنوازل".

وتتلمّس الدراسة هنا دليلاً من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يتقوّى به معنى الشرط في الآية، وأنّ المراد تعظيم مكرهم، فقد روى الطبري[٤] بسند حسن[٥] أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ يقول: شِركُهم، كقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]". فالتنظير في قول ابن عباس رضي الله عنهما بالآية في سورة مريم يقوّي معنى التعظيمِ لمكرهم والتهويلِ من شأنه، وهو

(١) انظر: اللامات للزجاجي ١٦٠.

(٢) الكشاف ٣/٣٩٢. ونقل أبو حيان في البحر المحيط ٥/٤٢٦، والسمينُ الحلبي في الدر المصون ٧/١٢٦، عبارتَه وعبارةَ ابن عطية في تفسير الآية في المحرر الوجيز ٤/١١٣، وحملاهما على معنى المخفّفة من الثقيلة، والظاهر أن عبارتيهما أقرب إلى معنى الشرط منهما إلى معنى المخفّفة.

(٣) المغني ٣/١٦٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٣/٧٢٥.

(٥) انظر في تحسين السند: تحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ١٤٥٢.

المعنى الموافق للقول بأن ﴿إِنْ﴾ في الآية شرطية. وهو فيما يبدو الموافق لظاهر معنى الآية، المتناسب مع مساقها.

٩. قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦].

ذكر عدد من معربي القرآن[١] ثلاثة أوجه في نصب ﴿مَلِيًّا﴾، هي:

الوجه الأول: النصب على الظرفية الزمانية، والمعنى: واهجرني زمنًا طويلاً، و﴿مَلِيًّا﴾ من الملاوَة ـ مثلثة الميم ـ وهي الدهر الطويل، والملَوان: الليلُ والنهار.

ونُسب هذا القول للكسائي[٢]، وإليه ذهب الفراء، وابن قتيبة[٣]، وغيرهما[٤]. قال الفراء[٥]: "وقوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: طويلاً، يقال: كنت عنده مَلْوَةً ومُلْوَةً ومِلْوَةً ومُلاوَةً من دهرٍ، وهُذيل تقول: مِلاوَة، وبعض العرب: مَلاوَةً. وكلّه من الطول".

الوجه الثاني: النصب على النعت لمصدر محذوف، أي: واهجرني هَجْراً مَلِيًّا، يعني: واسعًا متطاولاً كتطاول الزمان الممتد.

الوجه الثالث: النصب على الحال من فاعل ﴿اهْجُرْنِي﴾، وهو إبراهيم عليه السلام، والمعنى: واهجرني حال كونك سالماً سويًّا قبل أن يصيبَك مني عقوبة، أو يمسَّك مني أذى. من قول الناس: فلان مَلِيٌّ بهذا الأمر: إذا كان مضطَلِعًا به غنيًّا منه.

واختار هذا الرأيَ الطبري، وقوّاه بالجملة السابقة في الآية. فقال[٦]: "قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية عندي قولُ من قال: معنى ذلك: واهجرني سويًا سِلماً من

---

(١) انظر: الكشاف ٤/٢٥، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٨٧٦، والبحر المحيط ٦/١٨٣–١٨٤، والدر المصون ٧/٦٠٦ ، وتفسير القرطبي ١٤/٤٥٨.

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/٣٣٥، وتفسير القرطبي ١٤/٤٥٨.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن ٢٧٤.

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٦/٣٨، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٨٧٦.

(٥) معاني القرآن ٢/١٦٧.

(٦) تفسير الطبري ١٥/٥٥٥.

عقوبتي؛ لأنه عقيب قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، وذلك وعيد منه له إنْ لم ينتهِ عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيىء، والذي هو أولى بأن يُتبِع ذلك التقدّمُ إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هَجره فلا وجهَ له".

وهذا الرأي القائل بالنصب على الحال يتقوّى بموافقة معناه لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى الطبري[1] بسنده الحسن[2] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: "يقول: اجتنبني سَوِيًّا".

وهذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما يوافق في لفظه ومعناه من ينصب ﴿مَلِيًّا﴾ على الحال من إبراهيم عليه السلام.

١٠. قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧١-٧٢].

تنظر هذه المسألة في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ من جهة أنّ الفعل ﴿رَدِفَ﴾ فعلٌ متعدٍّ بنفسه بمعنى تَبِعَ ولَحِقَ، فكيف دخلت اللام في ﴿لَكُم﴾ على المفعول به؟

وقد ذكر بعض معربي القرآن في توجيه ذلك عدة آراء[3]، وصلت عند بعضهم إلى ستة آراء[4]، من أبرزها ما يأتي:

الرأي الأول: أنّ ﴿رَدِفَ﴾ متعدٍّ لمفعول محذوف، واللام التي في ﴿لَكُم﴾ لام التعليل، والمعنى: رَدِف بعضُ الذي تستعجلون الخلقَ لأجلكم ولشؤمكم. قال أبو حيان[5]: "وهذا ضعيف"، ولم يبيّن وجه الضعف، وأظنه بسبب بعده عن المعنى الظاهر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥/٥٥٤.

(٢) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٣/٣٤٠، وتحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ٢١٠٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٨/١١٤، والكشاف ٢/٥٥٨، ٤/٤٧٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٠١٣، والجنى الداني ١٠٧.

(٤) انظر: البحر المحيط ٧/٩٠، والدر المصون ٨/٦٣٩.

(٥) البحر المحيط ٧/٩٠.

الرأي الثاني: أنّ فاعل ﴿رَدِفَ﴾ ضمير يعود إلى ﴿الْوَعْدُ﴾، وبه تتمّ الجملة، وأنّ ﴿لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾، جملة جديدة مكوّنة من الخبر المقدّم ﴿لَكُم﴾ والمبتدأ المؤخر ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾. قال أبو حيان[1]: "وهذا فيه تفكيك للكلام، وخروج عن الظاهر لغير حاجة تدعو إلى ذلك".

الرأي الثالث: أنّ اللام في ﴿لَكُم﴾ زائدة، والمعنى: قل: عسى أن يكون ردفَكم بعضُ الذي تستعجلون. وإلى هذا الرأي ذهب أكثر المعربين[2].

الرأي الرابع: أنَّ الفعل ﴿رَدِفَ﴾ ضُمِّن معنى فِعْلٍ يتعدّى باللامِ، أي: دنا أو قَرُب أو أزِفَ لكم بعض الذي تستعجلون.

وهذا الرأي هو المرجّح عند الفراء فيما يظهر من كلامه؛ لأنّه ذكر في تفسير الآية هذا الرأيَ والرأيَ الثالث مبتدئًا بهذا الرأي ومستشهدًا له ببيت من الشعر، فقال[3]: "﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ جاء في التفسير: دنا لكم بعضُ الذي تستعجلون، فكأنّ اللامَ دخلت إذْ كان المعنى: دنا، كما قال الشاعر:

فقلتُ لها الحاجاتُ يَطْرَحْنَ بالفتى وهَمٌّ تَعَنّاني مُعَنًّى ركائبُه

فأدخل الباء في (الفتى)؛ لأنّ معنى (يطرحن): يرمين، وأنت تقول: رميت بالشيء وطرحته". ثم قال: "وتكون اللام داخلةً، والمعنى: رَدِفَكم، كما قال بعضُ العرب: نقدتُ لها مئة، وهو يريد: نقدتها مئة"[4].

---

(١) السابق نفسه.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش ٤٦٧/٢، وتفسير غريب القرآن ٣٢٦، والمقتضب ٣٦/٢، والكامل للمبرد ٤٠٥/١، ١٠٠٠/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٨/٤، واللامات للزجاجي ١٤٧، ومجالس العلماء له ٨٣، وأماليه ٢٣٥، ومشكل إعراب القرآن ٥٢٩/٢، والمفصل ٢٩١، وشرح الكافية للرضي ق٢: ٨٦٣/٢، ٨٩٢، ٩٦٧، ٩٦٨، ١١٧٠، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٧/٢، ورصف المباني ٢٤٦.

(٣) معاني القرآن ٢٩٩/٢.

(٤) ذكر الطبري في تفسيره (١١٤/١٨) هذا القول منسوبًا لبعض نحويي الكوفة، ويقصد به الفراء؛ لأنه نقل كلامه هذا وبيتَ الشعر الذي استشهد به، ونسبه للفراء صراحةً القرطبيُ في تفسيره ٢٠٣/١٦. وهذا يقوّي أنّ الفراء يرجّح هذا الرأي، وإن كان الفراء قد ذكر في ثلاثة مواضع من المعاني (٢٢٢/١، ٧٨/٢،

واختار هذا الرأي الطبريُ[1]،وجعله السمينُ الحلبي[2] أظهرَ الأقوالِ الستة التي ذكرها، واختاره أيضًا ابنُ هشام[3]، وجعله مثلَ قول الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

وهذا الرأي الأخير تعضُده الدراسةُ بدليل يتقوّي به، وهو موافقته لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرج البخاري في صحيحه[4]، والطبري[5] بسنده الحسن[6] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: "يقول: اقترب لكم".

فهذا التفسير منه رضي الله عنه يتفّق من جهة المعنى مع رأي مَن يذهب إلى القول بالتضمين.

١١. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]

أجاز بعض معربي القرآن[7] في جملة ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وجهين من الإعراب:

أحدهما: أنّ ﴿الْعَمَلُ﴾ معطوف على ﴿الْكَلِمُ﴾ عطفَ مفرد على مفرد، وبه تتم الجملة، والمعنى: إليه يصعد الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ، ثم يُبتدأ بالفعل ﴿يَرْفَعُهُ﴾ على الاستئناف، وفاعله الله تعالى، والتقدير: يرفعهما الله، ثم ذكر من أجاز هذا الوجه أنّه وُحّد

٢١٨/٢) هذه الآية مثالاً على زيادة حرف الجر، ولكنّ ذكرَه لها في تلك المواضع لا يخرج فيما يظهر عن كونه يجيز فيها الرأي الثالث، وكلامه هنا يُفهم أنّه يجيز الوجهين، ويميل إلى الوجه الرابع.

(١) انظر:تفسير الطبري ١١٤/١٨.

(٢) انظر: الدر المصون ٨/ ٦٣٩.

(٣) انظر: المغني ٣/ ١٨٤.

(٤) كتاب التفسير، في ترجمة سورة النمل، ٦/ ٢٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١١٣/١٨.

(٦) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/ ٣٤، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة طه إلى آخر سورة العنكبوت، ص ٥٧٧.

(٧) انظر: البحر المحيط ٧/ ٢٩٠، والدر المصون ٩/ ٢١٧.

الضمير في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ وإن كان المراد الكلمَ والعملَ ذهابًا بالضمير مذهب اسم الإشارة في نحو قوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أو لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود.

الوجه الآخر: أنّ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ جملةٌ اسميةٌ مكوّنةٌ من المبتدأ وهو﴿الْعَمَلُ﴾، والخبر وهو جملة ﴿يَرْفَعُهُ﴾. وهذا الوجه هو المشهور، وهو ما عليه الكثرة الغالبة من المعربين، لكنهم اختلفوا في مرجع الضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ على ثلاثة آراء(١)، هي على النحو الآتي:

الرأي الأول: أنّه يرجع إلى الله تعالى، والمعنى: والعمل الصالح يرفعه الله تعالى إليه. ورجّح هذا الرأي ابن عطية(٢).

الرأي الثاني: أنه يرجع إلى ﴿الْكَلِمُ﴾، والمعنى: والعمل الصالح يرفعه الكلمُ الطيب. وأجاز هذا الرأيَ ابنُ عطية(٣) على تأويل ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله؛ لأنه لا يُرفَع عملٌ إلا بتوحيد. واعترض بعضُ المعربين(٤) هذا الرأيَ بأنّه لو كان هذا المعنى مرادًا لكان الأرجحُ نصبَ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾؛ لأنّ جملة الاشتغال هذه معطوفة على جملة فعلية، وهي ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ﴾.

الرأي الثالث: أنّه يرجع إلى ﴿الْعَمَلُ﴾، والهاء في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ عائدة إلى ﴿الْكَلِمُ﴾، والمعنى: والعملُ الصالحُ يرفعُ الكلمَ الطيبَ، وعلى هذا الرأي أكثر المعربين(٥)، قال الفراء(٦):"وقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أي: يرفع الكلمَ الطيّب، يقول: يُتقبّل الكلامُ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٦٥، وكشف المشكلات ١١٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٧٣، والبحر المحيط ٧/ ٢٩٠، والدر المصون ٩/ ٢١٧.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٧/ ٢٠٦.

(٣) السابق نفسه.

(٤) انظر: كشف المشكلات ١١٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، و تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٦٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٤، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٩٤، وكشف المشكلات ١١٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٧٣.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٦٧.

الطيّب إذا كان معه عملٌ صالحٌ". وقال الزجاج[1]: "المعنى فيه ههنا: العملُ الصالحُ هو الذي يرفع ذكرَ التوحيد حتى يكون مُثبِّتًا للمُوَحِّدِ حقيقةَ التوحيد".

وهذا الرأي يعضده تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى الطبري[2] بسند صحيح[3]، أو حسن[4] أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: "قَالَ: الكلامُ الطَّيِّبُ ذِكرُ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ أداءُ فَرَائضِه؛ فَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ سُبْحانه فِي أداءِ فَرَائضِه حمَلَ عَملُه ذِكْرَ اللَّهِ فَصَعدَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يُؤدِّ فَرائضَه رُدَّ كَلَامُه عَلَى عَمَلِه، فَكَان أولَى به".

وهذا التأويل من ابن عباس رضي الله عنهما ظاهر في أنّ العمل الصالح هو الذي يحمل ذكرَ الله تعالى، فيصعد به إلى الله تعالى، وهو ما عليه أكثر المعربين.

بقيت هنا الإشارة إلى أن السمين الحلبي[5] أجاز في هذا الرأي الثالث أن تعود الهاء في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ إلى صاحب العمل الصالح، والمعنى: والعملُ الصالحُ يرفعُ صاحبَه.

وفي هذا الرأي فيما يظهر بُعدٌ؛ لعدم ورود ذكرٍ لصاحب العمل يدل على إعادة الضمير إليه، ولأنّ في هذا التقدير غرابةً ولَبساً في الفهم.

١٢. قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

الجار والمجرور في الآية ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منصوبٌ على الحالية، وأجاز بعض معربي القرآن[6] في صاحب الحال وجهين، هما:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٣٣٩.
(٣) انظر في تصحيح السند: تحقيق المرويّ عن ابن عباس من سورة الروم إلى سورة الشورى، ص ٢٨٣.
(٤) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/ ١٦٧.
(٥) انظر: الدر المصون ٩/ ٢١٨.
(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٧–١٤٨، والكشاف ٥/ ٤٨٧، والمحرر الوجيز ٧/ ٦٠٠، والبحر المحيط ٨/ ٤٩، والدر المصون ٩/ ٦٥٢.

الوجه الأول: أن يكون حالاً من الضمير المفعول في ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾، والمعنى: وأضلّ اللهُ الكافرَ عالماً بضلاله، جاحداً معانداً، وهذا كقول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

الوجه الثاني: أن يكون حالاً من الفاعل في ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾، والمعنى: وأضلّه الله على علم من الله بضلاله.

وذهب إلى هذا الرأي ثعلب والطبري والزجاج، قال ثعلب[١]: "أي: فأضلّه الله على علمٍ من الله"، وقال الطبري[٢]: "يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه، على علمٍ منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كلُّ آية"، وقال الزجاج[٣]: "أي: على ما سبق في علمه قبل أنْ يخلُقَه أنّه ضال".

ويتقوى هذا الرأي بموافقته لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى الطبري[٤] وابن أبي حاتم[٥] بسند حسن[٦] أنّه رضي الله عنه قال في تفسير الآية : "﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ يقول: أضلّه في سابق علمه".

فقوله رضي الله عنه: "أضلّه في سابق علمِه" يُقوّي معنى القول بأن صاحب الحال هو الله تعالى، أي: أضلّه الله تعالى على علمٍ من الله تعالى في سابق علمه أنّه ضال لا ينتفع بهدًى.

١٣. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ [الأحقاف: ٢٦].

---

(١) مجالس ثعلب ٥٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٩٣/٢١، وانظر: ١٩٨/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٣٣/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩٤/٢١.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢٧٠٠/٨، ٣٢٩١/١٠.

(٦) انظر في تحسين السند عندهما: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٣٢٥/٤، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، ص ١٧٩.

تعدّدت في كتب إعراب القرآن الأقوال في معنى الحرف ﴿إنْ﴾ في الآية، وذلك على التفصيل الآتي:

الأول: منهم من نقل القول بأنها زائدة، وأن المعنى: ولقد مكنّاهم في الذي مكنّاكم فيه، أي إنّ الله تعالى مكّن المخاطبين في مثل الذي مكّن منه الأولين[1].

الثاني: منهم من نقل القول بأنها الشرطية، وأن جوابها محذوف، والتقدير: ولقد مكنّاهم في الذي إنْ مكنّاكم فيه طغيتم وبغيتم[2].

الثالث: منهم من جعلها بمعنى (قد)، والمعنى: ولقد مكنّاهم في الذي قد مكنّاكم فيه[3].

الرابع: ذهب جمهورهم[4] إلى أنها النافية، وأنّ المعنى: ولقد مكنّاهم في الذي ما مكنّاكم فيه، أي أنّ الله يخبر أنه مكّن الأوّلين في القوّة والبسطة وسعة الأرزاق ما لم يمكّن المخاطَبين منه. وإنّما عُدل عن لفظِ (ما) النافية إلى (إنْ) كراهيةَ اجتماعِ متماثلَيْن لفظًا.

وقد قوّى بعض المعربين أنّها النافية بالدليل القرآني، وذلك من جهتين:

إحداهما: مماثلةُ لفظِ هذه الآية لآية أخرى جاء فيها النفي واضحًا ظاهرًا[5]، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن ٢٥١، وتفسير غريب القرآن ٤٠٨، ومجالس ثعلب ٢٦٧/١، والكشاف ٥٠٨/٥، وأمالي ابن الشجري ٤٧٦/٢، ١٤٤/٣، والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٧٢/٢، والتبيان في إعراب القرآن ١١٥٨/٢، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٩٩/٤.

(٢) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٩٩/٤، والبحر المحيط ٦٥/٨، والدر المصون ٦٧٦/٩.

(٣) انظر: أمالي ابن الشجري ٤٧٦/٢، والرأي فيه منسوب إلى قطرب.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٥٦/٣، وللأخفش ١١٩/١، وتفسير الطبري ١٦٠/٢١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٤٦/٤، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٠/٤، ومشكل إعراب القرآن ٦٦٨/٢، والكشاف ٥٠٨/٥، وأمالي ابن الشجري ٤٤٧/٢، ١٤٤/٣، والتبيان في إعراب القرآن ١١٥٨/٢، ومغني اللبيب ١٣٠/١.

(٥) انظر: كتاب الشعر ٨٨، وأمالي ابن الشجري ٤٤٧/٢، ١٤٤/٣، والمغني ١٣٠/١.

والأخرى: أنّ في القرآن آياتٍ كثيرة تدلّ معانيها على أن الأولين كانوا أكثر تمكينًا في الأرض من المخاطَبين، وأنهم كانوا أكثرَ منهم عددًا وأموالاً وأولادًا، وأشدَّ قوةً، وأحسنَ أثاثًا، وأنهم عَمَروها أكثر مما عَمَرها المخاطبون[1]، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، وقوله : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[غافر: ٢١]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[غافر: ٨٢].

ففي هذه الآيات وغيرها[2] يهدّد القرآنُ المخاطبين بأن الأمم الماضية كانت أشدَّ منهم بطشًا وقوة، وأكثرَ منهم عددًا وأموالاً وأولادًا، فلما كذّبوا الرسلَ أهلكهم الله؛ ليخاف المخاطبون من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم أن يهلكهم الله بسببه، كما أهلك الأمم التي هي أقوى منهم.

وهذه المعاني في الآيات تتفق مع المعنى الذي يفيده جعلُ ﴿إنْ﴾ في الآية نافيةً.

وتضيف الدراسة هنا دليلًا آخر يتقوّى به جعلُ ﴿إنْ﴾ في الآية نافيةً، وهو موافقته لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما لها، فقد روى الطبري[3] بسنده الحسن[4] أنّ ابن

(١) انظر: الكشاف ٥/٥٠٨، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٤/٢٩٩، والبحر المحيط ٨/٦٥، والدر المصون ٨/٦٧٦، وأضواء البيان ٧/٤٢٥.

(٢) كالتي في: سورة التوبة ٦٩، وفاطر ٤٤، وغافر٢١، والزخرف ٨، ومحمد ١٣، وق ٣٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢١/١٦٠.

(٤) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/٣٣٤، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، ص ٢٠٤.

عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: "يقول: لم نُمَكّنْكُم". وهذا القول من ابن عباس رضي الله عنهما صريح في معنى النفي في الآية.

١٤. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]

اختلفت أقوال معربي القرآن[١] في فاعل ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ على رأيين، بيانهما على النحو الآتي:

الرأي الأول: أنّ الفاعل فيهما ضمير ﴿مَنْ﴾، وأنّ الضمير المؤنث المنصوب في ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ يعود إلى النفس المذكورة سابقًا، والمعنى: قد أفلح الذي زكّى النفسَ، وقد خاب الذي دسّاها.

وذهب إلى هذا الرأي ابنُ قتيبة[٢] وأبو بكر بن الأنباري[٣]، ومكّي بن أبي طالب[٤]، وقواه الزمخشري[٥] بموافقة معناه لقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤] وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]، وجعله أبو حيان[٦] والسمينُ الحلبي[٧] الظاهرَ من معنى الآية.

الرأي الثاني: أن الفاعل فيهما ضمير يعود إلى الله تعالى، وتفسير المعنى لهذا الرأي: قد أفلح الذي زكّى الله نفسه، وقد خاب الذي دسّى الله نفسه، وتفسير الإعراب: أن يكون الضمير البارز في ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ عائدًا على معنى التأنيث في ﴿مَنْ﴾، لأنّها

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢٣٦/٥، والبحر المحيط ٤٧٥/٨، والدر المصون ٢١/١١.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ٣٤٤.

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٢٣.

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن ٨٢٠/٢.

(٥) انظر: الكشاف ٣٨٣/٦.

(٦) انظر: البحر المحيط ٤٧٥/٨.

(٧) انظر: الدر المصون ٢١/١١.

بمعنى النفس[1]، ولهذا قدّره الفراء بقوله[2]: "قد أفلحت نفس زكّاها اللهُ، وقد خابت نفسٌ دسّاها".

وإلى معنى هذا الرأي ذهب الفراء[3] والطبري[4]، والزجّاج[5].

وذكر أبو حيان[6] أنّ هذا المعنى يشهد له أمران؛ أحدهما: ما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ في السورة قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: "اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا"[7]، والآخر: أنّ القائل بمعنى هذا التوجيه هو بحرُ العلم عبدُالله بن عباس رضي الله عنهما.

وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما الذي يعنيه أبو حيان هو قوله فيما رواه الطبري[8] بسنده الحسن[9] في تفسير ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾: "يقول:قد أفلح مَن زكّى الله نفسه"، وقوله في تفسير ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: "يقول: وقد خاب مَن دسّى الله نفسه فأضلّه".

* * *

---

(1) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٥ /٢٣٦، والبحر المحيط ٨ /٤٧٥.

(2) معاني القرآن للفراء ٣ /٢٦٧، وانظر: معاني القرآن وإعرابه ٥ /٣٣٢.

(3) انظر: معاني القرآن للفراء ٣ /٢٦٧.

(4) انظر: تفسير الطبري ٢٤ /٤٤٣–٤٤٤.

(5) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٥ /٣٣٢.

(6) انظر: البحر المحيط ٨ /٤٧٥.

(7) الدعاء المأثور جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب في الأدعية، رقم الحديث (٢٧٢٢)، والحديث بهذا الربط بين الآية والدعاء رواه الطبراني في المعجم الكبير ١١ /١٠٦، رقم الحديث (١١١٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ /٢٩١، رقم الحديث (١١٤٩٥)، وقال: إسناده حسن.

(8) انظر: تفسير الطبري ٢٤ /٤٤٣،٤٤٤.

(9) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤ /٦٣٨، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس، ص ٧٧٠.

أثر تفسير ابن عباس في التوجيه الإعرابي للقرآن

إذا كان للتفسير المأثور عامة أثرٌ في التوجيه الإعرابي للقرآن الكريم فإنّ لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما أثرًا أظهر؛ لكثرة المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك، ولتلقي الأمة له بالقبول، فلا تكاد كتب التفسير وإعراب القرآن تخلو من مروياتٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أو عن أحد تلامذته، تُذكر ليُستدلّ بها على صحة تفسير الآية أو تقدير إعرابها.

والحديث عن أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في التوجيه الإعرابي للقرآن حديثٌ طويل، يحتاج إلى مقام أرحب من هذا المقام؛ يُبسط فيه القول، وينظر فيه إلي جميع ما ثبتت نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ويوازَن بما قرّره المعربون الأوائل للقرآن، وما اختاروه من آراء عند الاختلاف في الإعراب، مع الالتفات لأثر تفسيره أيضًا في صياغات عباراتهم عندما يبيّنون المعنى أو تقديرَ الكلام للإعراب المختار.

ويمكن في هذا المقام الموجز أن يُشار إلى ذلك بإلماحات تُوضِح الفكرة، وتكون كالمنْبَهَةِ لدراسةٍ تفصيلية استقصائية قائمة على الرصد ومحاولة الحصر للمسائل، ثم النظر في الأثر.

وسيكون عرض الأثر هنا في جانبين، الأول: عناية المعربين الأوائل بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، ويقصد بهم هنا الفراء والأخفش والزجاج والنحاس، والثاني: الموافقة والمخالفة بين تفسيره ومعنى الإعراب المختار، وهذا الثاني سيكون النظر فيه من خلال المسائل المذكورة في القسم التطبيقي من هذه الدراسة.

أولاً: عناية المعربين الأوائل بتفسير ابن عباس :

يجد الناظر في كتب معاني القرآن وإعرابه عند الفراء والأخفش والزجاج والنحاس اختلافًا ظاهرًا بين هؤلاء العلماء في عنايتهم بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وفي النظر إليه عند تحديد الوجه الإعرابي للآية.

ويظهر هذا الاختلاف بينهم من خلال عدد المرات التي يذكر فيها تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في الكتاب.

فالفراء كانت له عناية جيدة بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، تمثلت هذه العناية بكثرة الرواية عنه في كتابه (معاني القرآن)، فقد كشفت لنا محركات البحث الآلي في الموسوعات العلمية[1] النقلَ عن ابن عباس رضي الله عنهما في المعاني في ستة وسبعين موضعًا[2]، كما كان للفراء أكثر من إسناد يصله بابن عباس رضي الله عنهما.

أمّا الأخفش فلم تكن له في (معاني القرآن) عناية ظاهرة بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وأمارة ذلك أنّه لم يرد ذكرٌ لابن عباس رضي الله عنهما في المعاني باسمه الصريح سوى مرة واحدة[3]، وورد في موضع آخر نقلُ تفسيرٍ لابن عباس رضي الله عنهما دون التصريح باسمه، بل جاء بصيغة (زعموا)[4]، ولا يظهر أن هذه القلة بسبب منهج الأخفش في كتابه القائم على الإيجاز والاختصار؛ لأنّ الأخفش في (المعاني) ذكر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ووجّهها نحويًا في أحد عشر موضعًا[5]؛ فقلة ورود تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في (المعاني) أو قراءته إشارة إلى ضعف عناية الأخفش بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما.

وبعدهما جاء الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه) فتجددّت عنده العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، لكنها لم تبلغ مبلغها عند الفراء، ولم تقوَ في الرواية بالسند قوّتها عنده، فقد ورد النقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في معاني الزجاج في ثلاثة

---

(١) كالمكتبة الشاملة (الإصدار الثالث).

(٢) هذا العدد بعد حذف المتكرر منها، وبعد إبعاد ما ينسب إليه من قراءة.

(٣) انظر: معاني القرآن ٢٧٧/١.

(٤) انظر: معاني القرآن ٤٠٩/٢، والتفسير فيها رواه الطبري في تفسيره ٧٠٠/١٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: معاني القرآن ، فهرس الأعلام (ابن مسعود ٨١٨/٢).

وثلاثين موضعًا[١]. وفي هذه المواضع لم يرد النقل فيها بالسند عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا في موضع واحد[٢]، أمّا في بقية المواضع فقد جاء النقل بالصيغة المختصرة عن ابن عباس رضي الله عنهما مباشرة دون إسناد.

أما النحاس فقد بلغت العناية عنده بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما في كتابه (إعراب القرآن) مبلغًا كبيرًا، فاق ما كان عند الفراء بأضعاف، ويتضح ذلك من أكثر من جانب، فمن جهة عدد مرات النقل وردت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في إعراب القرآن في ثلاث مئة وخمسة وخمسين موضعًا[٣]، والنحاس في كثير من هذه المواضع يحقّق في الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويخرّج الرواية، كقوله[٤]: "قال أبو جعفر: الإسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه"، وقوله[٥]: "وهذا أصحها؛ لأنه متصل الإسناد عن ابن عباس"، وقوله[٦]: "وهذا قول صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس بالأسانيد التي لا تُدفع".

وربّما دعاه كثرة المرويّ عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن يدفع التعارض بين الروايات عنه، ومن ذلك قوله[٧]: "وزعم الفراء أن قولَه هو قولُ ابن عباس، قال أبو جعفر: وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبه بنسق الكلام، كما يقال: لا أعصيك لأنك أنعمت عليّ، وهذا قول ابن عباس على الحقيقة، لا ما حكاه الفراء؛ لأن ابن عباس قال: "لم يستثن فابتلي" والاستثناء لا يكون في الدعاء، لا تقول: اللهم اغفر لي إن شئت".

---

(١) هذا العدد بعد حذف المتكرر منها، وبعد إبعاد ما ينسب إليه من قراءة.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٨٣.

(٣) هذا العدد بعد حذف المتكرر منها، وبعد إبعاد ما ينسب إليه من قراءة.

(٤) إعراب القرآن ٣/ ٢٩٩.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٣٩٦.

(٦) إعراب القرآن ٤/ ٤٥١.

(٧) إعراب القرآن ٣/ ٢٣٢، وانظر قول الفراء في: معاني القرآن ٢/ ٢٩٩.

وهكذا تتنوّع صور عناية النحاس بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما؛ لتدلّ على قوة عنايته به روايةً ودرايةً.

ويمكن أن يُستخلص من هذا الإجمال أنّ العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما كانت عند الكوفيين أسبق منها عند البصريين، وأن من ملامح تطوّر المدرسة البصرية في التوجيه الإعرابي للقرآن التناميَ المتتابع بالعناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، كما ظهر ذلك عند الزجاج ثم النحاس.

ثانيًا: الموافقة والمخالفة بين تفسيره ومعنى الإعراب

ستكون المسائل المذكورة في القسم التطبيقي من هذه الدراسة في الغالب مجال النظر في مدى الموافقة والمخالفة بين تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ومعاني الإعرابات التي يذكرها النحويون، ولعلّ هذا المجال المحدود بالمسائل المدروسة يشير إلى إلماحات تُوضِح الفكرة، وتمهّد السبيل إلى دراسة شاملة حاصرة تخرج بنتيجة دقيقة في الحكم على مدى الموافقة والمخالفة بين تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ومعاني الإعرابات في القرآن كله.

يجد الناظر في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وما أعربه النحويون في مسائل هذه الدراسة أنّ آراءَ النحويين على اختلاف مذاهبهم، وتباعد عصورهم الموافقةَ في معانيها لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما أكثر من الآراء المخالفة له؛ فالفراء وافق إعرابُه تفسيرَ ابن عباس رضي الله عنهما في تسع مسائل[1]، وخالفه في أربع[2]، والأخفش جاء إعرابه موافقًا لتفسيره في ثلاث مسائل[3]، ومخالفًا له في مسألة واحدة[4]، والزجاج وافق إعرابُه تفسيرَه في ست مسائل[5]، وخالفه في ثلاث مسائل[6]،

---

(١) انظر المسائل: ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٣، ١٤.
(٢) انظر المسائل: ٢، ٧، ٨، ٩.
(٣) انظر المسائل: ٢، ٥، ١٣.
(٤) انظر المسألة ١٠.
(٥) انظر المسائل: ٣، ٤، ٧، ١١، ١٢، ١٣.
(٦) انظر المسائل: ٦، ٨، ١٠.

وجعل الرأي الموافق لتفسيره أحد الأوجه الجائزة في مسألة واحدة[١]، والنحاس وافق إعرابُه تفسيرَه في ست مسائل[٢]، وخالفه في مسألتين[٣]، وجعل الرأي الموافق لتفسيره أحد الأوجه الجائزة في مسألتين[٤].

وبعض هؤلاء النحويين ينصّ على تقوية ما يرجحه من الأوجه الإعرابية بموافقة معناه لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا ظاهر عند النحاس الذي أكثر في (إعراب القرآن) من ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، ومن أمثلة ذلك قوله[٥]: "وأولى ما قيل في الآية ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ قال: في سابق علمه".

ومن جهة أخرى يظهر أثر موافقة الإعراب لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما عند النحويين من خلال العبارات التي يصوغونها في بيان معاني الآيات، بحيث تكون صياغات عباراتهم كأنها التفسير الإعرابي لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا ظاهر عند الفراء والزجاج والنحّاس في أكثر من موضع، ومن أمثلة ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير قوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾: "يقول:قد أفلح مَن زكّى الله نفسه"، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: "يقول: وقد خاب مَن دسّى الله نفسه فأضلّه". وهذا التفسير لمعنى الآية صاغه الفراء والزجاج[٦] صياغة كأنهما يشرحان فيها قول ابن عباس رضي الله عنهما شرحًا إعرابيًا، من خلال بيان التقدير الإعرابي بإعادة الضمير في ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ على معنى التأنيث في ﴿مَنْ﴾؛ لأنّها بمعنى النفس، فقال الفراء[٧]: "قد أفلحت نفس زكّاها اللهُ، وقد خابت نفسٌ دسّاها".

---

(١) انظر المسألة ١.
(٢) انظر المسائل: ٢، ٥، ٧، ١١، ١٢، ١٣.
(٣) انظر المسألتين: ٦، ٨.
(٤) انظر المسألتين: ١، ٤.
(٥) إعراب القرآن ٤/ ١٤٨.
(٦) انظر: المسألة (١٤) في هذه الدراسة.
(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧، وانظر القول بحروفه عند الزجاج في: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢. وانظر قريبًا من هذا في قوليهما في المسألة ١١.

ومن الأمثلة أيضًا أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]: "يقول: سمعُه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه". فشرح النحاسُ هذا القول وقدّره إعرابيًا فقال[2]: "فقول ابن عباس رضي الله عنهما: (سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه) قال أبو جعفر: فعلى هذا القول ﴿الإنسَانُ﴾ مرفوع بالابتداء، و﴿بَصِيرَةٌ﴾ ابتداء ثان، و﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ خبر الثاني، والجملة خبر الأول، وشرحُه: بل الإنسانُ على نفسه من نفسه رقباءُ تحفظه وتشهد عليه".

والنتيجة الأولية المستخلصة من هذه الإلماحات تؤكّد ما ذكر سابقًا من تقدّم العناية الكوفية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما ممثّلة بالفراء على البصرية التي يمثلها هنا الأخفش في معانيه، وأن العناية البصرية بتفسيره بلغت عند النحاس مبلغًا كبيرًا، يدل على ظهور أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في تطوّر التوجيه الإعرابي للقرآن الكريم عند البصريين.

* * *

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣/٤٩١، والتفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/٥٦٤.

(٢) إعراب القرآن ٥/٨٢.

الخاتمة

هذه خلاصة دراسةٍ موجزة تَتَغَيّا النظر في الاستدلال بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما في إعراب القرآن، ويُمكن التركيز هنا على أبرز نتائج هذه الدراسة، وعلى التوصيتين اللتين خرجت بهما، وذلك من خلال الإيجاز الآتي:

١. توافرت لابن عباس رضي الله عنهما مقوّمات التميّز في التأويل، واللطفِ في إيضاح معاني التنزيل، فجعلت تفسيره للقرآن بأعلى المنازل في المعنى وفي الإعراب.

٢. نشأ النحو ونهض في ظلالٍ علميةٍ تدرُس كتابَ الله تعالى، وتتباحث لأجل الوصول إلى الفهم الصحيح لكلامه عزّ وجلّ؛ فتأثر النحويون ومعربو القرآن منهم خاصة بتلك البيئة العلمية، فكان التفسير بالمأثور من أبرز ما يعتمدون عليه في التوجيه الإعرابي للقرآن.

٣. برزت ظاهرة العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما عند النحويين في وقت مبكّر جدًا، وكان من أبرز فرسانها الفراءُ الكوفي، والنحاس البصري، وهذا يدل على سبق الكوفيين في ذلك، كما يدلّ على أنّ العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما صورة من صور التطوّر في الفكر النحوي عند البصريين.

٤. أثبتت الدراسة من خلال أربع عشرة مسألة تطبيقية في إعراب القرآن أن الثابت من تفسير ابن عباس دليلٌ صحيحٌ ينبغي النظر إليه عند إعراب الآية، والتحاكم إليه عند تعدد الأوجه في تقديرها الإعرابي.

٥. إذا كان قول ابن عباس رضي الله عنهما مقدَّمًا على قول غيره من المفسرين عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير ـ كما قال الزركشي ـ فإن الوجه الإعرابي لآي القرآن الموافقَ معناه لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما مقدّمٌ على غيره من الأوجه الإعرابية عند تعارضها.

٦. ظهر في أثناء الدراسة التطبيقية ما يُشير إلى أن الفراء ربّما كان يراعي قول ابن عباس رضي الله عنهما في صياغة عبارته التي يبيّن فيها معنى، ولا يستعمل فيها المصطلحات الإعرابية، وتلك الصياغات تُوهِم أنه يفسّر الآية فقط، ولا ينظرُ في إعرابها، وهو فيما يظهر يحاول الجمع في ذلك بين التفسير والتقدير الإعرابي، وخير مثال على هذا قوله المنقول في المسألة الأخيرة من القسم التطبيقي.

أمّا التوصيتان العلميتان: فالأولى منهما هي الدعوة إلى النظر في مواضع الخلاف النحوي في إعراب القرآن الكريم في ظل التفسير بالماثور عامة، وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما خاصة؛ بغية الوصول إلى المراد الصحيح من كلام الله تعالى تفسيرًا وإعرابًا، وهي فكرة بحثية أظهرت لها هذه الدراسة ـ على أمل التوفيق فيها ـ القيمة العلمية ، وأضاءت لها المدخل.

والتوصية الثانية هي الدعوة لدراسة كلام الفراء في (معاني القرآن) الذي شرح فيه الآيات دون أن يصرّح بإعرابها أو يستعملَ المصطلحات النحوية في ذلك، وموازنة صياغات عباراته بالماثور من التفسير عامة، وتفسير ابن عباس خاصة؛ للخروج بنتيجة موثّقة تثبت أو تنفي مدى عناية الفراء في صياغات عباراته تلك بالجمع بين التفسير المأثور والتقدير الإعرابي.

أسأل الله تعالى أنْ يبارك في الجهود، وأنْ يُسدّد الآراء والأقوال والأفعال، وأن يُعظم الأجر ويُجزل المثوبة؛ إنّه جوادٌ كريم. وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

* * *

المراجع

- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٤هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، دار عالم الفوائد.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ت: عبدالرحمن العثيمين، ط١، ١٤١٣هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- إعراب القرآن، للنحاس، ت: زهير غازي زاهد، ط٣، ١٤٠٩هـ، عالم الكتب، بيروت.
- أمالي ابن الشجري، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- أمالي الزجاجي، ت: عبدالسلام هارون، ط٢، ١٣٠٧هـ، دار الجيل، بيروت.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ت: مجموعة من المحققين، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البداية والنهاية، لابن كثير، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار هجر، القاهرة.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي / عبدالله الدرويش، ط١، ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.
- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري، ت: طه عبدالحميد طه، الهيئة المصريةالعامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ت: السيد صقر، ط٢، ١٣٩٣هـ، دار التراث.
- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، ت: علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت.
- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من سورة الروم إلى سورة الشورى، رسالة ماجستير، صالح بن محمد الجهني، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ـ ١٤٠٧هـ.
- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، رسالة ماجستير، محمد بن عبدالله الفالح، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ.
- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة طه إلى آخر سورة العنكبوت، رسالة ماجستير، سعود بن عبدالعزيز الحمد، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ـ ١٤٠٧هـ.

- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس، رسالة ماجستير، حامد بن يعقوب الفريح، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، رسالة ماجستير، ناصر بن عبدالرحمن العمار، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ.
- تحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، رسالة ماجستير، محمد المنصور الفائز، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التفسير بالمأثور نقد للمصطلح وتأصيل، مساعد الطيار، مقالة علمية نشرت في مجلة البيان، العدد ٧٦، ذو الحجة ١٤١٤هـ.
- تفسير ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم.
- التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)، حكمت بشير ياسين، ط١، ١٤٢٠، دار المآثر، المدينة النبوية.
- تفسير الطبري: جامع البيان.
- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، عبد العزيز الحميدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، ١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
- توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي، ت: عبدالرحمن سليمان، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض.
- جامع الترمذي، ط٢، ١٤٢١هـ، دار السلام، الرياض، طبعة خاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني السعودي.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، ١٤٢٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الجنى الداني، للمرادي، ت: فخر الدين قباوة ومحمد الفاضل، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ت: بدرالدين قهوجي وبشير جويجاتي، ط٢، ١٤١٣هـ، دار المأمون للتراث، دمشق.
- الدر المصون، للسمين الحلبي، ت: أحمد الخراط، ط١، ١٤٠٦هـ، دار القلم، دمسق.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار هجر، القاهرة.
- رصف المباني في حروف المعاني، للمالقي، ت: أحمد الخراط، ط٢، ١٤٠٥هـ، دار العلم، دمشق.
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري، ت: حاتم الضامن، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة.
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ت: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط٣، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، ت: صاحب أبو جناح.
- شرح الكافية، للرضي، ت: حسن الحفظي ويحيى بشير مصري، ط١، ١٤١٤/١٤١٧هـ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- صحيح البخاري، ١٤١٤هـ، دار الفكر.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت: عبدالعزيز بن باز وآخرين، دار المعرفة، بيروت.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمداني، ت: محمد النمر وفؤاد مخيمر، ط١، ١٤١١هـ، دار الثقافة، الدوحة.
- القاموس المحيط, للفيروزآبادي, ط١, ١٤٠٦هـ, مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكامل، للمبرد, ت: محمد أحمد الدالي، ط٢, ١٤١٣هـ,مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كتاب الشعر، لأبي علي الفارسي، ت: محمود محمد الطناحي، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- كتاب سيبويه، ت: عبدالسلام هارون، ط٣، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب، بيروت.

▪ الكشاف, للزمخشري,ت: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.

▪ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، ت: محيي الدين رمضان، ط٤، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

▪ كشف المشكلات، للأصبهاني، ت: محمد الدالي، مجمع اللغة العربية، دمشق.

▪ اللامات، للزجاجي، ت: مازن المبارك، ط٢، ١٤٠٥هـ، دار الفكر، دمشق.

▪ لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، القاهرة.

▪ مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

▪ مجالس ثعلب، ت: عبدالسلام هارون،ط٥، دار المعارف، القاهرة.

▪ مجالس العلماء، للزجاجي، ت: عبدالسلام هارون، ط٢، وزارة الإعلام، الكويت.

▪ مجمع الزوائد : بغية الرائد.

▪ المحتسب، لابن جني، ت: علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ.

▪ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي،ت: السيد عبدالعال إبراهيم، ط١، ١٤١١هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر.

▪ مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، ت: حاتم الضامن، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.معاني القرآن، للأخفش، ت: هدى قراعة، ط١، ١٤١١هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.

▪ معاني القرآن، للفراء، ط٣، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب، بيروت.

▪ معاني القرآن الكريم، للنحاس، ت: محمد علي الصابوني، ط١، ١٤٠٨ه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

▪ معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ت: عبدالجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ، عالم الكتب، بيروت.

▪ المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إميل يعقوب، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

▪ المعجم الكبيرن للطبراني، ت: حمدي عبدالمجيد السلفين مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

▪ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، ت: عبداللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- المفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الأعراف والأنفال والتوبة، رسالة ماجستير، حمد بن صالح القرعاوي، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ.
- المفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، رسالة ماجستير، محمد بن صالح العبدالقادر، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠ـ١٤٠١هـ.
- المفصّل في علم اللغة، للزمخشري، تقديم: محمد عز الدين السعيدي، ط١، ١٤١٠هـ، دار إحياء العلوم، بيروت.
- المقتصد، لعبدالقاهر الجرجاني، ت: كاظم المرجان، ١٩٨٢م، وزارة الثقافة والإعلام العراقية.
- المقتضب، للمبرد، ت: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- مناهل العرفان ١٢/٢، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، ت: فواز زمرلي، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

* * *

التجليات المضمونية والفنية

قراءة في ديوان (المرُّ والأمرُّ) لعبدالعزيز المسلم (١٣٥٢ـ ١٤٠٣هـ)

د.عبدالله بن صالح الوشمي

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التجليات المضمونية والفنية

قراءة في ديوان (المرُّ والأمرُّ) لعبدالعزيز المسلم (١٣٥٢ـ ١٤٠٣هـ)

د.عبدالله بن صالح الوشمي

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يعد الشاعر عبدالعزيز بن محمد المسلم (١٣٥٢هـ ـ ١٤٠٣هـ) (١٩٣٣م / ١٩٨٣م) أحد الشعراء السعوديين الذين اجتهدوا في كتابة القصيدة الحديثة، وطرقوا أبواباً مختلفة من أغراض الشعر، وكانت رؤيتهم ومواقفهم القومية والوطنية والعاطفية ذخيرة فكرية تحملهم على الإبداع. وقد وظف الشاعر ما استطاعه من الأساليب الفنية في سبيل خدمة معانيه وأغراضه، فقدم نصوصه الشعرية بطريقة إبداعية جيدة حققت لقصائده أن تصنع دهشة لدى المتلقي حين يقرأ معظم إنتاجه.

وقد كان الدافع الرئيس لي في دراسة هذا الشاعر أن نصوصه تتميز بجودة عامة في بنائها الفني، ويملك الشاعر رؤية متميزة تجاه الحياة، ومع ذلك لم تتخصص دراسة أو مقالة في تناول شعره ـ حسب ما اطلعت عليه ـ.

Reading in the collection of (the Bitter and the Bitterer) by Abdulaziz Al-Musalam (1352- 1403 Hijri)

Dr. Abdullah bin Saleh Al-Washmi
Department of Rhetoric, Criticism, and the Approach of Islamic Literature-Faculty of Arabic Language- Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract;

Poet Abdulaziz bin Mohammad Al-Musalam (1352 H-1403H) (1933 AC1983AC), is considered one of the Saudi poets who excelled in the writing of the modern poem., He wrote in different genres of poetry, and his vision, national, patriotic, and intellectual stands were the fuel for innovatation for him . The poet has implemented all he had of the artistic methods in order to serve his subjects and purposes he tackled. He presented his poetic texts in a very innovative manner that created suspense to the reader when reading most of his production.

The main motive of investigating this poet is that his texts are generally featured as high in quality in their artistic features, and the poet has a distinguished vision toward life, though no study or article has specialized in conducting his poetry, as far as I know.

مقدمة:

يُعنى هذا البحث بالكشف عن التجليات المضمونية والفنية في تجربة الشاعر السعودي عبدالعزيز بن محمد المسلم (١٣٥٢هـ - ١٤٠٣هـ) (١٩٣٣م / ١٩٨٣م) من خلال ديوانه الوحيد (المر والأمر) الصادر في (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). وقد ظل الشاعر طوال فترة خصوبته الشعرية حتى صدر ديوانه غائباً عن المشهد الأدبي السعودي إلا من إشارات عابرة هنا وهناك، ولم تجد تجربته الشعرية ناقداً يتخصص في دراستها وتجلية آفاق المضمون والشكل عنده، ويضعه ضمن سياقه الشعري السعودي أو العربي.

وإذا يمثل الشاعر عبدالعزيز بن محمد المسلم شاعرا ينتمي إلى جيل التجديد في القصيدة الحديثة، فإن الدراسات الأكاديمية لم تستعرض تجربته بتمامها، حيث لم يجمع شعره إلا بعد وفاته بما يقارب العقود الثلاثة[1] وظل حيز تداوله منحصراً بين أصدقائه والمقربين منه، مع عنايته بالنشر الصحفي لإبداعه بطريقة متواضعة، ولعل هذا يفسر غيابه عن الدراسات التي تناولت الشعر السعودي، أو شعراء منطقته (القصيم)، فلا نجد له حضورا فيها[2]، أما غيابه عن الدرس النقدي بشكل عام فيمكن القول إضافة إلى ما سبق: إن حياته خارج الوطن مدة طويلة من عمره أسهمت في هذا الغياب.

وسوف أقوم بدراسة شعر الشاعر في ديوانه (المر والأمر) متخذاً المنهج الفني عمدة في مقاربة قصائده، مستفيداً من غيره كالمنهج النفسي والتاريخي، وذلك في تتبع التلقي الأولي لقصائده، ودراسة لغتها، وألفاظها، وتراكيبها، وجملها، مع تأمل خصائص الصورة والإيقاع فيها.

---

١ يرى د. إبراهيم التركي أن المسلم لم يلتفت بنفسه إلى شاعريته، كما لم يلفت نظر النقاد، فلم يحظ شخصه كما شعره بالانتشار رغم استحقاقه وتميزه (ديوان المر والأمر: ٧، عبدالعزيز بن محمد المسلم، مركز صالح بن صالح الاجتماعي في عنيزة ـ ط١ـ ١٤٣٠هـ (مقدمة).

٢ انظر: اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ـ د. حسن الهويمل ـ نادي القصيم الأدبي ـ ط ١ ـ ١٤٠٤هـ، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ) د. عبدالله الحامد ـ نادي المدينة المنورة. ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م (يضم إشارة واحدة إليه ضمن مجموعة شعراء في ص ٢٨٨)، التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية ـ د. محمد صالح الشنطي ـ النادي الأدبي بحائل ـ ط ١ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، وحركة الشعر في منطقة القصيم من عام ١٣٥١هـ ـ عام ١٤٢٠هـ د. إبراهيم بن عبدالرحمن المطوع ـ نادي القصيم الأدبي ـ ط ١ ـ ١٤٢٨ـ ٢٠٠٧م، سوق الأدب والنقد في القصيم، دريد يحيى الخواجه، نادي القصيم الأدبي، ط١.

تعريف بالشاعر:

ولد الشاعر عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم المسلم رحمه الله في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم، وهو أصغر أبناء والده، وله شقيق واحد، وهو إبراهيم رحمه الله، كما أن له أربع شقيقات: هن مضاوي، وموضي، ومنيرة، وحصة، وأما أبناؤه وبناته فهم على التوالي: هدى ومحمد وهنادي ونورة وإبراهيم.

ويمثل والد الشاعر: (محمد) أحد الشعراء في مدينته (عنيزة)، وممن يوصفون بالاطلاع والثقافة، وقد كف بصره في آخر حياته، فكان (الراديو) منفذه إلى العالم.

ودرس عبدالعزيز المسلم المرحلة الابتدائية في عنيزة، وكان متفوقا في دراسته الابتدائية حتى روى لأبنائه قصة طريفة، وهي أنه كان أصغر طالب في المدرسة، و بقية الطلبة كبار بالعمر والجسم، و في يوم إعلان النتائج وتوزيع الشهادات، حيث يكرم المرء أو يهان، فقد نجح عبدالعزيز ورسب بعض الطلاب، وإذا بالطلبة الراسبين يركضون وراءه يقذفونه بالحجر، فكانت شهادته ممزقه بسببهم، و ما زالت تلك الشهادة الممزقة الأطراف محفوظة في ذاكرة أبنائه، حين كان أبوهم يروي لهم قصته هذه التي يستدل بها على نبوغه المبكر، وعزيمته، ومعاناته.

وقد أحبَّ الشاعر مدينته (عنيزة)، وعشقها، حتى غرس ذلك في أبنائه وبناته، وحمل معه حب مدينته إلى الدول التي عاش فيها، وما زال أبناؤه، وهم الذين لا يزورون عنيزة إلا قليلاً، يحنّون إلى مدينتهم بنوع من الولاء والوفاء الكبيرين للمكان وللأب الراحل، كما عودهم على ذلك، حيث تحضر (عنيزة) في واقعه بالأحاديث والقصص، كما تحضر في خياله من خلال الشعر بصفتها حلم العودة الذي يُداعبه كل حين, فيقول:

أخـي والنشيدُ على شفتيَّ	تعثـر كالأنـة الحـائره
أخـي والنوى حـاكم ظـالم	وفـي القلب نـار الهـوى ثـائره
أخـي أنـت فـي جنـة مـن رُبَـى	(عنيـزة) باسـمة ناضـره
تنـاجي الغصون وتشجي الطيـور	وتبسـم للـوردة الحاسـره[1]

---

[1] ديوان المر والأمر: ٥٠.

ويمكن، هنا، الالتفات إلى مفردات (عنيزة) التي ظلت حاضرة في ذاكرته الواقعية، حيث لم ينقطع عن الولع والتولع بسامري عنيزة، الذي يجد فيه امتداده، وربما ترنم به، وانتشى، وهو في مقر عمله: جنيف، وفي غمرة انشغاله مع أسرته.

وبعد أن أنهى دراسته الأولية في عنيزة, انتقل إلى مكة المكرمة ليكمل دراسته الثانوية، ولم تتح له الفرصة لإكمال دراسته الجامعية بعدها لعدم توافرها في مكة أو القصيم في ذلك الوقت، وحاول أن يبحث عن فرص دراسية في الكويت أو البحرين، فعمل مع أحد التجار بحمل البضائع ونقلها بين الكويت والقصيم، كما عمل (مأمور تسجيل) في الخطوط السعودية عام ١٣٧٤هـ، حتى أتيحت له الفرصة أن يكمل دارسته العليا في القاهرة، فالتحق بمعهد المعلمين العالي في القاهرة، وأتم دراسته في التخصص الذي يحبه، وهو اللغة العربية.

وبعد أن حصل على شهادة اللغة العربية عاد إلى بلاده، وقرر أن يتزوج، و طلب من أخته (موضي) المقربة جداً إلى نفسه، وكانت تسكن الطائف، أن تخطب له امرأة من عنيزة، ولكنه يريدها من عائلة منفتحة في الحجاز، وكأنه يريد أن يتحقق فيها: انتماء القصيم ورؤية الحجاز، فخطبت له (فاطمة بنت سعد العجروش)، وتزوجها، وقدّم مهراً كبيرا بمقاييس عصره، وانعقد الزواج عام ١٩٦٥م.

وقد التحق الشاعر عام ١٣٨٤هـ بوزارة المعارف وعمل في التدريس، ثم تدرج في الوظائف، إلى أن أصبح مشرفا إداريا، وتم انتدابه إلى جنيف لمدة أربعة أعوام، ثم عاد إلى الوطن عام ١٣٩٤هـ ليعين رئيسا للمكتبات المدرسية، ثم موجهاً تربوياً، وكان أساس سفره إلى جنيف مرتبطاً بمسؤوليته عن علاج أخيه (إبراهيم)، الذي أثَّر مرضه في شاعرنا كثيرا، فتحمل متابعة علاجه.

ثم انتقل الشاعر عام ١٣٩٦هـ إلى وزارة التعليم العالي، حيث انتدب مرة أخرى لجنيف؛ ليعمل في الملحقية الثقافية، وسكن في منطقة (النيون)، وتكونت له علاقات عربية متنوعة في إطار غربته، وأتقن اللغتين: الإنجليزية والفرنسية، واستمر في عمله

هناك حتى وفاته المفاجئة –رحمه الله– خارج وطنه[1]، وحمل جثمانه إلى الرياض، ودفن في مقابر العود.

إضاءة للمحيط الشعري لجيل الشاعر:

يمكن النظر إلى عبدالعزيز المسلم من خلال المحيط الزمني الذي انتمى إليه، فهو من الناحية الزمنية والمضمونية قابل لأن يُلحق بشعراء الجيل الثاني من شعراء المملكة العربية السعودية[2]، الذين عاشوا حياتهم ضمن إيقاعات خطيرة تمرُّ بها بيئتهم السعودية، ويمر بها العالم العربي، فقد شهدت المملكة العربية السعودية آنذاك نهضة واسعة على مستوى البنية التحتية الاقتصادية والثقافية، حيث انطلقت حركة التعليم، وبدأت أفواج المتصلين بالعالم الآخر تنطلق من المملكة، وتعددت وسائل التعبير الإعلامي، وبدأ يظهر في جيلهم أثر الجيل الأول من الأدباء والمثقفين في إنتاجهم وجهودهم، وأما أحداث العالم العربي، فقد طغتْ، وعلى رأسها: قضية فلسطين، وما تفرع عنها من تطورات كمشكلة اللاجئين والعدوان الثلاثي على مصر وحرب ١٩٦٧م و١٩٧٣م وحركات التحرر من الاستعمار في الجزائر، والمشاكل الحدودية المتعددة[3].

وقد جاءت إبداعات هذا الجيل متأثرة بالمرحلة الزمنية التي عايشوها، فحركة التعليم، وتنوع المسارات الإعلامية المتاحة ـ على قلتها ـ وبدايات الطفرة، "أوجد روحاً قوية كأي جيل جديد تتوافر له الحوافز المادية والأدبية، فاندفعوا يقرأون ويكتبون، فكانت الحفلات والمهرجانات والنوادي والمسامرات في المدارس والدوائر والقاعات والبيوت[4]"، فجاء شعراء الجيل متأثرين بتحولاته، وكتبوا الشعر من منظوره العام، سواء ما كان صريحا في الاتجاه السياسي والقومي، أو ما كان في اتجاهات أخرى.

---

١ ديوان المر والأمر: (الغلاف)، إضافة إلى ما زودتني به أسرة المؤلف رحمه الله.

٢ انظر: للتفصيل في حركة الأجيال الشعرية في المملكة العربية السعودية كتاب: في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د. عبدالله الحامد ـ دار الكتاب العربي ـ الرياض ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣ انظر: حركة الشعر في منطقة القصيم: ٢١/١.

٤ الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن: ١٠٤.

ولأن النص الأدبي هو حاصل "الجدل بين المعطيين الجمالي والدلالي"[1]، فإن تلبُّس شاعرنا بمعطيات عصره وفضاءاته لم يمنعه من الدخول إلى العالم الغربي من خلال بوابة وظيفته الرسمية، حيث تكشف له هناك كيف تتم معالجة قضايا بني قومه هنا، فتبصر بواقع الغربيين ورؤاهم لذلك، وقد اجتهدت في هذه القراءة لمجمل إنتاج الشاعر عبدالعزيز المسلم أن أدرس التجليات المضمونية والفنية في إبداعه، بحيث أستدل بأحدهما على الآخر.

آفاق التجليات المضمونية:

يمكن النظر إلى الشاعر عبدالعزيز المسلم من الناحية المضمونية بوصفه من الشعراء الذين طرقوا مسارات قولية متعددة في شعره، فلم يكتف بمحتوى واحد دون غيره، وإنما تنوعت أغراضه وتعددت، وإن كانت السمة العليا فيها أنه ارتفع عن شعر المناسبات اليومية، وخاض في كل ما له صلة بالألم، ومواقف الإنسان، ورؤاه، ومن هنا ظهرت رؤية الشاعر منتشرة في مجمل أشعاره.

ونستطيع أن نتلمس رؤية الشاعر في عدد من المواقف التي ظهرت من خلال معانيه ومضامينه.

أولاً: الموقف القومي:

يتأسس المعنى في قصائد المسلم القومية على الحديث عن وطن عربي واحد، ولذا فإنه لا ييأس من تكرار القول في هذا الموضوع، أو التطرق إلى مسائل متعددة، أو تفصيلية ترتبط بقوميته العربية، فهو يؤمن بوطنه الكبير، ويجتهد في النصح له، وتقصي همومه.

يقول ـ مثلاً ـ في تحيته إلى شباب الكويت الشقيق:

---

[1] انظر الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، د. عبدالإله الصائغ، المركز الثقافي العربي ـ بيروت والدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٧م، ص٢٩٢.

ليت شعري هل يستجيب بياني؟ أو يحلُّ اللقاء عيَّ لساني؟
أنا منْ ردد النشيد مراراً غير أني أحار في ذا المكان
أي شعر أصوغه لأحبيـ ـكم وأنتم ونحن كالتوأمان
وطن واحد وإنْ فرقتنا فسحة الأرض وامتداد الزمان
كلنا ينشد الخلود وبيني لبنات العلى بغير تواني[1]

وهي رؤية تتضافر الدلالات اللغوية والمنطقية في قصائد الشاعر جميعاً على تأكيدها، ويتخذ في سبيل تأكيد مواقفه القومية سبلاً متعددة؛ منها: المسار الأسلوبي حيث يتوحد مع شقيقه العربي بضمير الجمع الذي ينتشر في قصائده القومية، ومنها هذه القصيدة بقوله: (فرقتنا / كلنا)، وتأتي صوره لتدعم رؤيته هذه، من حيث التوحد والمصدر المشترك, ويتضح هذا في: (التوأم / امتداد الزمان)، ومنها الأسلوب الحجاجي المنطقي، حيث يقول:

لستُ عن تلكمُ البقاع غريباً سل دمي عن ترابها سل كياني
نحن أنتم وأنتمُ نحن مهما مزقتنا نوائب الحدثان
لغة وحدت عرانا ودينٌ وكفاح وموطن وأماني[2]

وكأنه استبطن مخالفاً أو معارضا لرؤيته، فبدأ بسرد حججه وأدلته، دون أن يمنح محاوره فرصة الادّعاء، وإنما ينتقل الشاعر إلى أقصى مراده حين يؤكد أحقيته وصلته بهذه الأرض العربية، وينفي غربته عنها؛ بل إن صلته صلة الدم والكيان المتكامل، وهو في ذلك مستعد للمساءلة في هذا المسار، وذلك ما أهَّله ليصل إلى قمة معناه في قوله: (نحن أنتم وأنتمُ نحن)، وكأنه بصدد تقرير حقيقة منطقية تضافرت الدلالات السابقة على الترقي إليها، ثم جاءت لحظة الكشف، فتداخلت الذوات، واشترك المصير، تبعاً لاشتراك المكونات التي يدَّعيها الشاعر ويُفاخر بها، وهي اللغة والدين، ومن هنا صار من المتحتم، وليس المفهوم فحسب، أن يتحد المصير، وتتوحد القضايا.

---

١ ديوان المر والأمر: ٣٧، هكذا في الديوان (تواني)، والصواب: بحذف الياء، فهو من تنوين العوض.
٢ ديوان المر والأمر: ٣٧ ـ ٣٨.

ويتكرر موقفه القومي عندما يتحدث عن الجزائر، ونضاله ضد الاستعمار، وكيف أبلى رجاله ونساؤه وشبابه وفتياته البلاء الكبير من أجل حريتهم، إذ يحتفي الشاعر (بهم) وبإنجازاتهم، ولكنه سرعان ما يتحول من ضمير الغائب في حديثه عنهم، إلى ضمير الفاعلين والتوحد معهم، فيقول:

أيها الناطقون بالضاد في الشر	ق وفي الغرب أين صرتم وصارا؟
إن يكن شنّ في الجزائر حرباً	فهو في القدس يهدم الأسوارا
وفلسطين أي جفن له غمضٌ	وأبناؤها ضياع حيارى
أرضنا أرضنا السليبة لن تُـد	رك لغواً مرددا أو شجارا
أمة نحن لو وعينا المآسي	ما افترقنا ولا رضينا العارا[1]

إنه يتوسل على سبيل الحجاج لما يريده بالمتفق عليه من الحقائق، فهو يدعوهم بالمشترك الذي لا يسعهم إنكاره، فكلهم ناطقون بالضاد، والذي غزا الجزائر سيغزو أو غزا غيرها للأهداف وبالأسباب نفسها، ولذلك لم يعد أمامكم إلا الاجتماع والتوحد، وهو ما ينبئ عنه الشاعر بضمائر الجمع في قصيدته، وتعبيره عن الأرض بأنها (أرضنا)، مع صيغة التكرار التي تؤكد الرؤية هذه، ولذلك قال: (أمة نحن)، وهو تقديم للاهتمام بمفهوم الأمة الذي يريد أن يتحقق في واقع بني أمته.

ولئن تعددت قضايا المسلم القومية في شعره، إلا أن (فلسطين) تظل قضية محورية تتحرك فيها معانيه بشكل مستمر ودائم، وتأتي قصيدته (هل يعود) ممثلة لهذا الاتجاه، حيث يخاطب ابنة صديقه المناضل المسجون في إسرائيل، فيقول في آخرها:

لا تسأليني عنهُ

أين أبي؟

متى؟

ومتى يعود؟

أنا مثلك انطفأ الوميضُ

---

١ ديوان المر والأمر: ٤٧

بعينه وبدا الجمودْ

أنا مثلك احترقتْ حروفي

وهي تسأل: هل يعودْ؟

سنراه يوماً لا تخافي

قادما عبر الحدودْ

بسماته ضحكاته

سترنّ سمعَك من جديد[1]

وهي نهاياته الدائمة في مواقفه القومية من قضايا أمته، فهو يعزف ألمه ومآسيه، ولكنه يشعل النور في خاتمة الدرب، وتلك سمة تتكرر في مجمل قصائده القومية، ولئن كان عنوان قصيدته (هل يعود)، فإن الإجابة لم تكن مؤجلة غائمة غائبة، وإنما صرح بها في خاتمة قصيدته، وكأنه يتركها مشعل ضوء في يد (سامية) ابنة صديقه، وذلك تبعاً لتحول القصيدة والبناء على فكرة القص، ولكنه حين يتجه إلى مأساة الوطن، وليس مأساة الفرد، فإنه يحسم خياراته مبكرا، فجاءت قصيدته (ستعودين يا إفريقيا) تأكيدا على مظاهر العودة في كل تجلياتها، حيث يمتلئ معجمها بأمارات لفظية تدل على ذلك، ومنها: (الإشراق / يندمل الجرح / الزغرودة الحلوة / البطولات / الغد الأسمر / الصبح) وغيرها حتى ختمها بقول:

حسبوا أنهمُ اغتالوا الجذور الآدميه

هزمت إفريقيا. قالوا. وقادوها ضحيه

سوف تحيا مرة أخرى وتختال صبيه[2]

ولعل التفسير الثقافي لمواقفه القومية هذه أنه يرتفع بالقضية إلى مستوى التوحد كما مر، ويرى أن صلته بقضايا أمته صلة عضوية تصورها حالةَ عشق وتكامل وولع، وهو ما

---

١ ديوان المر والأمر: ٦٥ـ٦٦.

٢ ديوان المر والأمر: ٥٩ـ٦٠.

ظهر في الشعر القومي الذي كتبه كثير من الشعراء السعوديين حيث صدر من " فيض عاطفتهم"[1]، ومن هنا كتب المسلم قصيدته (أغنية حب إلى وردة من الجزائر)، وفيها يقول:

أنـــــا أحببتــــــك فــــــي أرضــــــك مــــــن عهــــــد الطفولــــــه
أنـــــا أحببتــــــك فــــــي الأوراس عمــــــلاق البطولــــــه
أنـــــا أحببتــــــك تاريخــــا علــــى وجــــه (جميلــــه)
قبــــل أن أعــــرف مــــن أنــــت؟ ومــــن أي خميلــــه؟
قبــــل أن تــــرقص فــــي أذنــــي أغانيــــك الجميلــــه
قبــــل أن ألقــــاك أحببتــــك.. هــــل فــــي الحــــب حيلــــه؟![2]

وهي القصيدة التي توشك أن تصبح قصيدة حب عاطفية شخصية، ولكنها تتحول سريعاً إلى تمثيل الصلة العاطفية القومية مع الجزائر تاريخاً وحضارة وبطولات، ومن هنا تأتي سريعا مفردات (الرماح / الجراح / الغارات / النصر)، بل تتحول الحبيبة إلى جسر مؤقت للعبور إلى معناه القومي الجليل، فيستهين أو يقلل من قيمة البعد الشكلي لحبيبته، ويُعلي من انتمائها، وارتباطها بالأرض، ويجعله سبباً للحب، والاندفاع إليها، فيقول:

لــــم أكــــن أعــــرف مــــن أنــــت ولا كيــــف ســــماتك؟
لــــم أكــــن أعــــرف مــــا لونــــك أو كيــــف صــــفاتك؟
حــــبَّ قلبــــي صــــوتك العــــذب وترجيــــع شــــجاتك
حــــبَّ قلبــــي أنــــك الغنــــوة مــــن أرض الفواتــــك[3]

إن هموم الشاعر المسلم الذاتية لم تمنعه من الانطلاق في الانتماء إلى المجموع والأمة والوطن، أو أنه ـ مثل بقية جيله ـ جمع بين الحديث عن الذات والحديث عن الآخر فرداً أم جماعة أم وطناً أم أمة[4]، وأصبحت مواقفه القومية متماهية مع مواقفه العاطفية الأخرى.

---

١ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية: ٣٣٥، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط ٤، ١٩٨٥م.

٢ ديوان المر والأمر: ٦٨.

٣ ديوان المر والأمر: ٦٨ ـ ٦٩.

٤ عقدان من الإبداع الأدبي السعودي، (أبحاث الملتقى)، نادي القصيم الأدبي، ط١، ١٤٢٣، (الانتماء في الشعر العربي ـ السعودي نموذجاً، د. عبدالله ثقفان، ص٢٢٧.

ثانياً: الموقف الوطني:

لا يُعد الشعر الوطني انفصالاً عن الجانب القومي والعالمي، وإنما هو امتداد له، أو لحظة الوعي الأولى به، وذلك أن قضايا المواطن تنبع من إنسانيته التي يشاركه فيها سكان العالم بمختلف هوياتهم وانتماءاتهم.

وقد عزف الشاعر المسلم على قضايا الوطن كثيرا، وحاول أن يكون صوتاً للمواطن البسيط، وأن يعالج قضاياه في شعره بصور متنوعة.

يُراهن الشاعر المسلَّم على وطنه، ويرى في تفاصيله مصدر القوة والتماسك مهما شابتها الشوائب، وهو يرى في صراعات المجتمع وتقلبات الأهواء مصدر قلق على لحمته وبقائه، ويجسد مواقفه بأنه ضد التزييف والرياء، فهو الذي قد آثر تربة وطنه[1]، وتحمل من أجلها كل ما لاقاه، وما قدمه من مواقف، ومن هنا فإن تنقلاته في كل مكان من العالم ليست رفضاً لموطنه، ولا هرباً منه، وإنما حاجات الدنيا وأسبابها، وهو في غربة عن دياره[2]، ويظل الوطن في قلبه، وتظل علاقته بوطنه علاقة متينة من الطرفين، حتى يشتاق الوطن كما يشتاق المواطن، فيقول:

ولـــي وطـــن يتمنـــى بـــأنْ	يـــرى قـــدمي نحـــوه ســـائره
وكـــم ذا تمنيـــت يومـــا بـــأن	أقبّـــل تربتـــه الطـــاهره
فيـــا تربـــة المجـــد يـــا مـــوطني	ويـــا أملـــي فـــي الـــدنا العـــابره
وأجمـــل مـــا رســـمته الحيـــاة	ومـــا رنقتـــه اليـــد المـــاهره
أحييـــك لـــو فرقتنـــا الليـــا	لـــي فـــذا دأبهـــا أبـــدا غـــادره
أحييـــك مـــن خـــافق مـــا ســـلا	كَ ومـــن مهجـــة لـــم تـــزل ذاكـــره![3]

وليس الاتجاه الوطني في الشعر هو مباشرة الحديث عن قضايا الوطن التفصيلية فقط، ولكنه الذي يُعنى بقيمة المكان، وتعزيز الانتماء إليه، وكأن المكان فكرة وثقافة

---

[1] ديوان المر والأمر: ٤٢.
[2] ديوان المر والأمر: ٣٠.
[3] ديوان المر والأمر: ٥٠.

أكثر من كونه جغرافيا، ولذلك تحضر المفردات المكانية (مثل: عنيزة) بشكل يسير[1]، ويحضر الوطن بجلاله في شعر المسلم، ويصبح الوطن قيمة عليا تحفظ من أجلها القيم والمبادئ، ويستهان بالمال وغيره من أجلها، ويكون الوطن ساحةَ تجلٍّ لهذه القيم وأصحابها، فيقول:

ألأنـــي أضـــجُّ اســـتنكر الظلـــ	ـــمَ أعـــادي لطغمـــة الأجـــراء
ألأنـــي أهـــوى لمـــوطني المجــ	ـــدَ ولا ارتـــضيه للـــدخلاء
صـرتُ فـي عـرفكم أجيـراً حقيـراً	بعـــت أرضـــي لحفنـــة العمـــلاء
ألأنـــي أصـــيح فـــي كـــل صـــبح	لـــيس صـــبحاً لنـــا وكـــل مـــساء
كـــلُّ شـــيء مـــستورد فـــي بـــلادي	غيـــر أرضـــي وغيـــر هـــذي الـــسماء
ألأنـــي أحـــارب الظلـــم أنـــى	كـــان حتـــى فـــي الأنفـــس الرعنـــاء
صـرتُ فـي عـرفكم أجيـرا لمـاذا	أفـسحوا الـصدر كي تحـسوا بـدائي![2]

إن الشاعر هنا يعيد مفهوم الوطنية، أو يطرحه من وجهة نظره الخاصة، فالإيمان بالوطن هو الإيمان بقضاياه، والإيمان بأن يكون للمواطن مساحته التي يتنفس من خلالها بكل ما يريد، ويصبح ضد ذلك: العملاء والدخلاء الذين يريدون بيع الأرض، وهو ما يرفضه الشاعر، لأنه سيبقى للأرض ما ارتبط بها وما نشأ منها، وأما ما جاءها من الخارج، فسيزول.

وتبعاً لذلك جاءت قصائد الشاعر الأخرى لتعكس هموم المواطن، وخاصة في قصائده التي لامس فيها النبض الشعبي المباشر، وحاول فيها أن يقدم نصاً يختصُّ بمفردات اليوم ومشاغله، وهو بذلك يتناغم مع مبادئه، ولا يزعجه أفق التلقي عند غيره، ولذلك قدّم لبعض قصائده بقوله متحدثا عن الموقف منه بعد نشرها: "أخذ علي بعض الأصدقاء بأنني أقحمت الأدب في قضايا ذاتية أو مادية بحتة. وإذا بي أعود في هذه القصيدة لنفس المحاولة، وعلى نفس النمط، فإنما يعني ذلك إصرار مني على أن الأدب جزء من

---

١ انظر قصيدته (غيبة العائد) ص ١٨ عن عنيزة (فيحاء)، وقصيدة إلى الشرق: ٣٩.
٢ ديوان المر والأمر: ٥٥ ـ ٥٦

الحياة، بل أذهب أبعد من ذلك إذ أرفض كليا أي أدب لا يواكب الحياة رائداً أو رافداً أو ناقداً ينبض مع الحياة لأنه قلب الحياة"[1]، وهو تأصيل لفكرة الأدب وهدفه، فليس الشعر وسيلة للترف والطرب المجرد، وإنما هو مساهمة في مواكبة الحياة، وغناء حقيقي لها، وتعامل مع معطياتها كاملة، ولذلك فإنه حاول أن يتقصى المفردات اليومية للمواطن، وهو بذلك يمثل الجانب الاجتماعي في الموقف الوطني، فيقول في قصيدته: (إنذار: من وحي أزمة السكن):

لا أرض عنـــــدك تبنيهـــــا ولا دار	فلـيفن عمـرك أقـساط وإيجـــار
قالوا: الملايين عند البنك. قلت لهم:	ســـيان عنـــدي ملايـــين وأصــفار
أفقــتُ يطــرق بــابي زائــر شــرس	يــدد الحلــم فــي كفيــه (إنــذار)
ارحــل. فمــا ذنبنــا إن كنــت ذا عــوز	ونحـن لـو لـم تـشأ فـي البيـت أحـرار
مــا ذنبنــا إنْ تكــن بــالفقر محتبيــاً	ورأس مالـــــك أوراق وأشـــــعار
ارحـل. فراتبـك المحـدود لـيس سـوى	(سـعياً) تقاضـاه منـا اليـوم سمسار
ابحـث لنفـسك عـن كـوخ تعـيش بـه	فـــإن مثلـــك للأكـــواخ عمـــار
يا بنك غيثك هطّال على أُنُفٍ	لم تستغثك وصحرائي لها النار![2]

وفي قصيدته: (ربما: مع الشوق الضاري إلى بنك التنمية العقاري)، يستحضر الشاعر كل المفردات التي تخدم رؤيته الوطنية، فيتحدث عن صغاره، وانتظار الوعد، والحلم المتحقق، وزراعة الحب، والصغار المتباكين، والدروب، والشجيرات، والصحاب، ولعب الأطفال، وحشد من الحقول الدلالية التي تلتقط تفاصيل قضية المواطن مع بنك التنمية العقاري، ليربطها بعمق الأرض والوطن، حتى تكتسب مشروعيتها الكاملة، ومن ذلك قوله:

أيهـــــا القـــــادم عونــــا للــــــذي يملـــــك أرضـــــا
تــــزرع الآمــــال فــــي دنيــــاه إذ تعطيــــه قرضــــا

---

١ ديوان المر والأمر: ٢٦.
٢ ديوان المر والأمر: ١٦، ١٧.

لــــــم هـــــــذا القيــــــد؟ هــــــل ترضـــــى بحرمـــــاني أترضـــــى؟!
أعطنـــــي أرضـــــاً وخـــــذ مـــــا شـــــئت إبرامـــــاً ونقـــــضا
ازرع الحـــــب بـــــصحرائي فقـــــد أتخمـــــتُ بغـــــضا
أســـــبل الرحمـــــة وانظـــــر صـــــلف الملّـــــاك حـــــولي
يرفعـــــون الأجـــــر أضـــــعافاً فـــــلا يثبـــــت حـــــولي!
أشـــــتكي الليـــــل إلـــــى الليـــــل ويـــــشكو العـــــول عـــــولي!
وصـــــغاري يتبـــــاكون إذا مـــــا حـــــال حـــــولي!
أبتـــــي: هـــــل ســـــنعيش العمـــــر مـــــن هـــــولٍ لهـــــولِ!؟[1]

وأما في قصيدته: (لم يسرقون النور؟)، فإنه يسرد تجربته الشخصية مع الراتب والعلاوة، ويستشعر قوة المعنى وصراحته ووضوحه، فيستفتح ـ وكأنه يعتذر ـ بقول: " لا تنزعجوا من هذا الغضب، فإنني أفترش الدرجة الرابعة عشرة من المرتبة التاسعة، والدرجات الأربع الأخيرة درجات شرف، أي بدون علاوة[2]"، ولعل هذا الغضب نتيجة طبيعية للرغبة في الإصلاح وتغيير الأوضاع غير المناسبة، وهو ما يتكرر في بعض قصائده الأخرى، وخاصة عند تقاطعه مع قضايا الفقر والعوز، وهي قصائد تصنف مع الشعر الذي "اتسم بالثورة والعنف، واللهجة الخطابية، والحماسة الشديدة للهدم[3]"، مع أنه قدم حلولا متعددة في سياقه، فيقول:

لـــــم تـــــسرقُ الأنـــــوار مـــــن أحـــــداق أطفـــــالي الـــــصغار؟!
لـــــم تحـــــرق الآمـــــال والأعمـــــال فـــــي وضـــــح النهـــــار؟!
لـــــم يحقـــــدون علـــــى المحبـــــة والـــــصراحة والحـــــوار؟!
القـــــائلون بـــــلا حيـــــاء (يلـــــصقوها بالكبـــــار)
هـــــذا هـــــو المرســـــوم والـــــنظم التـــــي فيهـــــا يـــــسار
ثم يقول:

---

1 ديوان المر والأمر: ٢٧ـ ٢٨.
2 ديوان المر والأمر: ٣٠.
3 الحركة الأدبية: ٢٩٢.

هـــــــذا جـــــــزاء المخلـــــــصين وغيـــــــرهم يُجـــــــزى النـــــــضار!
ربـــــــاه حـــــــاربني الـــــــصغار وألـــــــصقوها بالكبـــــــار
ربـــــــاه لا أدعـــــــو علـــــــيهم . بـــــل لهـــــم . فهـــــمُ صـــــغار!١

وهي قصائد تتكئ على المنحى العاطفي في الحديث عن قضايا المواطن والوطن، وكأنه يوظف العاطفة بهدف استثارة المتلقي ونقله إلى حيزه المضموني لإقناعه، والتأثير في مشاعره.

ثالثاً الموقف العاطفي:

لم تأت لحظة عاطفية كبيرة في شعر المسلم، ولكنه لا يخلو من إضاءات وإلماحات صريحة، وذلك ضمن عادة معاصريه من التخفف في القول أو الترميز لذلك، ولعل قلة ذلك أوانعدامه عنده راجع لرؤيته الثقافية، وطبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر، وقيل: إن رؤية المدرسة الواقعية في الشعر لا تكاد تُلمُّ بالغزل، وذلك يعود إلى البؤس الذي عاشوه، أو أنه يعود إلى أن مفهوم الشعر عندهم الذي قد يفرض عليهم تجاهله، وأنهم لذلك ضد الذاتية الوجدانية التي لا تعبر إلا عن إحساس الفرد[٢]، ولذلك فقد فسر الشاعر تفاوت المتلقين لشعره القومي والوطني، وصرح بأنه ضد الذاتية والفردية فيه[٣].

تتعدد لحظات الموقف العاطفي الذي مرَّ به الشاعر، فهو ممتلئ بالهجران، والتيه، والعتب، ويتبادل المواقف مع حبيبته، فيقول:

---

١ ديوان المر والأمر: ٣٠-٣١.
٢ انظر: الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية: ٣٣٧.
٣ ديوان المر والأمر: ٢٦.

جـاءت تلملـم مـن أثوابهـا خجـلا ... وتطلـب الـصفح لمـا اجتـازت الأجـلا

مـن بعـد عـشر عجـاف لا ربيـع لهـا ... طـال الفـراق وكـدنا نفقـد الأمـلا

كنـا علـى قـدر أن نلتقـي فمـضتْ ... بنـا الـسنون وحبـل الوصل مـا اتـصلا

كم قلت للأهل: رشـوا الـورد قادمةً ... وأوقـدوا الـشمع وادعـوا للقـرى الجفلا

وكـم تباشـر أولادي وكـم رصـفوا ... طريقهـا بأمـان لـم تـزل أمـلا[1]

ثم إنه صريح في مواقفه العاطفية مثل صراحته في مواقفه القومية، وتحمله صراحته ووضوحه إلى مفاتحة الحبيبة بغير ما تتوقعه، فيقول لها:

عـذرا إذا شـطحتْ حروفـي أو أسـاءك بعـض صـدقي

لـولا بقيـة ومـض ودٍّ مـا حملـت إليـك برقـي

لـولاك فـي العـين الـسواد لمـا احتملـت قيـود رقـي

لكننـي . وأنـا البـريء . علـى يـديك شـهدت شـنقي[2]

إنه الصدق، وإن أوصله إلى القسوة في مخاطبتها، ولذلك فإنه حين يحتدُّ موقفه، وتهجره بغير ما يستحق؛ يثبت لمبادئه، ويتنازل عن هواه:

حبيبتي. عـدت. هـل مـا زلت ذاكـرة؟ ... أم أنّ بُعـد التلاقـي غيـر الـنحلا

سـيان لكننـي أرجـوك يـا قمـراً ... نـسيت أوصـافه أنْ هـلّ أو أفـلا

بالحـب. بـالهجر. بالنـسيان قافلـة ... مـرتْ بـدربيَ وهْمـاً حـلّ وارتحـلا

بمـا وعتـه جراحـي منـك راعفـة ... تحـت الـسياط بعهـد بيننـا انـسدلا

أن لا تقيمـي طـويلاً بيتنـا اتـسعتْ ... شـطآنه. وصـغاري أبغـضوا الأمـلا

مـرّي كمـا جئـتِ. مـلّ الجـرح آسـيه ... مـرّي كمـا جئـت. خلّي الجـرح منـدملا

غمامـة أنـت. إنْ حلّـت وإن رحلـتْ ... سـئمت كـل غمـام حـلّ أو رحـلا![3]

---

١ ديوان المر والأمر: ١٦. ١٧.

٢ ديوان المر والأمر: ٣٣.

٣ ديوان المر والأمر: ٩ ـ ١٠.

وهو رهان الشاعر على الموقف، والتزام الصدق، والوفاء بالمواثيق في سبيل حبه، وحين ترتبك هذه القيم، فإنه يعود إلى المبدأ، ويستهين بالعاطفة، أو أنه يجعل العاطفة تحت طائلة الموقف والقيمة.

ومما يحضر في شعر المسلم العاطفي شعرُ اللوعة والفراق والهجر، أو أن شعره العاطفي متخصص فيه، حيث غاب عنه الشعر الحسي، وبزغ فيه "أنين الجرح، وضراوة الحب، وصورة لكرامة مجروحة جرحها الصلف والكبرياء، لكنها لا تيأس؛ بل تعدو في إثر الظاعنين[1]"، فيقول:

لقـــد فجعتنـــي بنـــات الزمـــان بغـــدر الغريـــب وهجـــر الحبيـــب

وأعجـــم عـــودي فألفيتـــه عـــسير المنـــال قويـــاً صـــليب

أخـــي هـــذه صـــورتي غيرتهـــا صـــروف البلـــى والزمـــان العـــصيب

ولكـــنّ لـــي خافقـــاً صـــامداً تحـــدى البلـــى وتحـــدى النـــدوب

أعـــز علـــى الليـــل مـــن نجمـــة وأبقى ـ على ضعفه ـ من عسيب![2]

وهنا يجتمع الحزن مع العتب، والألم مع الأمل، وكأنه معني بتصوير لحظات الحزن أكثر من لحظات الفرح والبهجة، " وشعر اللوعة يمتاز بعمق الألم، وصور الدموع الساكبة، والسهر والأرق، والقلق الممزق، والظمأ العارم وشدة الحنين والشوق، ووفرة أطياف الذكرى والأحلام، وحدّة الشعور بالوحدة[3]"، وها هو ذا شاعرنا يقول:

وحـــدي! أجـــلْ غـــدر الحبيـــب وخـــان بعـــد الـــود عهـــدي

ومـــشى بـــدرب اللاوفـــاء علـــى ريـــاحين وورد

وبقيـــتُ وحـــدي أخـــضد الأشـــواك عـــن قلبـــي وودي

وبقيـــت وحـــدي والـــدموع. أجـــل أنـــا والـــدمع وحـــدي[4]

إنها العاطفة المتماسكة في المبدأ المنهارة من الداخل، وكأنه يتماسك أمام الجميع،

---

١ الشعر الحديث: ٣٤٢.

٢ ديوان المر والأمر: ٧٨.

٣ الشعر الحديث: ٣٤٥.

٤ ديوان المر والأمر: ٧٦.

وينكسر أمام عاطفته وحبيبته، وتتعاضد العاطفة مع اللغة، حتى إنه حين توحد مع الدموع لم يكتف بها، وإنما شعر أن توحده يفرض عليه أن يقلل قدر استطاعته من الكثرة اللغوية، فتحولت (الدموع) إلى (الدمع) مما ناسب التفرد بين الذات والدمع، وهكذا يأتي شعر العاطفة لديه، حيث يتماسك وينتشي مهما كانت آلامه، فأنت " تحس وأنت تسمع الشاعر ينشد قصيدته الغزلة، أو تقرأها، بالرجولة المتماسكة، وبالعنفوان والصحة والقوة، مهما كانت عاطفته صادقة جياشة قوية[1]".

رابعاً/ الموقف الفني:

حديث الشاعر عن الشعر منتشر في تراثنا، وهو إفراز طبيعي لرؤية الشاعر تجاه الشعر ومفردات قصيدته، ويجعل قصيدته تمثيلا لموقفه النقدي.

وقد حسم الشاعر المسلم منهجه الفني وموقفه في كتابة القصيدة بوصفها وسيلة تغيير للواقع، وسبيلاً لإظهار الموقف وإعلانه على الملأ، فالأدب عنده للحياة، وليس للفن؛ بل إنه يصرح ويقول:

سئمتْ أذنه سماع القوافي عاريات وملّ موسيقاها
قتلتنا قصائد الفخر بماضٍ قتلناه إذ به نتباها
علقتنا (المعلقات) على الأعواد دهراً ولم نعد نقراها
أسكرتنا ألحان ديواننا الضخم فتهنا به زمانا وتاها
ووقفنا. تاريخنا يُخصب الكون وترمى لنا القشور لحاها!
واستفقنا. هل استفقنا؟ مضى الركب وحادى ركابنا ما حداها
فليكن عودك الحميد .إذا عدت .أسى جرحها وريّ ظماها
وليكن حرفك المجنح إزميلاً يلين الصخور ينبع ماها
إنّ أغلى قصيدة نتحراها نُمنّي الهوى بيوم لقاها
يوم يعلو الدخان يوم تُغني مرزمات الآلات أحلى غناها
يوم نملي على الورى صوتنا العالي ملكنا زمامها وعراها

---

١ الحركة الأدبية: ٢٣٦.

عـــــالم اليـــــــوم بالحديـــــــد بنـــــــاه ودنانـــــــا مـــــــل القـــــــصيد بناهـــــــا[1]

إنها تمثل موقفا واضحا من القصيدة، ومن تاريخها، ومساراتها، فما لم تكن في خدمة الحياة، وما لم تحث على القيم والمبادئ، فلا قيمة لها، وهو يقدم رؤيته من خلال صورة مجازية مترفة بالسخرية، فقد علقتنا المعلقات، وأسكرتنا ألحان شعرنا، وتهنا، والحل في العمل والإنتاج والإنجاز، وتلك القصيدة الغالية، وما دون ذلك فلا معنى للشعر حينها، وتستمر الصورة الساخرة من الشعر حين يقيمه في مقابل المال والجاه وغيره، فرأس مال الشاعر (أوراق وأشعار[2]) لا غير.

فالشعر عنده رسالة، وهو ها ذا يبعثها إلى أبي القاسم الشابي "قيثارة الألم المشرقة، إلى التي لم يزل صدى عزفها الشجي يرن فيسمع الدنيا وقلب الوجود. إلى روح أبي القاسم الشابي في عليائها المضيئة وعالمها السرمدي المقدس وصباحها الخالد الجديد[3]"، وتمتلئ قصيدته إلى أبي القاسم بتقديم الشعر بوصفه أمل الشريد، ومرجع الأناة، وبلسم الجرح، وأغرودة الدنيا، وقلب الزمان.

وتبعاً لذلك، فقد جاء إبداع المسلم في إطاره العام تمثيلاً عاما للمذهب الرومنسي في الأدب، حيث " بدأ أولاً مشبعاً بالتشاؤم، ثم تحول إلى غناء للحياة، وتمجيد للشعر، صنو الحياة الحقة، وإن لم يزايله القلق والتطلع إلى المجهول، وانتهى إلى نوع من الانغلاق على نفسه[4]"، وهكذا ترددت في أشعار المسلم المطالبة بأن يكون للشعر وظيفته في نصرة المظلوم، وتغيير الواقع السيء، وتعلق الشاعر بالخيال وأثره، وأن للشاعر حقيقته التي تخصه ولا تتشابه مع غيره، وفاضت على شعره من وراء تأثره بهذا المذهب مشاهد الغروب، والخريف، والوحدة، والندم والألم، والمجهول، والحيرة، والليل، والظلام، والموت، وبدأت مساءلة الحياة عن قيمتها وفائدتها.

---

١ ديوان المر والأمر: ١٢ـ ١٣.
٢ ديوان المر والأمر: ١٧.
٣ ديوان المر والأمر: ٢٠.
٤ أزمة الشعر العاصر، د. شكري محمد عياد، أصدقاء الكتاب ـ القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٢١.

ويمكن النظر إلى مثال ذلك في ظاهرة الوحدة التي تتكرر في شعره، ومن نماذجها قوله:

وحـــــدي وكـــــل النــــــاس ضـــــدي أينـــــا ســـــتراه هالـــــك
ســـــأذود عمـــــا أرتئيـــــه ولـــــست أحفـــــل مـــــن أعـــــارك[1]

وقوله:

أطـــــوي إليـــــك البيـــــد أختـــــصر الزمـــــان أعـــــود وحـــــدي
وحـــــدي! أجـــــل غـــــدر الحبيـــــب وخـــــان بعـــــد الـــــود عهـــــدي
ومـــــشى بـــــدرب اللاوفـــــاء علـــــى ريـــــاحين وورد
وبقيـــــت وحـــــدي أخـــــضد الأشـــــواك عـــــن قلبـــــي ووردي
وبقيـــــت وحـــــدي والـــــدموع أجـــــل أنـــــا والـــــدمع وحـــــدي[2]

وقوله:

وكـــأن لـــم تكـــن لقلبـــيَ ينبوعـــا ... مـــن الـــري فـــي عهـــود ظمـــاء
وكـــأن لـــم تكـــن حيـــاتي قـــروح ... لقيـــت فـــي الحيـــاة كـــل شـــقاء
أنـــت يـــا شـــاطئ النجـــاة لقلـــب ... مـــا اهتـــدى بالـــسهى ولا الجـــوزاء
تـــاه فـــي لجـــة الخـــضم وقادتـــه ... إلـــى التيـــه حيـــرة الأشـــقياء
وهـــوى نحـــو هـــوة الأبـــد المجهـــول ... فـــوق الـــصخور والأشـــلاء
كـــان هـــذا وحـــده الحـــتم لـــولاك ... ولـــولاك كـــان طـــي الفنـــاء[3]

وتعد هذه الأبيات بمثابة النموذج الذي حضر في شعر المسلم من خلال إيمانه برؤيته الشعرية، وتعلقه بالمدرسة الرومانسية.

خامساً: الرؤيا القلقة:

يمثل الموقف من الحياة رسالة يحملها الشاعر، ويكتوي بلظاها، ويظل يقايس الدنيا من خلالها، فيغشاه القلق باختلاف أسبابه، " ومن أسباب القلق: الظروف القاسية، الحب

---

١ ديوان المر والأمر: ٦٧.
٢ ديوان المر والأمر: ٧٦.
٣ ديوان المر والأمر: ١١٣، ١١٤.

المعذب، اليتم، الفقر والحرمان"[1]، وغيرها من المواقف التي تدفع الشاعر إلى معاناة القلق، وأن يعبر عنه.

وعن هذا يقول الشاعر:

قالت: أراك هجرت الشعر والأدبا	أصوح الدهر أم روض الهوى جدبا
قلت: اسألي الطير هل غنى على فنن؟	عرته سود الليالي فالتوى حدبا
قالت: تركت أغاريد الهوى سحرا	وكنت تخفق في أجوائها طربا
قلت ارعوي لم تعد دنياي أخيلة	سماؤها تزرع الأطياب والشهبا
دنياي عسف وآلام وأصفدة	أيعلم القيد عذب اللحن إن سكبا![2]

هذا الحوار الذي يقدمه الشاعر بين ذاتين إنما يتأسس على انهيار القيم التي يؤمن بها الشاعر، وحين تنتهي أو تتلاشى، فإنه يشعر بعدم الجدوى من الكتابة، وهو نوع من القلق الوجودي تجاه الحياة ومفرداتها، ولذلك اختصر حياته بالعسف والآلام والأصفاد والقيود، وانتهى منها الخيال والأغاريد، وكانت الصورة المجازية الخاتمة لهذا المقطع ما جاءت في صيغة الاستفهام، فهل يمكن أن يعلم القيد عن عذوبة الألحان، وهي استعادة مجازية لحالة الطائر المحبوس في قفص، فمهما غنى أعذب الألحان، فإن هذا لن يغير واقعه الذي يُختصر في قفص!

قيم الشاعر هي مصدر قوته وحياته، وبها وعليها رهانه في مواجهة الخطوب، وحين يمسها السوء ترتفع نبرة القلق والشك والرفض لديه، وهو مخلص في حبه للجميع، ولكنه لا يقبل المساومة على مبادئه، فيقول:

لو أنني ذلِق اللسان مجردٌ من كل حبِّ

لو كنت معتوه الضمير مدنِّساً بالغش ثوبي

لو كنت مسلوب الحنان ملوثاً بدماء صحبي

لو كنتُ كنتُ جمعت حولي الحب من شرق وغرب

---

[1] الشعر الحديث: ٣١٢.

[2] ديوان المر والأمر: ١٤.

لكننــــــي اختــــــرت الطريـــــق الـــــوعر حيـــــث: أنـــــا وقلبـــــي[1]

إنه يرسم مقارنة سريعة بين حالتين؛ حالة المداهنة والممالأة، وحالة الوضوح والصدق، ويؤكد على أن الأولى منهما تكفل العيش الرغيد والنعيم الدنيوي الدائم، ولكنه لم يختر الجيد، وإنما اختار القلب، والقلب لا يُرضيه إلا القيم العليا والمبادئ الثابتة.

وحين تضيع الهوية، ويتلعثم الصدق، ولا تصبح الحقيقة ناصعة بيضاء، فإن الشاعر يلجأ إلى تساؤلاته، ويرحل إلى الشك والتردد بهدف الوصول إلى الحقيقة، فيقول:

مـــاذا جنيـــت؟ وحـــزَّ فـــي نفـــسي بـــأني لـــست أعـــرف مـــا جنيـــت!

مـــــاذا جنيـــــت؟ أســـــمعت منـــــي أو رأيـــــت؟

قـــل لـــي بربـــك: مـــا الـــذي عنـــي ســـمعت ومـــا رأيـــت.

أوشـــاية؟ أجنايـــة؟ أم ظـــن ســـوء قـــد وعيـــت؟

مـــاذا جنيـــت؟ ويُـــستفز الظلـــم .حتـــى الظلـــم .يـــصرخ مـــا جنيـــت؟

مـــــاذا جنيـــــت؟ لكـــــي تحطـــــم فـــــي وعـــــودك كبريـــــائي

مـــــاذا جنيـــــت؟ وبـــــسمة صـــــفراء تـــــسحق لـــــي إبـــــائي

مـــــاذا جنيـــــت؟ مـــــسختني مـــــستجدياً لعـــــق الحـــــذاء

أذللتنـــــي بالوعـــــد حتـــــى كـــــاد يخـــــذلني بكـــــائي

قلهـــــا بربـــــك أســـــتريح قلهـــــا تـــــضخّم فـــــيَّ دائـــــي[2]

وهذا القلق والتنازع النفسي يمتد ويحيط بقصائد المسلم، حيث يظهر على مستوى العنوانات مثل: (الضياع، جبل السكارى، ريشة بين العواصف[3])، وتتناسل مفرداته في أبيات القصيدة.

وأعتقد أن من أسباب القلق والشتات العاطفي ما يتمثل في واقع الشاعر نفسه، حيث عصفت به الأماكن والتنقلات، وواجه صعاباً متعددة في دنياه، وعاش لحظات الموت والفراق مع أحبابه وأصدقائه وأماكنه.

---

١ ديوان المر والأمر: ٢٤.

٢ ديوان المر والأمر: ٣٢.

٣ ديوان المر والأمر: ١١٨ـ ١١٩.

وتبعاً لهذا القلق والاغتراب والشتات الذي عاشه الشاعر، وظهر في شعره، يمكن القول: إنه تجلى في قصيدته بكثرة الحديث عنه، أو باستدعاء مفرداته، "وأغلب اغتراب الشعراء اختياري، حيث يشعر بعدم الانسجام مع مجتمعه وواقعه الاجتماعي، ولما يراه من انفصام في المجتمع، وتضاؤل المثل والقيم فيه"[1]، ومن هنا ظهرت عنواناته كاشفة لقلقه، ومنها: (المر والأمر، والضياع، ولم لم تفي؟، ومنارات الهموم، والحب الضائع)، ولعله يمثل هذا المنحى القلق في قصيدته الهجائية التي استفتحها بقوله: " هذا الهجاء لا يُعنى به شخص بذاته؛ بقدر ما يُعنى به فئة من الناس تتجلل بالسواد، وتتشح بالخنى، وتعيش على أكوام الفضيلة، وأكداس من الحقد الأسود"[2]. إنه هجاء للقيم عندما تتحول عن الفضيلة، وتنحرف إلى الحقد والشر، وكأنه هجاء للمجتمع أو لشريحة منه، وليس هجاءً لفرد أو أفراد معينين.

وهو يتحدث عن هذه القيم بالصيغ المطلقة فيقول:

الحاقـــــدون علــــــى الــــــضياء	الزاحفــــــون مــــــع الظــــــلام
النـــــــاقمون الزارعـــــــون	الـــــشوك فـــــي درب الأنــــــام
الحــــــالمون بكــــــل مجــــــزرة	يترجمهــــــا الطغــــــام
الـــــــشانقون العنـــــــدليب	علـــــى صـــــليب الانتقـــــام
الناهـــــــشون ومـــــــالهم	ظفـــــر ولا حتـــــى ســــــهام
أوكــــــار شــــــرٍّ عشــــــشت	بقلـــــوبهم وصـــــدى حمـــــام![3]

حيث تكاثرت الجمل الاسمية ليمنح معانيه البعد المطلق، وكأن قلقه مستمر باستمرار هذه الظواهر التي ينتقدها؛ بل تواترت الصور الشاعرية التي تحقق صورته القلقة، فهو الذي يقول عن نفسه: (ركلتني الدنيا)، و (أحيا للآلام)، وهو (ريشة بين

---

١ حركة الشعر في منطقة القصيم: ٢/ ٧٥٧.
٢ ديوان المر والأمر: ٨٣.
٣ ديوان المر والأمر: ٨٣.

العواصف)[1]، وهو يؤكد على انتهاء معنى الحياة من حياته، ويرمز لذلك حين يقول: (لم تعد دنياي أخيلة)، و(سئمت الليل)[2].

ولعل الهرب إلى الطفولة، أو الخوف عليها، هو أحد أبرز ملامح القلق من المستقبل والخوف من الموت عند الشاعر[3]، حيث إن اقتران بعض القصائد بالطفولة، أو التخوف على مستقبلهم، أو التمتع بنوع من القلق معهم، هو أثر من آثار القلق البارزة.

فيقول عن ابنته (هدى):

هـــدى. أيـــن ابتـــسام الزهـــر فـــي ثغـــر الهـــوى العـــذري؟

هـــدى. أيـــن انـــسياب اللحـــن بابـــا أيـــن لا أدري!

بعـــدت ولـــم أعـــد أســـمع إيقـــاع الهـــوى المغـــري

بعـــدت وحـــال مـــا بينـــي وبينـــك قاصـــم الظهـــر[4]

وتنعقد معاني الشاعر الاجتماعية بأطفاله، ومصيرهم، وذلك تبعاً لقلقه الذي يستبد به، ومن هنا تدور فكرة قصيدة (إنذار) و(ربما)[5] على معاناة أطفاله، وألعابهم، وأصدقائهم، ويصور استبداد الأسئلة بهم، فيقول عن أزمة السكن:

أبتـــي مـــا بالنـــا نرحـــل مـــن بيـــت لبيـــت؟

لعبـــي! هـــشمها النقـــل علـــى ظهـــر (الونيـــت)

ودروبـــي وشـــجيراتي التـــي عمـــري ســـقيت

وصـــحابي! لـــم أكـــد أعـــرفهم حتـــى نـــسيت!

أبتـــي، كـــم لـــك مـــن بيـــت. أمـــا ترضـــى ببيـــت؟![6]

ومهم، هنا، التأكيد على أن قلقه وفزعه من الدنيا لم يكن مطبقاً يدفعه إلى رفض الدنيا، والأصدقاء، وإنما يدفعه إلى مجالدة الصعاب، ومعاندة الصعوبات، فهو يصرح بأن (يرتفع

---

١ انظر قصيدته (ريشة بين العواصف) في ديوان المر والأمر: ٨٢.

٢ انظر قصيدته (قالت وقلت) في ديوان المر والأمر: ١٤.

٣ شعرية القلق عند بدر شاكر السياب: ٢٣٤.، علي علي آل موسى، دار الأولياء. بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م،

٤ ديوان المر والأمر: ١٠٧.

٥ ديوان المر والأمر: ١٦. ٢٨.

٦ ديوان المر والأمر:٢٨.

رأسه)، ويؤكد على أنه أُمطر من لهب الشقاء، والعواصف تعاند طوده، ولكنه أقسم ألا ينثني أمام راية الجبناء، وسيحفظ كرامته أمام من لو أرادوا لجففوا دمعه[1]، ويقول:

أنـــــا لـــــم أزلْ أحيـــــا، ويكفـــــي أننـــــي مـــــا زلـــــت أحيـــــا!

أنـــــا حيـــــث يعرفنـــــي ضـــــميري. منزلـــــي: حـــــدق الثريـــــا

يـــــأبى الإبـــــاء بـــــأن يظـــــل ســـــؤاله لغـــــزاً عـــــصيا

يـــــأبى . ومـــــن شـــــرف الإبـــــا . أن يُخـــــضع الـــــوعر القـــــسيا[2]

لم يفشل الشاعر، ولم تنهزم القيم، هنا، ولذلك فإنه لم ينسحب من ميدان الحياة، وإنما انسحب من ميدان الأصدقاء، وتعلق بمبادئه، وضميره، وإبائه.

ويبلغ القلق منتهاه في قصيدته (هذا أنا)، حيث تمثل موقفاً رافضا معاندا للعصبيات الاجتماعية أياً كان نوعها، وهو ما يمكن أن نسميه (قلق الانتماء)، والمفارقة، هنا، أن تتحاور مع من يماثلك، ولكنه يعتقد بتميزه، ثم تبدأ سلسلة من الحجاج المنطقي، فيقول:

أيهـــا المرجفـــون فـــي كـــل آن ... أيهـــا النـــاعقون فـــي الأجـــواء

أيهـــــا الـــــسائلون أي رداء ... ارتديـــــه وأي لـــــونٍ طلائـــــي

عربـــيٌ أنـــا، ولـــو لـــم أقلهـــا ... بلـــساني لقلتهـــا بـــدمائي

عربـــيٌ أنـــا، بقلبـــي وفكـــري ... لا بأصـــلي وإن يكـــن ذا عـــلاء

أنـــا يـــا قـــوم مـــثلكم عربـــي ... لا لـــشرق ولا لغـــرب نـــدائي

أنـــا لا لـــون لـــي ســـوى لـــون أرضـــي ... أنـــا كالمـــاء. كيـــف لـــون المـــاء؟![3]

لقد بنيت القصيدة على النزعة الخطابية عالية الوتيرة، فشاع فيها حرف النداء، والتكرار، والنفي، وكلها وسائل جسدت رؤيته القلقة تجاه العصبية، والمواقف غير الأخلاقية التي تحاكم الإنسان بناء على لونه وانتماءاته التي لا يتحكم بها، ومن هنا، ابتدأها بحرف النداء (أي)، وتكرر استخدامه له، كما تكرر تأكيده على العروبة، والحجاج

---

١ انظر قصيدته (فليرتفع رأسي) في ديوان المر والأمر: ٤٢.

٢ ديوان المر والأمر: ٣٣.

٣ ديوان المر والأمر: ٥٥.

من خلال التأكيد على التماثل المطلق بين المختلفين، وأنه يمتلك عنصر الانتماء الأقوى، وهو أنه ابن الأرض، وقد تحول مفهوم العروبة لديه، فهو العربي الأصيل، ولكنه يؤكد على أن العروبة ليست انتماء المكان فحسب، وإنما انتماء الفكر والثقافة والهوية.

آفاق التجليات الفنية:

مهما كانت آفاق النص الشعري المضمونية، فإنه يعد وثيقة لغوية صرفة تكشف دراستها عن الوسائل الأسلوبية التي قدمها الشاعر من أجل تحقيق هدفه العام في شعره.

ويمكن النظر في شعر عبدالعزيز المسلم من خلال عدد من السمات الأسلوبية التي تجلت في شعره، وكانت علامة فارقة نركز فيها على ما يمكن أن تحتمله من المعاني.

أولاً/ الألفاظ والتراكيب:

أ) الاختيارات المعجمية:

يتمتع نص المسلم الشعري بسمة الوضوح في اختياراته المعجمية بشكل عام، ولا تكاد تجد كلمة غامضة في دلالتها إلا ما كان عائدا لعلم أو نحوه[1]، وأما لغته العامة في شعره، فهي اللغة الشائعة الذائعة، ولذلك وجد نصُّه هذا الصفاء المستقر في تلقيه، فهو يقول في قصيدته (لا تقلها ما زال عودك لدنا):

لا تقل: بيننا الأمانيُّ تفنى بيننا للحياة ربع ومغنى
دربنا إن يكن على الشوك سرْناه سيزدان بالورد يغنى
ربّ ليل نجومه يقظات هلعاً مَنْ يكونه وهي وسنى[2]

[1] يستخدم الشاعر (صنقر) في إحدى قصائده (ديوان المر والأمر: ١٩)، والصنقر جبل في عنيزة.
[2] ديوان المر والأمر: ٣٤.

فتأتي قصيدته بمعان واضحة، وألفاظ مناسبة، توشك أن تتحول إلى نثر لولا الإيقاع، والصور، فتحققت بهما الشاعرية، وهو ما يطرد في ديوانه لولا أن نجد بشكل نادر بعض الألفاظ الغريبة مثل قوله:

أنـــــا عـــــالم الحرمـــــان بـــــل جــــسّمني الـــــضياع إلـــــى نفـــــور

أنـــــا أمــــــة غرثــــــى تحــــــت الـــــسير خلــــف صـــــدى الزهـــــور

حفيــــــت خوافيهــــــا وحطمــــــت القــــــوادم فــــــي الـــــصدور[1]

فظهرت في هذه القصيدة - على خلاف السائد في ديوانه - ألفاظ غريبة الدلالة، وهي: (غرثى / خوافيها / القوادم[2])، وهي مختلفة عن النمط الذي ينتشر في شعره، وكأنه تناسب مع اسم القصيدة التي تتكلم عن (الضياع)، فجاءت ألفاظها محققة لهوية صاحبها، إذ تغير تعامله مع الألفاظ تبعاً لمعانيها.

ومما يستدل به على هذا الوضوح أن تأتي بعض الاقتباسات ضمن نسيج البيت، وكأنه منه تماماً، فلا تحس باختلافها، ومن ذلك قوله:

نــــزرع الـــدرب لا نكـــلُّ وويـــلٌ	لعـــــدو الحيـــــاة ممـــــا بـــــذرنا
يطفـح الكـأس. ويـلٌ مـن أتـرع الكـأ	س قـــــراراً علــــى أســــانا وحزنــــا
كـسِّريه. أحقـاد مـن حُرمـوا المـا	ء علـــى رأس غاصـــبي المـــاء لعنـــا
(فاقـد الـشيء لـيس يعطيـه) والويـ	ـــل لمـــن أســـلم القيـــاد فـــأخنى[3]

لقد تسلسلت الكلمات في هذا المقطع الشعري بروح متعالية عن اللحظة الدنيوية، ومترقية في سلم المبادئ العليا، ثم جاء هذا الاستشهاد (فاقد الشيء لا يعطيه)، وكأنه من صلب القصيدة، ومن بنيتها اللغوية المتجانسة، حاملاً هذا الوضوح.

---

١ ديوان المر والأمر: ٥٧.

٢ الغرث هو الجوع، والخوافي: ما دون ريش الطائر في مقدم جناحه، أو سعفات يلين قلب النخلة (معجم مقاييس اللغة: مادة غ ر ث ومادة خ ف ي)، وأما القوادم، فهي للطائر، أي نقيض مؤخرته (أساس البلاغة: مادة خفي).

٣ ديوان المر والأمر: ٣٥..

ب) الاستفهام:

يقدم الشاعر معانيه من خلال وحدات لغوية متعددة تتكامل في اتجاه المعنى، ومن ذلك الاستفهام الذي شكل سمة مطردة في بنية نصوص الشاعر وحركة معناه فيها.

ويمثل السؤال قيمة دلالية مهمة، فهو وسيلة استنطاق للمعنى، وطريقة أسلوبية لزيادة الدلالة، إذ يتطلب إجابة قولية، أو يقوم بالإثارة لإجابة مضمرة.

لقد تكرر استخدام الشاعر للاستفهام، حتى جاء عنواناً بارزا لعدد من قصائده، ومنها: (أي معنى للشعر؟)، و(لم يسرقون النور؟!)، و(لم لم تفي؟)، و(هل يعود؟)، و(أتذكر؟)، و(هل أراها؟)، و(من هم؟)، و(كيف أنسى؟)[1]، وهي كثرة واضحة تشكل تعلقاً لافتاً بفكرة الاستفهام، وأثره في المعنى، فتكرر الاستفهام في قصيدة (أي معنى للشعر؟) - مثلاً - جاء في أكثر من ثمانية عشر مرة[2]، وكان سبيله سبيل تحقيق المعنى المباشر المتصل بفكرة القصيدة، فيقول:

قل لنا: هل رأت غبار خطانا؟ حافيات. وهل درت منتهاها؟!
هل وعتنا؟ ونحن نغزل دنيانا بساطا تتوه فيه خطانا!
هل رأتنا؟ ونحن نبسط شكوانا على كل ومضة من سناها!
هل رأتنا ونحن نرنو إليها؟ هل أمرَّت على الظلام رداها؟
هل أحست؟ هل انتشت؟ حين كنا نتغنّى بنورها بصفاها؟
هل تباهت؟ ونحن ننظمها عقداً يهادي به الفتاة فتاها؟[3]

إنها قصيدة تتحدث عن أرض الشعر ومغانيه وملاعبه، ومن هنا، فقد حاول الشاعر أن يتعمق في المعنى حتى استنطق مفردات الأرض مثل الخطوات، والظلام، والنور، والصفاء، وغيرها.

وتأتي قصيدته الأخرى (ماذا جنيت؟) مثالاً إضافياً على هذا، فقد أخذ عنوانها من السؤال، وجاءت مفرداتها منبثقة من سؤالها، حيث يقول:

---

١ ديوان المر والأمر: ١١٧ـ ١١٩.
٢ ديوان المر والأمر: ١١.
٣ ديوان المر والأمر: ١١.

مــــاذا جنيـــت؟ وحـــزَّ فـــي نفـــسي بـــأني لـــست أعـــرف مـــا جنيـــت!
مــــــاذا جنيـــــــت؟ أســـــــمعت منـــــــي أو رأيـــــــت؟
قـــل لـــي بربـــك: مـــا الـــذي عنـــي ســـمعت ومـــا رأيـــت.
أوشـــاية؟ أجنايـــة؟ أم ظـــــن ســـــوء قـــــد وعيـــــت؟
مــاذا جنيــت؟ ويُــستفز الظلــم .حتــى الظلــم .يــصرخ مــا جنيــت؟[1]

هذه القصيدة تتحدث عن الألم واللوعة والحزن، وقد انفجر موقف الشاعر منذ عنوانه، حيث ابتعد عن التقريرية المباشرة فيما لو قال: الحزن أو الألم، ولكنه انتزع هذا المعنى من المتلقي، وجعله يعيش مأساته وجرحه من خلال السؤال، لأنه ألزمه أن يردد معه: (ماذا جنيت؟)، فجاءت الضمائر الخاصة بالمتكلم متناغمة مع طبيعة السؤال، حتى أصبح القارئ هو المتكلم، وهو الذي يعاني، وعندما يعاني الشاعر من احتباس المعنى، فإنه يلجأ إلى تكرار السؤال، وهو الكفيل بنقل حرارة معانيه، فيقول:

أوشـــاية؟ أجنايـــة؟ أم ظـــــن ســـــوء قـــــد وعيـــــت؟
مــاذا جنيــت؟ ويُــستفز الظلــم .حتــى الظلــم .يــصرخ مــا جنيــت؟[2]

ولئن تكررت الأسئلة في البيت الأول، فإن سؤاله الاستفتاحي في البيت الثاني (ماذا جنيت) شمل البيت من أوله إلى آخره، وكأنه استفتح به طمعاً في العثور على الإجابة، وحين لم تتوفر له احتفظ بسؤاله ومفاجأته، فختم به.

ج) التكرار:

تمثل خاصية التكرار مؤشرا أسلوبياً يعكس رؤية الشاعر تجاه مضامينه، من حيث تعلقه النفسي بها مما يدفعه إلى تكرارها في شعره.

فعندما يتحدث المسلم عن المكان، ويتجه إلى تجذير العلاقة به، وأن الانفصال الجسدي عنه لا يعني الانفصال العاطفي تجاهه، فإنه يتجه إلى أسلوب التكرار، وذلك رغبة في تعميق الارتباط به، فهو يتحدث عن عنيزة، ويقول في قصيدته (غيبة العائد):

---

١ ديوان المر والأمر: ٣٢.
٢ ديوان المر والأمر: ٣٢.

فيحاء ما كنت أسلو لو سلا نزقي لو أسكنوني جنانا زوقت ذهبا

لو ألبسوني نطاق المجد مغتربا خلعته ولبست الحب مقتربا

فيحاء ثغري الذي يفتر مبتسما فيحاء وجدي الذي ما انفك ملتهبا

فيحاء مهد صباباتي توهجها نضارة العود في عمري الذي شحبا

فيحاء حبك ورد يحتسي ظمأي به ولولاه عودي أصبحت حطبا

فيحاء أعشق فيك الأهل ما غرسوا وما بنوا قببا شماء أو عتبا[1]

لقد تحولت العلاقة العاطفية بالمكان إلى علاقات لغوية في التركيب، حيث تواترت مفرداته حسب ما تمليه العاطفة، ولئن كان التركيب اللغوي يجيز، أو يحبذ، الاستغناء بالضمائر، فإن الشاعر يكرر ذكر (فيحاء)، وهو المرادف لاسم مدينته: عنيزة، بهدف تمتين العلاقة مع المكان، إضافة إلى أنماط أخرى للتكرار مثل الإشارة، أو التعبير عن المكان بمرادفات أخرى، وهو ما ينتشر في القصيدة.

ويظل المكان محورا مهماً في أسلوب التكرار، ففي قصيدة (إنذار) التي تتحدث عن أزمة السكن يستفتح الشاعر قصيدته بالتعبير الشائع: (لا أرض عندك)، وتبعاً لهذا الاستفتاح تتناسل بقية المفردات اللغوية التي تؤكد أحقيته بهذا المكان الذي ينفون عنه امتلاكه، حيث لم يكتف بالمكان العاطفي الذي رسمه في عيون أطفاله، وإنما بدأ يرسم ملامحه الحقيقية، فيقول:

هنا. ينام صغاري في أرائكهم هنا الضيوف إذا ما جاء زوار

هنا ترتب أسفار مشتتة هنا تغرد أطيار وأشعار

هنا أتاك خلي البال في دعة هنا ترونق أبواب وأستار

هنا اجتماع ذوات الخدر منفردا هنا تقام أهازيج وأسمار

هنا مكان التقاء الصحب أخجلني أن لا أراهم ولا للبيت قد زاروا

هنا ملاعب أطفالي حديقتهم هنا تشع على الأسوار أنوار

---

١ ديوان المر والأمر: ١٨، ١٩.

هنــا أبيــت قريــر العــين مبتهجــاً أصـيح مــلء فمــي قــد صــار لــي دار[1]

لقد حضر اسم الإشارة (هنا) بصفة مطردة، وذلك بأنْ حمل دلالته اللغوية، كما حمل دلالات عاطفية مثقلة بالإيحاء إلى غاية الشاعر، فالمكان الذي يحاول بعضهم أن يسلبه من الشاعر هو مكانه الأصلي، ومكان أحبابه كلهم، ولذلك تعلقت كل مفرداته به، وتكرر اسم الإشارة (هنا) على هذا النحو المطرد.

وتستمر سمة (التكرار) في أسلوب الشاعر في موضوعات شتى لا تبتعد كثيرا عن العاطفة، وتعزيز تجلياتها من خلال اللغة وتراكيبها، فهو في قصيدته إلى ابنته (هدى) يكرر اسمها أكثر من عشر مرات في قصيدة تعكس حسب إضاءاتها العامة حالة انقطاع بينهما بسبب سفر بعيد، وتعود سمة التكرار رغبة في تقريب المسافات بينهما، بل إنه يستمر في تكرار اسمها في شوق لها بداية قصيدته, ثم يتوقف عن ذكر اسمها في نهاية قصيدته, وكأنه بدأ في مرحلة الاقتراب، فيقول:

ولاحــــت لـــــي علـــــى الأبعــــاد أطيـــــاف مـــــن الــــــسحر
وغنّــــت فــــي حنايـــــا الـــــروح صـــــورة وجهـــــك البكـــــر
وخلــــت بـــــأنني قـــــد طـــــرت نحـــــو الخلـــــد فـــــي شـــــعري
سأنـــــشر خـــــافقي العـــــاني وأضـــــرب ثـــــابج البحـــــر
شـــــراعاً يركـــــب الأحـــــلام والآلام إذ يـــــسري
يطيـــــر إليـــــك يحـــــضن عـــــودك الريـــــان كـــــالزهر[2]

بل إن الشاعر يلجأ للتكرار في إحدى قصائده من خلال المزاوجة بين بيتين متتالين أو ثلاثة، أو تكرار التراكيب والجمل، فيبدأ بالمفردة ذاتها، أو قريباً منها، فيقول:

آه لــــولاك أيهـــا الأمـــل المرمـــوق يـــا صـــورة الحبيـــب النـــائي
آه لــــولاك حـــين كنـــت نـــشيدي وربـــابي ومزهـــري وحـــدائي
حـــين كنـــت الرضـــا فـــي كـــل أفـــق مـــن وجـــودي وقبلتـــي وســـمائي

---

[1] ديوان المر والأمر: ١٦.
[2] ديوان المر والأمر: ١٠٧ـ١٠٨.

حـــين كنـــت الحيـــاة والمـــوت والبعـــث ودنيـــا مـــسرتي وشـــقائي

أبـــداً يـــا حيـــاة تخبـــو أحاسيـــسي ويطغـــى علـــى وجـــودي فنـــائي

أبـــدا يـــا حيـــاة تغنـــي أغاريـــدي علـــى شـــاطئ مـــن الأشـــلاء

أبـــداً يـــا حيـــاة لا بـــسمة منـــك تعـــزي الفـــؤاد بعـــض العـــزاء

جئـــت أبكـــي وعـــشت أبكـــي حنانيـــك أأفنـــى فـــي عـــالم مـــن بكـــاء؟

أي مـــوج رمـــى بـــي القـــدر العـــاتي؟ إلـــى أيـــن مـــوردي وانتهـــائي؟

يـــا وجـــودي اليتـــيم كـــم مـــر مـــن دهـــر؟ وأنـــت المـــضاع فـــي البيـــداء

يـــا وجـــودي اليتـــيم كـــم لـــك مـــن صـــبر علـــى كـــل حـــادث وبـــلاء[1]

وهو نمط أسلوبي من التكرار قد يدل على تشابه المعاني عنده، وتوحد الرؤية، وارتفاع مستوى العاطفة، حتى اضطر إلى تكرار ما لم يكتف منه من الألفاظ؛ طمعاً في صناعة معان إضافية أخرى.

ثانياً/ بناء القصيدة:

أ) عنوانات القصائد:

يعد عنوان القصيدة عتبة رئيسة من عتبات النص، واستكشاف ملامح المعنى فيه، وقد جرى لعنوانات القصائد تحولات متعددة في الشعر تتصل بارتباطه بالقافية أو الغرض أو مطلع القصيدة أو بفكرته الرئيسة[2]، مع أهمية التأكيد على أن المستوى الفني المميز من العنونة في الرؤية النقدية الحديثة هو أن يضمر دلالات متنوعة أكثر من التصريح بها[3].

وقد خلت العنوانات لدى المسلم من سمات الاطراد الكلية في خصائصها، إلا أن الغالب عليها هو القصر والدلالة المباشرة على معانيه فيها.

فأما القصر، فمن عنواناته: (إليها / يا شعر / ربما / وداع / إلى الشرق / هذا أنا / هل يعود / خفقة / ضراعة / وطني / هدى)، وغيرها، وهي تتكون من كلمة أو كلمتين في

---

١ ديوان المر والأمر: ١١٤.

٢ انظر: عقدان من الإبداع الأدبي السعودي، (أبحاث الملتقى) العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهرا إبداعيا، أ.د عبدالله بن سليم الرشيد، ٨٤.

٣ انظر: سيمياء العنوان، د.بسام قطوس، وزارة الثقافة ـ عمان، ط١، ٢٠٠١، ص٥٠.

أغلبها، ويشذ عن ذلك عنوانات قليلة تأتي في أكثر من ذلك مثل: (على روابي شهار / أغنية حب إلى وردة الجزائرية / تحية إلى شباب الكويت الشقيق).

وأما الدلالة المباشرة في عنواناته، فمنها قصيدته المعنونة بـ (قالت وقلت)، حيث إنها ليست على مستوى الشكل أكثر من رصد لحوار بين الشاعر وصاحبته حول الشعر، وتبتدئ أبياتها الأولى بهذه الصيغة المطردة (قالت، قلت)، إلى أن تتوقف عن القول، وهو يستحثها على الإجابة ـ حيناً ـ ويطالبها بعدم السؤال ـ حيناً آخر ـ فيقول:

لمن أغني؟ أجيبي. ضجَّ في وتري	لحن يواكب ركب النصر مرتقبا
لا كنت. لاكان قيثاري. ولا نغمي	إنْ لم أفجره من أوتاره لهبا
لا تسأليني. سئمت الليل فاطرحي	لومي وعودي فلن ألقاك منتحبا؟!![1]

وهكذا بقية قصائده، حيث يختصر العنوان مجمل معاني القصيدة، أو إنه المعنى الرئيس الذي تتناسل منه بقية المعاني، فقصيدته (الضياع[2]) لا تتجاوز معانيها معنى عنوانها؛ بل إن عنوانها يتكرر ثلاث مرات في أبياتها، وتؤكد بقية أبيات القصيدة على معنى الضياع هذا، وفي هذا دلالة على وعي الشاعر بفكرته الرئيسة، وأنها تدور حول هذا المحور الرئيس.

وأحياناً يأتي عنوان القصيدة مشيراً إلى مستوى التجنيس في القصيدة نفسها[3]، فقصيدة (قالت وقلت[4])، تدل على محتواها السردي الحواري بين طرفين، على حين أن قصيدة (قصيدة هجاء[5]) ملبسة من حيث دلالتها على إطارها، فالتأكيد على المفردتين فيها مثير للتأمل، لأن التصريح بالمفردة الأولى (قصيدة) يوحي بموقف مختلف من مفهوم الشعر فيها، حيث لم يسبق له التصريح لأي قصيدة سابقة أنها (قصيدة)، مما يعني أن

---

١ ديوان المر والأمر: ١٤.
٢ ديوان المر والأمر: ٥٧.
٣ انظر: الدلالة المرئية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٢٤.
٤ ديوان المر والأمر: ١٤.
٥ ديوان المر والأمر: ٨٣.

الشاعر هنا متردد حيال الغرض الذي تضمنها وجاء في الكلمة الثانية من العنوان (هجاء)، وكأن الشاعر يجد في قصيدته هذه نوعاً من الارتباك في دلالتها أو في محتواها وآلية تقديمها، مما دفعه إلى التصريح بنوعها المعروف، والتصريح بغرضها، وهو ما اتضح في مقدمتها عندما وضع الشاعر تمهيدا يدل على تردده في الهجاء، وأنه يشمل كل من اتصف بالمضامين السيئة.

ب) مطالع القصائد:

لاريب أن "الشعر قفل أوله مفتاحه"[1]، وكان هذا المفتاح بمثابة لحظة المصافحة المبكرة بين الشاعر والمتلقي، وأصبح تبعاً لذلك جاذباً أو طاردا له، وكان النقاد يطالبون الشاعر ويلحون على جودة المطلع بحيث يكون المطلعُ دعوةً ملحة لإكمال القصيدة، وتحفيزا لمتابعة ذلك؛ لما له من أثر كبير في النفس[2].

وقد التزم شاعرنا، غالبا، بالتصريع بوصفه أثرا من آثار القول على النمط الشعري المألوف، بحيث يكون آخر الشطر الأول من البيت الأول مماثلا لآخر الشطر الثاني منه، وذلك بشكل مطرد نسبياً في قصائده.

كما يمكن ملاحظة الأسلوب الخبري الذي سيطر على مطالعه، بوصفه نمطاً من أنماط التقليدية فيه، كأن يقول:

الحاقدون على الضياء   الزاحفون مع الظلام[3]

ومثله المطالع الاستفهامية التي تستحث المتلقي على الدخول مباشرة في خضم المعنى، والبحث عن الإجابة، ولكنها لا تعدو التركيب المعتاد، فهو يقول:

---

١ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ٢١٧، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٣، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

٢ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م، ٢٩٧.

٣ ديوان المر والأمر: ٨٣، ومثلها في: ٨٢، ٥٢، ١٠٤..

مـــــن أيـــــن؟ مـــــن درب الوجـــــود الجهـــــم صـــــخري المـــــسالك[1]

ومثلها مطالع النداء التي تتكرر في الديوان ممتزجة بالاستفهام أو مخلصة للنداء، فيقول:

يـــا ليـــل يـــا كهـــف الهمـــوم وســـدة الغيـــب الجهـــوم[2]

وتبدو هذه المطالع تقليدية بسبب قيامها على نسق سابق ينظم على منواله الشاعر، ولم أجد فيها الروح الشاعرة التي تحمل على الإيمان بحرارة المعنى فيها، بينما يتجلى لدى الشاعر أسلوبان مختلفان في المطالع، وهما القصصي، والنفي.

فأما القصصي، ففي قول:

قلــت: أنــساك. قلتهــا وتخيلــتُ ... بـــأن الهـــوى إذا قلـــت ينـــسى[3]

ولعل من ألطف مطالعه القصصية قوله:

جــاءت تُلملــم مــن أثوابهــا خجــلا ... وتطلــب الــصفح لمــا اجتــازت الأجــلا[4]

وأما النفي ففي قوله:

لـــم أقلهـــا! لـــم أمـــزق حجـــب الكلمـــة عنهـــا[5]

وهذه المطالع بمجملها تؤكد التزام الشاعر بالنمط المعتاد من القول الشعري العربي، حيث لم يتميز بابتكار المختلف، ولكنه قدم صياغاته المختلفة ضمن الإطار المعتاد، مع وجود مطالع تقليدية غالبة على نسيجه.

ج) المقدمات والمناسبات:

ومما يتصل بعتبات النص، ما يمكن وصفه بالمناسبات والمقدمات، فالشاعر معنيٌّ بصناعة نصه على الوجه الذي يرضيه، وبالشكل الذي يحقق غايته من فنه وأدبه، حيث

---

١ ديوان المر والأمر: ٦٧، ومثلها في: ٩١، ١٠٥، ٨٧، ٧٩، ٦٧، ٣٢، ٣٠.
٢ ديوان المر والأمر: ٩٣، ومثلها في: ٦١، ٦٤، ٥٨، ٥٥، ٥٠، ٢٠، ١١٥، ٧٨.
٣ ديوان المر والأمر: ٧٣، ومثلها في: ١١٢، ٦٢، ٤٦، ١٤.
٤ ديوان المر والأمر: ٩.
٥ ديوان المر والأمر: ٨٩، ومثلها النهي في ٣٤..

يؤمن بأن الأدب للحياة، وأنه لا خير في الشعر ما لم يوصل رسالة، أو يحقق نتيجة. إن " الأدب جزء من الحياة، بل أذهب أبعد من ذلك إذ أرفض كليا أي أدب لا يواكب الحياة رائداً أو رافداً أو ناقداً ينبض مع الحياة لأنه قلب الحياة[١]".

وفي إطار ذلك، فقد تدخل الشاعر في علاقة المتلقي بالمعنى، وذلك بأن اجتهد في أن يصنع لنصه إطاراً دلالياً خاصاً يضمن له وصول المعنى الذي يريده، فهو يهدي قصيدته، ويشعل رمزيتها، ويضع مناسبتها، ويشرح فضاءاتها الدلالية، وغير ذلك.

ففي قصيدته (أي معنى للشعر)، يقول قبيل بدايتها: " إلى صانع الشعر ووزير الصناعة. بمناسبة قرب صدور ديوانه الجديد عن دار العلوم[٢]"، وهذا الإهداء ليس رتابة تقليدية منفصلة عن النص ومعناه، وإنما إهداؤه إلى شاعر سماه (صانع الشعر ووزير الصناعة) جعله يصرف معاني قصيدته كاملة إلى قيمة الشعر، وأثره، وجداوه.

ومثله ما صنعه في إهداء قصيدته (ياشعر) " إلى قيثارة الألم المشرقة. إلى التي لم يزل صدى عزفها الشجي يرن، فيسمع الدنيا وقلب الوجود. إلى روح أبي القاسم الشابي في عليائها المضيئة[٣]"، حيث جاءت القصيدة كاملة في الشعر، وقيمه العليا، وأثره، واستلهمت روح أبي القاسم في نسيجه الشعري، وختمها بأن منح الشعر صفة الخلود، كما أشار إليه في مقدمته، فيقول:

يـــا شـــعر، يـــا إغـــرودة الـــدنيا	ويــــــا قلــــــب الزمـــــــان
يـــا بلـــسم الجـــرح الـــصديع	بلـــى. ويـــا نبـــع الحنـــان
جلجـــلْ بـــأجواء الفـــضاء	وغنّنـــا لحـــن الإبـــاء
فـــالكون أجمعـــه صـــداك	وأنـــت أنـــت صـــدى الـــسماء[٤]

---

١ ديوان المر والأمر: ٢٦.
٢ ديوان المر والأمر: ١١.
٣ ديوان المر والأمر: ٢٠.
٤ ديوان المر والأمر: ٢٣.

وأما في قصيدته (المر والأمر)، فقد جاء استفتاحها بقول: "إلى.. إلى.. لا أحد..!![1]"، وكأن الشاعر أراد أن يسمي هدفه في معناها الذي يشرح التباسات القيم، وضياعها، فتذكر اسماً، أو اسمين، ثم تعددت الأهداف في ذهنه، فمحا أهدافها المرحلية المؤقتة، وأطلق دلالتها العامة؛ لتشمل كل من وقع في مصيدة المادية، أو تخلى عن القيم، وهو ما نجح الشاعر فيه، إذ تحول المعنى في هذه القصيدة من إطار دلالي منحصر في أطرافها، وأصبح معنى أفقياً يشمل الشريحة كاملة، وهو ما صرح به الشاعر في مقدمة قصيدة أخرى، حيث نص بقوله: "هذا الهجاء لا يعنى به شخص بذاته بقدر ما يعنى به فئة من الناس تتجلل بالسواد، وتتشح بالخنى، وتعيش على أكوام من أنقاض الفضيلة وأكداس من الحقد الأسود[2]"، وهو ما يؤكد الرؤية العامة السابقة، حيث إنه يلغي الأسماء، والمناسبات المباشرة؛ ليمنح قصيدته إطارا عاماً.

وأما في سياق تسجيل المناسبة للقصيدة، فإنه يظهر في قصيدته (إنذار)، وهي: من وحي أزمة السكن[3]، وقصيدته (على قمة زعابا)، وهي: إلى أخ أردني يؤدي الرسالة في مدرسة الرويضة[4].

وحيناً، نجد الشاعر يلتقط الخيط الدلالي لقصيدته، ويتوجس من موقف قرائه تجاه معانيه، فيبادرهم قبل قصيدته بما يعتقد أنه ينقلهم إلى لحظته الشعورية الخاصة به، فيسترسل في شرح موقفه، وهذا إنْ عُدَّ انتهاكاً لحقوق القارئ في الوصول إلى ما يريده من المعنى، فإن الشاعر قد حسم موقفه من خلال إيمانه بقيمة الأدب، وأثره، ولذلك يجيز لنفسه أن يبادر المتلقي بهذه الرؤية، فيقول في مقدمة قصيدته (لم يسرقون النور؟!): "لا تنزعجوا من هذا الغضب، فإنني أفترش الدرجة الرابعة عشرة من المرتبة

---

1 ديوان المر والأمر: ١٥.
2 ديوان المر والأمر: ٨٣.
3 انظر: ديوان المر والأمر: ١٦.
4 ديوان المر والأمر: ٨٥.

التاسعة، والدرجات الأربع الأخيرة درجات شرف، أي بدون علاوة[1]"، وهو إطار دلالي يُبيح لنفسه ما قام به من صور ومجازات تبدو نوعاً من القسوة، فقد جاء في قصيدته:

لـــــم تُـــــسرق الأنـــــوار مـــــن أحـــــداق أطفـــــالي الـــــصغار؟!

لـــــم تُحـــــرق الآمـــــال والأعمـــــال فـــــي وضـــــح النهـــــار؟!

لـــــم يحقـــــدون علـــــى المحبـــــة والـــــصراحة والحـــــوار؟![2]

وقد يجد الشاعر أن القصيدة ومناسبتها وتداعياتها ولَدت أفقاً دلاليا لم يرضه، فعاد إلى المعنى، وهذا من حقه، ولكن اللافت أنه لم يكتف بالشعر فحسب، وإنما وضع بصمته الأخرى، وهي المقدمة التي تربط بين الدلالات، وتقرن بين زوايا النظر والمعنى، فيقول في مقدمة قصيدته (ربما): " عندما نشرت قصيدتي (إليها) أخذ علي بعض الأصدقاء بأنني أقحمت الأدب في قضايا ذاتية أو مادية بحتة. وإذا بي أعود في هذه القصيدة لنفس المحاولة، وعلى نفس النمط[3]"، وهو تكريس مستمر لرؤيته الشعرية، وإيمانه بما يراه محققاً لمفهوم الشعر عنده.

ثالثاً/ البناء التصويري:

أ) الصورة:

تُمثل (الصورة) حقيقة القصيدة، وجوهر الشعر، فلا يكتمل الشعر إلا بها، ويمكننا أن نقول: إن "الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة في معناها الجزئي والكلي، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية[4]"، ومع أنه يصعب على كل باحث في مجال الأدب أن يقدم مدلولاً شاملا مانعاً لمصطلح الصورة، وما تتصل به، وذلك لأنها تستخدم في مجالات متعددة[5]، فإنني أريد بها

١ ديوان المر والأمر: ٣٠.
٢ ديوان المر والأمر: ٣٠.
٣ ديوان المر والأمر: ٢٦.
٤ النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٤١٧.
٥ انظر: شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، رمضان صادق، الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٤٧.

هنا لحظة الخيال في معاني الشاعر، وما تتفتق عنه مخيلته الشاعر من مقارنات وتشابهات بين واقعه الفني وواقعه الحقيقي.

وقد حظيت الصورة بانتشار وتمدد كبيرين في قصيدة المسلم، وكان حفياً بتقديم معانيه من خلال هذا الإطار المجازي الفاعل.

وسوف أقوم بالتمثيل على حضور الصورة في شعره على سبيلين:

أول يتمثل بصور متفرقة امتدت على عدد من الأبيات، وكأنها قصة شعرية متكاملة.

وثان يتتبع ملامح الألم عنده كما ظهرت في صوره، أو ما أسميه (حقل الجرح) لديه، وذلك بعناية الشاعر الكبيرة بالحقل الدلالي للجرح، والتنويع في تقديم مظاهره، وإطلاق المعاني المتفرعة منها، حيث يُقدم المسلم ألمه من خلال صور مجازية تتكفل بوصول المعنى، وتبعاً لذلك فقد انتشرت مفردات الجرح ومشتقاته بشكل لافت في قصائده.

فأما الصورة الشاملة عنده، فيمكن التمثيل عليها بحديث البنت عن عودة والدها الغائب، فيقول:

هنا أبي ذات يوم كان متجره	هنا حكى ليَ عن داري هناك حبا
هنا اشترى لي ثوب العيد اذكره	منمقاً بخطوط رصعتْ قصبا
هنا نودعه إذ ينتوي سفرا	هنا نلوذ إذا ما جاءنا غضبا
هنا سمرنا ليالي العمر مقمرة	هنا لعبنا. ملأنا بيتنا لعبا[1]

فالمقطع صورة متكاملة كوّنها شوق البنت لوالدها، حيث تتخيل بلقطات تصويرية متسلسلة محطات اللقاء بوالدها، وتأتي الصور متعددة؛ صورة الحكاية، وصورة المتجر، وصورة الاعتزام للسفر، وصورة السمر، وغيرها من الصور التي تتكامل في خلق مشهد حركي متكامل.

ومثله قول الشاعر:

---

١ ديوان المر والأمر: ١٩.

شــــعلة تفـــسح الطريـــق لجيـــل | لا يهـــاب الظـــلام مهمـــا اســـتجنّا
باركـــت شـــدوك المـــدوّي ورود | تتغنـــــى وأغـــــصنٌ تتثنـــــى
أيـن مـن فـتح البـراعم فـي الـروض؟ | ســـؤال لزهـــرة وهـــي تُجنـــى
بـــأبي ردهـــا إلـــى الـــروض حرقـــاً | يرتـــوي مـــن ربيـــع قلبـــك معنـــى
عاصـــفات الريـــاح أكبـــر منهـــا | جبـــل. لا يـــصيخ للـــريح أذنـــا
مـــشرئب تطـــوق الـــشمس يـــسرا | ه ويحنـــوا علـــى الـــسفوح بيمنـــى
ركعـــت تحتـــه الـــسحاب وطافـــت | حولـــه الطيـــر، وهـــو أثبـــت ركنـــا
كُنْـــهُ تلقـــي لـــك الزمـــام حيـــاة | لاتـــرى للـــضعيف فـــي الكـــون وزنـــا[1]

لقد تعاقبت الجمل الاسمية والفعلية في هذا المقطع، فالظلام المستجن، والورود التي تتغنى، والغصون التي تتثنى، والأسئلة التي تطرح على الزهرة التي تجنى، والجبل المشرئب الذي تطوق الشمس يسراه، ويحنو على السفوح بيمناه، وتتسابق السحب والطيور حوله، وهي عدد من الصور التي يحشدها الشاعر في مقطع واحد متسلسل بهدف الخروج بحقيقة راسخة مثل موصوفه الجبل، وهي المطالبة بالثبات على المبادئ، فإن الضعيف لا قيمة له.

وأما (معجم الجرح)، أو اهتمام الشاعر بصورة الألم والجراح، فقد شكلت سمة مطردة في أسلوبه، وتشكيل معانيه في عدد واسع من قصائده، وتجلت في معظم حقوله الدلالية، ومنها:

كفـــرت أدمعـــي، فـــآمن حرفـــي | بغـــدي. هـــل كفـــرت كـــي تؤمننـــا؟
فـــاغرات الجـــراح فـــي الـــوطن الـــدا | مـــي أهابـــت بنـــا، فهـــل اســـتجبنا[2]

وقوله:

ألملـــم عـــن طريـــق النـــاس ثـــوبي | وأخـــشى أن يمـــس ولـــو جنـــاحي
لأمـــشي فـــي طريقـــك أنـــت وحـــدي | وأبـــرأ مـــن لطيمـــات الجـــراح[3]

وقوله:

---

١ ديوان المر والأمر: ٣٥..
٢ ديوان المر والأمر: ٣٤.
٣ ديوان المر والأمر: ٥٣.

عنـــــدما ينـــــدمل الجــــــرح الــــــذي ينــــــزف مـــــن أعمــــــاق أمـــــسك
عنـــــدما تنطلـــــق الزغـــــرودة الحلـــــوة فـــــي بهجـــــة عرســـــك[1]

وقوله:

طفـــــرتْ مـــــن قلبـــــي المطعـــــون بـــــالآلام عبـــــرة!
وتعـــــرَّى الجـــــرح فـــــي عينـــــي. وقـــــد حاولـــــت ســـــتره![2]

وقوله:

هانـــــت علـــــي كـــــأي حلـــــم جـــــنّ ثـــــم انـــــزاح صُـــــبحا
لكنهـــــا رغـــــم انبهـــــارك أعبـــــق الأزهـــــار نفحـــــا
جـــــرح التـــــراب إذا ســـــما يـــــأبى بـــــأن نـــــدعوه جرحـــــا[3]

لقد تحول الجرح إلى كائن حي في خيال الشاعر، ومن هنا ألبسه مختلف المشاعر والأحاسيس كما يتضح في الأبيات السابقة، فالجرح الذي يعني الألم والتعب وانبثاق الدم، فإنه قد يندمل عندما يفرح الوطن والإنسان، وقد يتحول إلى فم صارخ صائح يفغر أشداقه بالحزن والبكاء، ويتحول إلى اللطم والحزن عندما يحزن الوطن، ويظل الجرح أكثر سمة تفضح الظلم وتعريه، فلا مزيد عليه من الوضوح والبيان، ومع ذلك فإن الشاعر لا يكتفي بذلك، وإنما يجعله (يتعرى) ويفيض بكل ما فيه من أصناف الألم، ولا يبقى من الجروح العليا إلا جرح الوطن والتراب، حيث يسمو فلا يتحول إلى جرح عابر، وإنما يصبح قضية عليا يشترك الجميع فيها.

ب) الرمز:

قدم الشاعر المسلم قصائده من خلال بنية لغوية تتجه إلى تحقيق أهدافه الدلالية، وقد كان منهجه في ذلك هو الوضوح والمباشرة في تأدية معانيه، مع حرصه على أن يُعطي بعض معانيه عمقاً أكثر من خلال استخدام (الرمز) الذي يمثل درجة من درجات الصورة البيانية، ولكنه يتميز عنها بتركيزه على لحظة عميقة من المعنى.

---

١ ديوان المر والأمر: ٥٩.
٢ ديوان المر والأمر: ٣٥-٣٦.
٣ ديوان المر والأمر: ٣٢.

والقيمة الدلالية في الرمز أنه يمنحك المعنى المباشر من خلال التأمل في دلالة ألفاظه، ويمنحك المعنى الأعمق من خلال التبصر في تراكيبه وصوره.

ويمكن النظر إلى حركة الرمز عند المسلم على مستويين:

الأول: الإشارة إليه من خلال التعبير عن غموض المعنى في أحد نصوصه، وأنه أراد أن يُلغي مناسبته الأولى، ويمنحه أفقا أكثر انطلاقاً في المعنى.

الثاني: أن تأتي القصيدة، أو بعض معانيها، وقد احتفت بالدلالة الثانية من المعنى، وأصبحت تومئ إلى معانيها من باب الرمز.

فمن الأول ما حكاه الشاعر عن قصيدته (المر والأمر)، حيث إنه أهداها " إلى.. إلى.. لا أحد..!![1]"، وهو إهداء يمزج بين معنى معروف لديه يتضح بفكرة الإهداء، وبحرف الجر المتكرر، ومعنى خفي أو يريد إخفاءه، ويتضح بتعبير بلا أحد!، وكأنه يريد كل أحد، ومن هنا وجدنا الشاعر في بعض قصائده يصرح بأن المعنى فيها " لا يعنى به شخص بذاته بقدر ما يعنى به فئة من الناس تتجلل بالسواد[2]"، فهو يذهب إلى هذا المنحى بقصده وإرادته.

وأما الثاني من مستويات الترميز لديه، فهو ما يتضح في القصيدة الآتية من خلال بنيتها وتراكيبها وصورها، فيقول:

مُـرٌّ إذا مـا الـداء أنـشب ظفـره ... وأحـال فـي فمـك الحـلاوة علقمـا!
وأمـرُّ أنـك لـو أردت علمتـه ... وتمـوت صـبرا خـشية أن تعلمـا
مُـرٌّ بـأن يعـشى عيونـك بـارق ... أدلجـت خلـف سـرابه متوهمـا
وأمـرُّ منـه أن عينـك أرمـدت ... ويظـل ثغـرط باسـما متوهمـا
مُـرٌّ إذا سـخر الـسحاب بقفـرة ... ييـست علـى فمهـا لعـلّ وربمـا
وأمـرُّ أن تهـوي وتقـضي نحبهـا ... وعيونهـا متعلقـاتٍ بالـسما[3]

---

١ ديوان المر والأمر: ١٥.
٢ ديوان المر والأمر: ٨٣.
٣ ديوان المر والأمر: ١٥.

تُبنى القصيدة هذه على أسلوب الرمز والمفارقة، حيث إنها تمتلئ بالمعاني المؤلمة وما هو آلم منها على سبيل منح المعاني إمكانات دلالية أكبر، فهو يُقرر حقيقة شعرية معينة، ثم ينقلب عليها لا لينفيها، وإنما ليزيدها إثباتاً من خلال مقارنتها بدرجة أعلى منها في المرارة، والشاعر في ذلك كله يكتفي بالرمز والإشارة إلى ما يريده دون أن يخوض في تسمية الأشياء بأسمائها، وقد منحه ذلك عمقاً وأبعاداً إضافية للمعنى، وذلك لأنه قدمه من خلال الصور المجازية، فسخرية السحاب - مثلاً - بقفرة يابسة تنتظر المطر أمر مرير، يكشف لحظات الانتظار والرفض، ويعكس معادلة الفقر والغنى، والذل والكرامة، فكيف إذا أصبحت الصلة تتجاوز السخرية إلى أن تتعلق القفرة بهذه السحابة، وربما ماتت، وهي تنتظرها دون أن تفي السحابة بما تتطلبه العلاقات الطبيعية بين الأشياء من الكائنات وغيرها.

إنه معنى إنساني مميز في رسم صور العلاقات بين البشر من خلال الصور المجازية التي تنتشر في هذه القصيدة، ولذلك فقد بدأت القصيدة بالحديث عن (منازلة العدا) ومعاناتها، وانتهت بمنازلة القصيدة، فيقول:

مــرٌّ إذا ارتــدت حروفــك طعنــة	تقــضي عليــك، وكنــت ترويهــا دمــا
وأمــرُّ منــه أن حرفــك مــا درى	فــي تيهــه أي اللغــات لهــا انتمــى؟![1]

وواضح أن الشاعر يتجه إلى استخدام رمزية الموضوع، بحيث يكون للقصيدة، أو لبعض أبياتها، معنى قريب يفهم من ملامحه اللفظية، ومعنى آخر يفهم بالتأمل واستكشاف الصور "ليأذا بالإبهام والإخفاء من تبعة الإيضاح والتصريح لسبب اجتماعي[2]"، ولعل هذا يتضح في قصائده الاجتماعية خاصة، فهو يتكلم عن بعض المآزق الاجتماعية الاقتصادية، ثم يقول:

---

١ ديوان المر والأمر: ١٥.
٢ الشعر الحديث: ٤٣٠.

القائلون بلا حياء (يلصقوها بالكبار)![1].

حيث يصبح التصريح بالمقصود نوعاً من تجاوز المتاح من القول، ومن هنا يلجأ الشاعر في قصائده إلى تكثيف الصور الرمزية العاطفية لوصف واقعه الاجتماعي، وحالة صغاره، وأهله، للتأثير في المقصود دون أن يتمكن من التصريح؛ فتأتي قصيدته (لم يسرقون النور)، وقصيدته (ربما) مليئة بالصور الرمزية التي تكشف حالته، دون أن يتجاوزها للتصريح برمزية واضحة، فيكرر نداءاته ويقول: (أيها النفح / أيها الموعد، أيها القادم / أيها الماخر موج اليأس / أيها الحامل)، وهكذا بتكاملية ترسم المشهد الرمزي وتجليه.

ج) القصة الشعرية:

ينمو المعنى في ذهن الشاعر، ويتجه إلى تنويع معطياته، وتكثيف الدلالات فيه، وتبدو القصة الشعرية المبنية على الحوار، أو إضمار متحدثين آخرين، خياراً يلجأ إليه الشاعر بهدف توفير إمكانات إضافية للمعنى، وأصوات تنقل وجهات نظر تسهم في خلق أجواء حوارية، " وهو نوع يتطلب طاقة فنية، وموهبة شعرية، فقد يفشل الشاعر في تشكيله وبنائه، وتنهار قصيدته إذا اعتقد أن الأمر مجرد حكاية تُروى[2]"، وهو ما لم يقع في فخه الشاعر المسلم، حيث التقط من زوايا القصة ما يمنح قصيدته بعدا دلاليا إضافيا، وترك هوامشها.

وقد قام المسلم برواية الأقوال المتعددة، فبنى القصيدة كاملة على معنى الأقوال المتبادلة مثل: (قالت وقلت)[3]، وتكرر ذلك في عدد آخر من القصائد[4].

والشاعر حين يبني قصيدته على الحوار المتبادل، فإنه يريد أن يوصل رسالته من خلال تحقيق القول، وتفتيق المعنى، فهو يقول:

---

١ ديوان المر والأمر: ٣٠.
٢ حركة الشعر: ٢/ ٦٢٢.
٣ ديوان المر والأمر: ١٤.
٤ ديوان المر والأمر: ١٦، ١٨، ٢٨.

قالت: أراك هجرت الشعر والأدبا أصوح الدهر أم روض الهوى جدبا
قلت: اسألي الطير هل غنى على فنن؟ عرته سود الليالي فالتوى حدبا
قالت: تركت أغاريد الهوى سحرا وكنت تخفق في أجوائها طربا
قلت ارعوي لم تعد دنياي أخيلة سماؤها تزرع الأطياب والشهبا![1]

ولئن تمدد القول والحوار في قصيدة متكاملة بسبب إمكانات المعنى، فإنه قد يختصره في بيت أو شطر بسبب حركية الحوار، فيقول:

قالوا: الملايين عند البنك. قلت لهم: سيان عندي ملايين وأصفار[2]

وأحيانا، نجد الشاعر يجري حوارا متخيلاً، أو يبني قصيدته عليه، وكأنه يلقي خطاباً على مستمع متخيل، ثم يطالبه بالقول:

قلها لمن أرغى وأزبد حقده قلها فدتك ملاحم الشعراء[3]

وتأتي القصة، أحياناً، من خلال تركيز الشاعر على لحظة واحدة من لحظات الحدث فيها، فيقول في قصيدته (الوداع المر):

خلفتُه بين الذئاب ورحت عنه إلى سواه
وتركته والقلب نزاع إليه وقلت: آه
فلعل (آه) أن تبل القلب أو تطفي ظماه[4].

إنها توشك أن تصبح قصة قصيرة جدا تتمثل في لحظة حوارية خاصة تتكامل فيها أطراف الحدث، ولكنها لا تتنوع.

---

١ ديوان المر والأمر: ١٤.
٢ ديوان المر والأمر: ١٦.
٣ ديوان المر والأمر: ٤٣.
٤ ديوان المر والأمر: ٧٠، ومثلها قصيدة (إلى أخ نازح): ٧٩..

رابعاً/ الموسيقى:

لا تبدو الموسيقى في شعر المسلم متصلة بشكل خاص بمضامينه على النحو الذي يختلف عن غيره، وإنما جاءت في مجملها حاملة لمضامينه كما هو شأن الشعراء عامة.

ويمكن التقاط عدد من الملامح الموسيقية التي اختصت بها قصيدة المسلم، أو التي ظهرت فيها الموسيقى متصلة بالمعنى بشكل مباشر.

ولعل الملمح الأبرز هو التناوب بين القوافي في القصيدة نفسها، حيث تأتي معانيه متماسكة من حيث المضمون، ومتنوعة من حيث القافية في القصيدة الواحدة، ومن ذلك ما نجده في قصيدة (يا شعر)، وقصيدة (ربما)، وقصيدة (ماذا جنيت؟)، وقصيدة (لم لم تفي)، وغيرها مما يتجلى في خمسة أبيات متتالية من القافية نفسها، أو في ثلاثة، أو في اثنتين كما في قصيدة (الحبيب الأوحد).

ولعل هذا التنوع الموسيقي يمثل رغبة من الشاعر في تكثير مصادر القوة في معانيه، حيث يتيح له تعدد القوافي أن يختار المعنى الذي يريده بدقة أقرب إلى هدفه، فالمعنى يتمدد على عدة أبيات " يطول فيها نفس الشاعر، فإذا استنفدت قوتها، والملل شعور ينتاب الرومنسيين كثيرا، انتقل إلى مقطع ثان ذي قافية مختلفة، محتفظاً بالوزن نفسه"[1]، وهي إمكانات موسيقية تجسد صلته بالرومانسية، وتتيح له إمكانات معنوية متعددة.

ومن الملامح الموسيقية في شعره تكرار التدوير، وذلك بأن ترتبط أشطاره الشعرية، ومع حساسية التدوير ودقته، حيث يصبح شرطاً لبعض الشعر، وسلماً لنجاح آخرين منهم[2]، فإن المسلم وظف التدوير في خدمة المعنى دون أن يكون شركاً لا ينفلت منه، فهو يقول مثلا:

---

١ أزمة الشعر المعاصر: ٥٤.

٢ انظر: في حداثة النص الشعري، د. علي العلاق، دار الشروق ـ عمان، ط١، ٢٠٠٣، ص٩٦.

آه لـــــولاك أيهـــا الأمـــل المرمـــوق يـــا صـــورة الحبيـــب النـــائي

آه لـــــولاك حـــين كنـــت نـــشيدي وربـــابي ومزهـــري وحـــدائي

حـــين كنـــت الرضـــا فـــي كـــل أفـــق مـــن وجـــودي وقبلتـــي وســـمائي

حـــين كنـــت الحيـــاة والمـــوت والبعـــث ودنيـــا مـــسرتي وشـــقائي

أبـــداً يـــا حيـــاة تخبـــو أحاسيـــسي ويطغـــى علـــى وجـــودي فنـــائي

أبـــدا يـــا حيـــاة لا بـــسمة منـــك تعـــزي الفـــؤاد بعـــض العـــزاء[1]

فقد تشكل المعنى مع الشاعر، وقاده إلى هذا الإيقاع الذي سيطر عليه التدوير في معنى يمثل دفقة شعرية واحدة.

* * *

---

١ ديوان المر والأمر: ١١٤.

خاتمة:

خرجت هذه الدراسة في شعر عبدالعزيز بن محمد المسلم رحمه الله بما يأتي من النتائج والتوصيات.

فأما النتائج، فأولها: القول بأن المسلم مع شعراء آخرين من جيله قد شغلتهم الدنيا وتقلباتهم فيها عن الشعر، وكان أغلبهم يأتي إلى الشعر بمثابة المتنفس الحياتي الذي تدفعهم إليه غريزتهم أو ملكاتهم، وكان نشرهم لإبداعهم الشعري متقطعاً حسب ظروفهم الحياتية، وقد انعكس موقفهم من شعرهم على موقف النقاد منه، فوجدوا صدوداً من النقد عن دراسة شعرهم وتناول إبداعهم.

وثانية النتائج: التأكيد على أن المسلم قد أخلص لقصيدته، فلم تكن وليدة نزوة إبداعية أو مناسبة عابرة، وإنما طرق غالب فنون القول، واجتهد في صناعة نصه وتجويده، ولذلك حضرت السمات الفنية الأسلوبية في سبيل تكريس مضامينه ومواقفه.

وأما النتيجة الثالثة، فهي أن الحس القومي والإنساني هو السائد في شعر المسلم، ومهما تطرق لغيرهما، فإنه ينطلق من هاتين البوابتين غالباً، فيتكلم عن موضوعاته من البوابة الإنسانية الكبرى، ويحتفي بقوميته العربية في كل مناحيها.

ويمكن أن تُجمل التوصيات في أن تتخصص دراسات عدة في رصد أسماء الشعراء الذين لم يصدروا دواوين مستقلة، وأن تعنى جهات علمية وأدبية بتتبع نصوصهم في الصحف والمجلات، والعمل على إصدارها في دواوين مستقلة، وألا يُكتفى بمن وردت أسماؤهم في المعاجم والدراسات الشاملة الرائدة، مع التأكيد على أهمية أن تتجه دراسات جادة لتتبع أسباب عدم النشر في الأوعية الإعلامية المختلفة، ولدراسة عدم الاهتمام بجمع هذه النصوص، ومن ثم التأمل في أسباب انصراف النقاد على دراسة هذه الظاهرة.

المصادر:

١. اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ـ د. حسن الهويمل ـ نادي القصيم الأدبي ـ ط ١ ـ ١٤٠٤هـ.

٢. التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية ـ د. محمد صالح الشنطي ـ النادي الأدبي بحائل ـ ط ١ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣. الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د.بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط ٤، ١٩٨٥م.

٤. حركة الشعر في منطقة القصيم من عام ١٣٥١هـ ـ عام ١٤٢٠هـ د.إبراهيم بن عبدالرحمن المطوع ـ نادي القصيم الأدبي ـ ط ١ ـ ١٤٢٨ـ ٢٠٠٧م.

٥. ديوان المر والأمر، عبدالعزيز بن محمد المسلم، مركز صالح بن صالح الاجتماعي في عنيزة ـ ط١ـ ١٤٣٠هـ.

٦. سوق الأدب والنقد في القصيم، دريد يحيى الخواجه، نادي القصيم الأدبي، ط١.

٧. الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ ـ ١٣٩٥هـ) د. عبدالله الحامد ـ نادي المدينة المنورة. ط١ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٨. عقدان من الإبداع الأدبي السعودي، (أبحاث الملتقى)، نادي القصيم الأدبي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٩. في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د. عبدالله الحامد ـ دار الكتاب العربي ـ الرياض ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٠. مقابلات ومراسلات مع أسرة الشاعر رحمه الله.

المراجع:

١. أزمة الشعر المعاصر، د. شكري محمد عياد، أصدقاء الكتاب ـ القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٢. أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة ـ بيروت، ط١، ١٤٠٢ـ١٩٨٢م.

٣. أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م.

٤. الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، د. عبدالإله الصائغ، المركز الثقافي العربي ـ بيرونت والدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٧م، ص٢٩٢.

٥. الدلالة المرئية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢.

٦. سيمياء العنوان، د.بسام قطوس، وزارة الثقافة ـ عمان، ط١، ٢٠٠١.

٧. شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، رمضان صادق، الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٨. شعرية القلق عند بدر شاكر السياب، علي علي آل موسى، دار الأولياء ـ بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٣، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

١٠. عنيزة (سلسلة هذه بلادنا)، محمد السلمان، الطبعة الثانية، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٩هـ.

١١. في حداثة النص الشعري، د. علي العلاق، دار الشروق ـ عمان، ط١، ٢٠٠٣.

١٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به: د. محمد عوض و أ. فاطمة أصلان، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٣. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال،، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٧م.

* * *

التسارع المنهجي عند الخليل بن أحمد

د. جمعان بن عبدالكريم

قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الباحة

التسارع المنهجي عند الخليل بن أحمد

د. جمعان بن عبدالكريم
قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الباحة

ملخص البحث:

يحاول البحث مقاربة تطور العلوم اللغوية ، عن طريق تتبع تأسيس العلوم اللغوية عند الخليل ، من خلال تفسير ظاهرة التسارع المنهجي ، ودراسة أبرز مظاهرها ، التي تمثلت في انتقال الخليل بن أحمد من مرحلة الجمع إلى مرحلة الاستقراء التصنيفي ثم مرحلة الاستقراء الرياضي ، ثم مرحلة الفروض العلمية الاستنتاجية ، كما تمثلت في الاهتمام بتكوين جهاز مصطلحات العلوم اللسانية ، وصياغة نموذج المحاكاة من خلال الدوائر العروضية .

The Methodological Acceleration of Al-Khalil Ibn Ahmed

Dr. Jam'an ibn Abdul-Karim
The Faculty of Arts and Human Sciences-University of Baha

Abstract;

This research Try to approach the development of linguistic science, by tracking the establishment of linguistic sciences at AL- Khalil, through the systematic interpretation of the phenomenon of acceleration and the study the most prominent manifestations .It's Marked by the transition Khalil bin Ahmed stage combining to taxonomic induction phase then the mathematical induction phase, then the stage of scientific hypotheses deductive, as was the attention to the composition of a linguistic science terminology, and the formulation of the simulation model through prosdic circles.

الكلمات المفاتيح

مُستَهلّاً لابد من الوقوف على الكلمات المفاتيح لهذا البحث المتمثلة في عنوانه الرئيس، فماذا نعني بـ: "تسارع"، "المنهجي"، "الخليل بن أحمد" ؟

عند البحث عن مفردة "تسارع" في المعاجم العربية القديمة فإننا نجد أصل مادة "سَ رَ عَ"، ولكنها لا تكاد تذكر استعمال صيغة "تَ/ فَ/ا/ عُ/ ل"؛ أما من حيث استعمالها في النصوص فإن هذه الصيغة لا نجدها تكاد تستعمل عند القدماء إلا قليلاً[1]، في حين بدأ ينتشر استعمالها في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة يأخذ ثلاثة معانٍ: الأول: المعنى القديم وهو المبادرة، والثاني: المبالغة في السرعة، أو شدّة السرعة وهو الأكثر استعمالاً في وسائل الإعلام، وفي أحاديث المثقفين ومقالاتهم وكتبهم، والثالث: هو مصطلح فيزيائي مترجم من المصطلح الإنجليزي "Acceleration"، إذ يقال: إن الجسم متسارع إذا كانت سرعته متغيرة، أو يُعرَّف التسارع في الفيزياء على أنه: التغير في السرعة في وحدة الزمن، ويمكن صياغة هذا التعريف كمعادلة على الصورة الآتية[2]:

---

١ وُجِد أنها استُعملت في كتاب واحد بين عشرات الآلاف من الكتب في محرك بحث المكتبة الشاملة هو كتاب تفسير السلمي المسمى حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي المتوفى ٤١٢هـ، تحقيق : سيد عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م / ج٢ ، ص ٣٥ . وقد استعملت هذه الصيغة عند تفسير قول الله تعالى : (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) المؤمنون ٥٥، فقد ورد في تفسير الآية هاتان العبارتان : (ومن تسارع في جمعها وحفظها ...) و (وقال بعضهم أول التسارع إلى الخيرات هو التقلل من الدنيا) ، وهنا يكون المعنى هو المبادرة ، وهو الذي ذكره اللسان في صيغة (تسرع بالأمر بادر به) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٨ ، ص ١٥٢، دار صادر ، بيروت ، بدون تأريخ ، ج٨ ، ص ١٥٢ (سرع) ، ونجد هذه المادة في المعجم الوسيط كالتالي : (تسارع) : سارع ، وسارع بمعنى بادر ، انظر :

- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، استنبول ، تركيا ، ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ، طبعة مصورة عن طبعة مجمع اللغة العربية ، ج١ ، ص ٤٢٧ (سرع) .

ولا يشير المعجم الوسيط إلى تحولين طرأ في استعمال هذه الكلمة ففي الاستعمال العادي في وسائل الإعلام أصبحت هذه الكلمة يقصد بها المبالغة في السرعة أي شدة السرعة ، وقد وجدنا هذا المعنى استعمل خمس مرات في مقالين في موسوعة البحوث والمقالات المجموعة ضمن محرك البحث في المكتبة الشاملة ، وهذا المعنى هو الأكثر انتشارا في المشرق العربي كما وجدناها استعملت بمعنى المبادرة وهو المعنى الأصلي للكلمة ثلاث مرات ،أما في الاستعمال العلمي أي لغة المصطلحات التخصصية في الفيزياء فقد جاءت في مقالات علمية في محرك بحث المكتبة الشاملة يقصد بها التغير في السرعة الاتجاهية لجسم متحرك ١٥ مرة .

٢ ف . بوش : أساسيات الفيزياء ، ترجمة : د. سعيد الجزيري ، ود . محمد أمين سليمان ، دار ماكجرو هيل للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٣٤ .

التسارع = التغير في السرعة

الزمن اللازم

وستحاول هذه المقاربة البحثية الإلمام بالظاهرة المنهجية والعلمية الفريدة عند الخليل من خلال استعمال كل المفاهيم التي تحتملها مفردة "تسارع"؛ فنستعير التسارع بمفهومه الفيزيائي، كما سنحاول استعارة المعنى القديم للتسارع في اللغة العربية الفصحى وهو المبادرة، والمعنى المتداول في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة وهو المبالغة في السرعة؛ لمقاربة الطفرة العلمية التي تمثلت في شخصية الخليل بن أحمد...

أما المفردة التي وُصِف بها التسارع وهي "المنهجي"، فهي في معناها العلمي الاصطلاحي مصطلح مترجم عن المصطلح الإنجليزي: "Method"، ويعنى به: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة "[1]

وأما "الخليل بن أحمد"، فهو عالم اللغة المشهور المتوفى نحو ١٧٠ أو ١٧٥ للهجرة النبوية المباركة،[2] وقد كان الخليل بن أحمد هو العالم اللغوي التي تمثلت فيه ظاهرة التسارع المنهجي الفريدة التي حققت طفرة علمية في حركة التأليف العلمي في الحضارة العربية على وجه العموم، وفي العلوم اللغوية على وجه الخصوص، وإن كان هنالك من شاركه فيها سواء من معاصريه أم من تلاميذه.

---

١ عبدالرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٥.

٢ انظر في ترجمته:

- ياقوت بن عبدالله الحموي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٢، ص ص ٣٠٠–٣٠٣
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م ج٢، ص ص ٢٤٤–٢٤٨.
- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر،، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ج١، ص ص ٥٥٧ –٥٦٠.
- محمد بن صالح ناصر: الخليل بن أحمد الفراهيدي العالم العبقري، ويلحق به مخطوط ولاية الخليل وجزء من تلقين التالي لآيات المتعالي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ص ٥–١٣١.

وليس في هذا الكتاب الذي يعد آخر الكتب عن الخليل من جديد، سوى أنه يريد أن يثبت أباضية الخليل بن أحمد وأنه بقي على مذهبه الأباضي ولم يغيره إلى المذهب السني ...

مقدمة

إن الدراسات التي تهتم بالمناهج وبالمناويل، لهي من أهم الدراسات ؛ لأنها دراسات تأسيسية تقوم عليها النظريات العلمية، ومن خلالها ينمو العلم وتتقدم المعرفة، ولقد كان الخليل بن أحمد الذي مثّل معجزة عجيبة في تأسيسه عدداً من العلوم اللغوية بصورة أذهلت العلماء ومؤرخي العلم حتى الآن ؛ حالة تستدعي البحث لمعرفة المناهج والمناويل التي قادته إلى هذه النظريات العلمية، وإلى هذا النتاج العلمي المميز، وإلى طريقة تفاعل هذه المناهج التي هي بالضرورة وراء كل هذه البناءات التي بناها الخليل ؛ وعلى هذا كان أقرب وصف لتلك المناهج أنها تمت بطريقة تسارعية، وقد استدعى البحث أن يبتدئ بالكلمات المفاتيح في عنوانه، ثم ينتقل إلى إجراء محاولة تفسير ظاهرة التسارع المنهجي عند الخليل، يلي ذلك رصد لأبرز مظاهر التسارع المنهجي عند الخليل من خلال تقسيم تلك المظاهر إلى الآتي: مرحلة الجمع، ومرحلة الاستقراء التصنيفي، و الاستقراء الرياضي، و الفروض العلمية الاستنتاجية، والاهتمام بتكوين أجهزة مصطلحية تحمل مفاهيم علمية قادرة على الإحاطة بالظاهرة العلمية وتحديدها، و الإسهام في إيجاد آليات علمية جديدة لعل من أكثرها عبقرية هي آلية "المحاكاة والنموذج" التي يعد الخليل فيها من الأولين السابقين ليس في إطار المنظومة العلمية في الحضارة العربية، بل في إطار المنظومة العلمية العالمية، تلي ذلك خاتمة موجزة للبحث حوت على مختصر لأهم نتائجه.

* * *

ظاهرة التسارع المنهجي

محاولة للتفسير

تشكّل الطفرة العلمية التي انبثقت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري خصوصاً في العلوم اللغوية لغزاً لم تكن كل الحلول التي ادعت فك مستغلقاته لترضي نهمة الباحثين عن حقيقة هذا الانفجار العلمي في فترة وجيزة، وعلى الرغم من أن محمد عابد الجابري سماها بالفترة المعجزة، إلا أن حديثه عنها لم يستغرق سوى صفحتين في كتابه تكوين العقل العربي، وهو حينما يذهب إلى أن العلوم العربية والإسلامية قد ولدت كاملة في عصر التدوين بحيث لم تضف إليها العصور اللاحقة شيئاً يُذكر. لم يقف ليحلل سبب هذه الولادة الكاملة[1].

وما ترك العناية به الجابري نجده يمثّل نوعاً من الإشكال التأريخي في بدايات حركة التأليف عند أمجد الطرابلسي الذي يرى أن حركة التأليف اللغوية تمت من خلال ثلاث مراحل الأولى تمثلت في كتب النوادر التي تم فيها تدوين الألفاظ وتفسيرها دون ترتيب، ثم تلا هذه المرحلة مرحلة ظهور الرسائل اللغوية التي رُتّبت فيها ألفاظ اللغوية في موضوع معين أو حقل دلالي واحد، وبعد ذلك كانت المرحلة الثالثة وهي مرحلة وضع المعاجم اللغوية ؛ ولأن معجم العين للخليل بن أحمد كان في الفترة نفسها التي ظهرت فيها النوادر اللغوية والرسائل اللغوية لم يجد الدكتور الطرابلسي بدأ من أن يذهب إلى القول: إن هذه المراحل تتداخل، وتتعاصر فهي ليست مراحل متعاقبة[2]، أي أن التأليف المعجمي نشأ تزامنياً دفعة واحدة مع بداياته وبذوره الأولى. وذلك مخالف لطبائع الأشياء في تطورها عموماً، وللعلوم خصوصاً التي تبدأ شذرات متفرقة من المعلومات، ثم تنتظم في منطق خاص بها تفرضه مادة العلم نفسها، يرافق ذلك تكّون جهازها المصطلحي والمفاهيمي لتكتمل في نظرية ما أو عدة نظريات علمية متنافسة... ولكن

---

١ انظر : محمد عابد الجابري : تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٢ ، ص ص ١٢٤– ١٢٦ و ص ٣٣٤ .

٢ انظر : أمجد الطرابلسي : نظرة تأريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب ، بدون تأريخ ، ص ص ١٢–١٣.

ظهور معجم العين في هذه الفترة المبكرة بما يحتوي من نظام رياضي مبتكر في جمع اللغة، وبما يحتوي في أثنائه من مصطلحات لغوية كثيرة يفرض على الباحث إما القول بالشك في نسبة معجم العين للخليل بن أحمد – مع أن أرجح الآراء أنه هو واضع طريقته، وأنه بدأ فيه ولم يكمله وأن الذي أتمه هو تلميذه الليث[1]– وإما بالقول بأن هنالك فترة غامضة طويلة من تطور حركة التأليف المعجمي لم تصل إلينا، وأنها قد تكون بدأت منذ بدايات استقرار العصر الأموي ، وإما بالقول: إن الخليل بن أحمد كان يمثل عبقرية فذة لا يمكن القياس عليها أي حالة شاذة.

ومع تأكيد القدماء والمحدثين على عبقرية الخليل بن أحمد، ومع تسليم كل من يطلع على أعمال الخليل بذلك ؛ فإنه لم يكن يمثل حالة شاذة في حركة التأليف العربية، بل إنه يمثل بعمله في التسارع المنهجي نتيجة طبيعية لإشكال معرفي وعلمي وحضاري أدى إلى هذا التسارع المفاجئ، أي أن ظاهرة التسارع في خطية تطور التأليف في العلوم العربية والإسلامية نتجت إثر التضخم الكبير لمادة علمية خام مجموعة "متون ونصوص"، وبسبب فهم جيل الخليل وما قبله أن العلم يعني في تلك الفترة "القدرة على جمع أكبر مادة، والقدرة على حفظ ذلك المجموع" فقط، بدأت تتضخم المادة العلمية المجموعة أكثر فأكثر وظل هذا التضخم يزيد دون ظهور حركة علمية مغايرة للفهم السائد للعلم، وبفعل التزايد في تلك المادة العلمية وتضخمها وعدم قدرتها على إيجاد أفق تطوري لها في إطار منظومة الجمع والحفظ كنسق وحيد هو نسق العلم آنذاك، بالإضافة إلى عدم قدرتها على مجابهة المشكلات المستجدة في أطر الحاجة إلى توظيف النتاج العلمي للمجتمع ظهرت حينذاك أزمة ما بعد الجمع لتتمثل في التسارع

---

١ للاطلاع على هذه القضية بالتفصيل، انظر:

- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد جاد المولى بك وآخرون ، دار التراث ، القاهرة ، بدون تأريخ ، ج١، ص ص ٧٧–٩٢ .

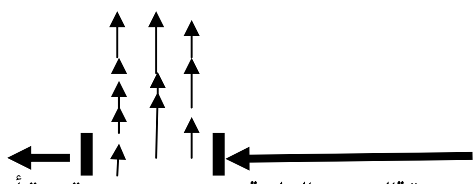
وانظر : رأي د. عبدالله درويش الذي ناقش المسألة مناقشة مستفيضة وذهب إلى القول إن معجم الخليل هو بأجمعه للخليل ، وأن ما فيه من هفوات إنما هو من تغييرات الوراقين ...

- عبدالله درويش : المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد ، المكتبة الفصيلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ص ٥٦–٧٦ .

المنهجي عند الخليل بن أحمد وجيله من العلماء، وأتباعهم من التلاميذ في تلك الفترة، وهنالك الكثير من الروايات التي تدلنا على ما وصل إليه "الجمع = العلم" من مستوى جاوز حد المعقول... نجتزئ منها أنموذجين الأول للخليل نفسه فقد ورد عنه ما يمثل الفهم الأول لممارسة العلم ويبدو أن ذلك في المرحلة الأولى من حياته إذ قال: " تكثَّر من العلم لتعرف وتقلَّل منه لتحفظ "[1] فالعلم هو جمع في حالة الكثرة والقلة، ولكن عبارة أخرى وردت عن الخليل تظهر تغير جذري في فهمه لمعنى العلم قال فيها: " اجعل تعلّمَك دراسة لعلمك، واجعل مناظرة المتعلم تنبيهاً على ما ليس عندك "[2] فمفردات "التعلم"، و"الدراسة"، و"المناظرة" تشير إلى تغير نحو فهم جديد للممارسة الصحيحة للعلم.

أما النموذج الآخر، فهو يدل على النهم الشديد للجمع في تلك الفترة ومنه ما قد ورد أن أبا عمرو بن العلاء جمع كتباً في بيت له وصلت إلى السقف ! ثم تقرّأ"تنسّك"، فأحرقها، ولما أحتاج إليها لم يبق إلا ما حفظه منها[3]...

ويمكن التمثيل لما حدث من خلال الشكل الآتي:



شكل رقم "1" حركة "التسارع المنهجي عند الخليل = المرحلة الحقيقة للتأليف العلمي"

وعلى ذلك فإن المرحلة الحقيقة للتأليف في العلوم العربية والإسلامية قد ظهرت بفضل وصول حركة "الجمع التي كان تمثل العلم آنذاك" إلى مرحلة توقف عندها كل ما قدمته لكنها لم تقم بحل المشكلات المعرفية القائمة، ولم تستطع أن توجه

---

١ الجاحظ عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٥، ج١، ص٢٥٨ .

٢ المرجع السابق ، ج١، ص ٢٧٤ .

٣ انظر : المرجع السابق ، ج١، ص ٣٢١ .

المشكلات الحضارية والاجتماعية والتعليمية الملحّة ؛ ممّا أدّى إلى ظهور سريع ومفاجئ لتدوين العلوم[1]، وقد أُطِلق التسارع المنهجي على هذه الفترة وممثّلها الأبرز الخليل ابن أحمد ؛ لأنّ مفردة التسارع أكثر دلالة وأقدر من غيرها لوصف طفرة العلوم في فترة الخليل بن أحمد ؛ فهي بالمعنى القديم تعني المبادرة التي يُفهم منها المفاجأة كما يُفهم منها السرعة إضافة إلى الحاجة التي دعت بإلحاح إلى ظهور تلك المبادرة، والحال هنا في ترتيب ما حدث من "مبادرة" يختلف عن مبدأ الثورات العلمية لدى "كوهين" التي تأتي عقب مرحلتين هما مرحلة ما قبل العلم ثم مرحلة العلم السوي، ثم مرحلة الثورة العلمية [2]؛ لأنّ ما حدث في تطور التأليف عند العرب هو طول مرحلة ما قبل العلم، وتضخمها، مما أدّى إلى تشكل وهم راسخ بأنها هي العلم السوي، هذا الوهم بالعلم سبب التفاتاً قوياً إلى التفتيش في تلك المرحلة المتوهمة لما كان يظن أنه هو "العلم ولا علم إلا هو" عن انطلاقة قوية وسريعة لإيجاد "طرق" متعددة لتحليل تلك المادة الضخمة فكان الانفجار العلمي والمبادرة إلى وضع أسس التأليف العلمي الصحيح استثماراً للمادة العلمية الخام المجموعة، وإزالة لوهم الاعتقاد بأن الحفظ هو العلم، ومساعدة على حل المشكلات الحضارية والاجتماعية والتعليمية ؛ فالخليل على سبيل المثال، يضع علماً كاملاً مثل العروض بكامل جهازه المصطلحي والمفاهيمي... ويبدو أن الخليل قد وقف حياته كلها على قضية إيجاد طرق علمية جديدة تبتعد عن الحفظ لتهتم بإجراء العمليات العقلية والتجريدية ؛ إذ يموت وهو يفكّر في علم يجعل الجارية تذهب إلى السوق فلا يغشها البائع[3] و هذه الحكاية حتى على فرض عدم صحتها تدل دلالة لا مراء فيها على غلبة العقل الرياضي على الخليل حتى وفاته...

---

١ انظر : عبدالرحمن الحاج صالح : النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة كلية الآداب ، جامعة الجزائر ، ع ١، ١٩٦٤م ، ص ٧٣

٢ آلان شالمرز : نظريات العلم ، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا ، دار توبقال ، الدرا البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٩١، ص ٩٥ .

٣ انظر : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مرجع سابق ج٢، ص ٢٤٧ .

وكانت لأجل كل ذلك تلك الحركة ممثلة للتسارع بمفهومه في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة أي بمعنى المبالغة والشدة في السرعة ، كما يصدق فيها مفهوم التسارع الفيزيائي الذي يعني معدل تغير السرعة بالنسبة للزمن.

ذلك أن حجم المادة التراثية المجموعة والوهم "بالعلم = الحفظ" أوجد قوة دفعت بالحركة العلمية إلى التسارع المنهجي، أي أن المادة المجموعة المحفوظة وما نتج عنها من وهم بعلم سوي مكتمل هي القوة الدافعة للتسارع المنهجي، ويمكن قياس مقدار تلك القوة بالنظر إلى الفترة الزمنية القصيرة جداً التي ظهرت فيها مخرجات التسارع المنهجي ، ولكن ما حدث بعد فترة الطفرة العلمية التسارعية التي بدأها الخليل " أن أكثر المؤلفين الذين جاؤوا بعد الفترة الأولى من تأريخ الحضارة العربية أي فترة النشاط الأصيل الخلاق، لم يدركوا جيداً، بل لم يفهموا حق الفهم ما كان وصلهم من أقوال العلماء الأولين، واقتصروا غالباً على ترديد هذه الأقوال "[1]

* * *

١ عبدالرحمن الحاج صالح : البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي ، مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ، السن الخامسة ، ع ٢٦ ، ربيع الأول– الثاني ١٣٩٥هـ / إفريل –ماي ١٩٧٥م ، ص ٢٣ .

مظاهر التسارع المنهجي عند الخليل بن أحمد

لكي يتضح حجم هذا التسارع المنهجي، وأهميته ينبغي أن نقف عند أبرز من أسهم في إرساء حركة التأليف عند العرب ألا وهو الخليل بن أحمد مع التأكيد في الوقت نفسه أن هنالك أكثر من عالم أسهم في هذا التسارع المنهجي...

بداية هل عرف العرب المنهج العلمي ؟ وإذا كانوا عرفوا المنهج العلمي، فما المناهج التي استعملها الخليل بن أحمد بطريقة تسارعية أدت إلى معجزة علمية في فترة قصيرة ؟

يذهب البعض أن المناهج العلمية بصيغتها الحديثة لم تنشأ إلا في الغرب " ابتداء من القرن السابع عشر على يد فرنسيس بيكون وبورويال وغيرهم من العلماء الذين اهتموا بالمنهج التجريبي والمنهج الاستدلالي "[1]

ولا يمكن بحال من الأحوال المجادلة في أن الاهتمام بقضية المنهج بوصفها قضية مركزية في ارتقاء العلوم وأن نشوء المناهج العلمية الحديثة وتطورها، وظهور حتى علم المناهج أو الميتودولوجيا وفلسفة العلوم والإبستيمولوجيا التي بلغت بها العلوم الإنسانية والعلوم البحتة شأواً عظيماً إنما بدأت تنشأ في الغرب منذ القرن السابع عشر الميلادي.... ولكن ذلك لا يمنع من اعتراف المنصفين من العلماء الغربيين أن المنهج التجريبي الذي تطورت به العلوم الحديثة كان يمارسه العرب في بحوثهم الكيميائية والطبية والفيزيائية قبل الغرب بقرون كثيرة [2].

فضلاً عن ذلك فإن عدم الوقوف كثيراً على الطرق التي يستعملها العالم لا يعني أنه قد يفتقد منهجا ما، أو يفتقد أسساً وقواعد علمية يتخذها أداة للوصول إلى نتائج

---

١ أحمد بدر : أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩، ص ٣١.

٢ انظر : نادية حسني صقر : العلم ومناهج البحث في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ص ١٠٣–١١٣.

علمية حتى في العصور العلمية الحديثة التي وصل فيها الضبط المنهجي إلى درجة دقيقة جداً ؛ لأن من يكون عاملاً داخل نموذج علمي ما وممثلاً " للعلم السوي تمثيلاً نموذجاً، لن يكون بسبب ما يتلقاه من تكوين يستلزمه النشاط العلمي الفعّال، واعياً بالنموذج الذي يشتغل داخله، ولن يستطيع صياغة طبيعته على وجه الضبط. على أن ذلك لا يعني أن رجل العلم، لن يكون قادراً على صياغة الافتراضات المتضمنة في نموذجه العلمي ؛ إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك. تلك الضرورة التي تتولد عندما يكون نموذج علمي ما مهدّداً من قبل نموذج علمي آخر منافس له في مثل هذه الظروف يكون من الضروري القيام بمحاولة توضيح القوانين العامة، والمبادئ الميتافيزيقية والمنهجية "[1]

ويبدو أن الخليل قد عمل طويلا على إيجاد مصنع تسارعي للطرق التي يمكن من خلالها استثمار المادة اللغوية الهائلة التي بين يديه بما يحل المشكلات العلمية والاجتماعية الراهنة آنذاك، وليس هنالك من ضرورة ملحّة كانت تدفعه إلى القيام بمحاولة توضيح مفصّل للمبادئ المنهجية التي يقوم عليها مصنعه التسارعي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه لا يمكن إسقاط طريقة نظرنا إلى العلوم وإلى مناهجها على ما كان في عصر الخليل، أو على ما قام به الخليل، بل من الضروري النظر إلى التطور التسارعي للطرق التي تم بها التعامل مع المادة العلمية المحفوظة في إطار ظروفها، وفي إطار زمنها، وفي إطار منطقها الداخلي، وعلى هذا فالواجب قبل مقاربة المناهج المتسارعة التي ظهرت في أعمال الخليل بن أحمد الإجابة عن سؤال مهم جداً يتمثل في الآتي:

هل مثّلت أعمال الخليل بن أحمد المختلفة البحثَ في صورته التقليدية أم في صورته العلمية ؟

إن البحث العلمي الحديث يقوم على عدة أسس، ومن أهمها: أولاً:تحقيق أو موازنة الظواهر Determining and weighing of Evidences أي يجب على الباحث

---

[1] آلان شالمرز : نظريات العلم ، مرجع سابق ، ص ص ٩٨-٩٩ .

استعمال الدلائل المتوفرة ودعم كل ما يتاح له من أدلة ؛ كي يحل المشكلة بالطريقة المقنعة أو المنطقية. وثانياً: التعقيل Reasoning أي يجب على الباحث أن يتخذ بعين الاعتبار المقارنة ؛ كي يعرض بحثاً موضوعياً غير متحيّز. ثالثاً: التحقيق Investigation أي يجب على الباحث أن يسأل ويتساءل حتى يصل إلى النتيجة الممكن قبولها.والتحقيق هنا يعني استخدام الفحوصات وتكرار العملية.[1]

عند النظر إلى أعمال الخليل بن أحمد نجدها احتوت على أهم أسس البحث العلمي السابقة، ولعل بعض القصص التي رويت عنه... و مؤلفاته العلمية التي وصلت إلينا سواء مكتملة أم مبثوثة في كتب أخرى... تفسِّر لنا أن جزءاً مهماً مما كان يشغله حقاً هو إيجاد الطرق، أو المناهج التي يمكن استعمالها في البحث العلمي، وأن ما قام به من أبحاث علمية قد تشكِّلُ في الأساس هدف خلق نماذج لتلك الطرق أو الآليات التي يمكن أن تستعمل للوصول إلى نتائج علمية، بالإضافة إلى الهدف الرئيس وهو النتائج العلمية نفسها.

وإذا كان محمد صلاح الدين الشريف يرى أن أنماط المناهج اللغوية ترجع إلى ثلاثة أنماط سادت الدراسات اللغوية في جميع عصورها هي المنهج الاستقرائي التصنيفي، والمنهج الافتراضي الاستنتاجي، والمنهج الثالث خليط من المنهجين ينطلق من الاستقراء الوصفي الاختباري ويبني عليه مجموعة من الافتراضات الاستنباطية الاستنتاجية، ثم يشكك في وعي القدماء بها[2] ؛ فإننا لا نسلم له بهذا التشكيك ليس دفاعاً عن القدماء كما يدافع الذين يرون أن القدامى قد سبقوا في كل شيء، وليس كذلك تتبعاً لجهود متوارية وفردية وتحميلها ما لا تحتمل من أسبقية، أو معرفة متطورة

---

١ انظر : أحمد جمال الدين ظاهر ومحمد أحمد زبارة : البحث العلمي الحديث ، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ص ١٥٠ -١٥١,

٢ انظر : محمد صلاح الدين الشريف : خواطر شك نظرية ، مؤسسة مرايا الحداثة للإنتاج الفكري ، تونس ، ٢٠٠٧، ص ٢٦

في إطار المقارنة مع الجهد العلمي الغربي، ليس ذا ولا ذاك، وإنما من المفترض أن نقّوم جهود القدامى بتتبع مناهجهم من خلال طريقتهم هم في الوصول إلى النتائج العلمية، أو من خلال جهودهم في تشكيل الجهاز المصطلحي للعلوم، أو من خلال صياغة الأسس النظرية، أو من خلال الجدل بين الطرق المتنافسة في إرساء المنظومات العلمية والمعرفية دون التعويل في البداية على مقارنة كل ذلك بمسيرة العلوم الغربية ومناهجها، هذا كخطوة أولية ضرورية لفصل المكِّون المنهجي والنظري والعلمي في الحضارة العربية عن الانعكاس من خلال مرآة المكِّون الغربي، و لا ضير بعد ذلك من إعمال المقارنة لتتضح صورة المنجز العلمي العربي بالنظر المتساوي إليها مع المنجز الغربي مع اعتبار التقدم العلمي الغربي الراهن واعتبار الفترة الزمنية بين المنجزين.

وستتم مقاربة التسارع المنهجي عند الخليل بناء على هذا المنطلق بالاعتماد على ما أُشير إليه آنفاً من محاولة رسم للمسار التطوري لفترة التسارع المنهجي في إطار المنظومة العلمية والاجتماعية العربية وبمحاولة تتبع مظاهر التسارع المنهجي عند الخليل بن أحمد التي أسس لها لتمثل آليات علمية تتجلى في محاولة الانتقال من مرحلة الجمع التي يُعتقد وهماً أنها كانت تمثل العلم إلى مرحلة قطيعة كاملة مع آليات تلك المرحلة مع الاعتماد على مادتها الأولية المجموعة ذاتها، وهذه خطوة تسارعية كبرى اعتمدت استعمال المنوال الرياضي الذي يمثل أرقى أشكال التفكير العليا من جهة البناء والتكوين والنسقية والمنطقية والمعقولية، وأعمقها نظراً وفهما، وأكثرها إقناعية، وأقدرها على إنتاج الحقيقة، وصناعة المعنى وتحقيق اليقين وتثبيت الموضوعية [١]. فتم على يد الخليل إيجاد ما يمكن أن نطلق عليه الاستقراء الرياضي وإيجاد البذور الأولى

---

١ Eugenio Rignano ,Les formes sup'erieures du raisonnements ,'edits ,Bologno. London. Paris. Leipzig

نقلاً عن : فرحات الدريسي : منزلة التفكير بالمنوالين الرياضي والطبيعي في نتاج المعرفة في البيئة الثقافية الإسلامية ، ضمن كتاب المناويل ، تحرير فرحات الدريسي ، منشورات دار المعلمين العليا ودار سحر ، تونس ، المجلد VI ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣٨.

لنظرية المجموعات، تلي ذلك خطوة تسارعية ثانية تمثّلت في فتح المجال التنظيري لكل طريقة ممكنة لمقاربة المادة العلمية المجموعة وعدم القطع بالنموذج الأوحد أو الأصح في النظر العلمي، بل في وجوب الفتح المستمر لنظريات أخرى، ثم خطوة تسارعية أخرى اتضحت في الانتقال بين أكثر من علم لتأسيس طرق خاصة بتلك العلوم أو لبذر بعض بذور بداياتها " بذور المصطلحية [1]، علم الأصوات، علم الصرف، علم النحو، علم المعاجم، علم العروض، علم الموسيقى [2]، علم استخراج المعمى [3]"

هذه الخطوات يمكن مقاربتها بتتبع المسار العلمي للخليل، الذي كان على النحو الآتي:

أولاً: مرحلة الجمع.

كان الخليل في هذه المرحلة يمارس العلم بالمفهوم الشائع في مرحلته، وقد تميز في هذه المرحلة عن معاصريه، يدلنا على ذلك قصته مع الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ الذي سأل الخليل بن أحمد قائلا من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي إلى البادية، ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر، في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ. [4]

---

١ انظر في ابتكاره لكثير من المصطلحات ، وطريقته في صياغة المصطلح
- الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق : عبدالله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م ، ج١،ص ٦٥ .
- الجاحظ : البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج١، ١٣٩ .

٢ انظر : ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، بدون تأريخ ، ص ٦٥ .

٣ انظر :
- محمد بن الحسن الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م ، ص ٥١
- محمد مراياتي وآخرون : علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، بدون تأريخ ، ج١، ص ٣٣ ، ص ٤٩ ، ص ١٥٠ .

٤ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ج٢ ، ص١٦٣

يلفت النظر في هذه القصة أن الخليل بلغ في هذه المرحلة مبلغاً كبيراً جعل الكسائي يرحل لينافسه في علمه "الجمع" بمفهوم تلك المرحلة و يسأله "من أين أخذت علمك". والذي يظهر أن أزمة نشأت من غلبة مفهوم "العلم يساوي الحفظ" ؛ مما مهّد لمرحلة مهمة هي مرحلة الاستقراء.

ثانياً: مرحلة الاستقراء التصنيفي.

هذه المرحلة هي المرحلة الفاصلة في تأسيس العلوم العربية والإسلامية، ولأجل غلبة نمط "الحفظ = العلم" فإن نمط الاستقراء أنتج انفجاراً معرفياً وانفجاراً حضارياً جديداً مثل نقلة هائلة إلى أولى خطوات العلم، وقد افتتح هذه المرحلة الخليل بن أحمد ليس بخطوة مترددة، بل بقفزات واسعة معتمداً على الاستقراء التصنيفي، ويكاد يكون المنهج الاستقرائي التصنيفي منهجاً عاماً يمكن استعماله في العلوم أجمع، وهذا المنهج من أصلح المناهج للدرس اللغوي.

ومن المعلوم أن الاستقراء هو عملية تقوم على استثمار الملاحظات حول موضوع ما لصياغة مفاهيم معرفية تشكل قوانين عامة للموضوع المدروس، ويشترط في عملية الاستقراء ثلاثة شروط: أن يكون عدد منطوقات الملاحظات التي تكون أساس التعميم عدداً مرتفعاً، وأن تتكرر الملاحظات داخل شروط كبيرة التنوع، وألا يحدث لأي منطوق ملاحظة صراع مع القانون الكلي الذي اشتق منه ذلك المنطوق.[١]

ولاشك أن الخليل قد اشتغل على جمع المادة العلمية الأولية في المقام الأول، وبعد هذه المرحلة التي اشترك فيها الخليل كما اشترك غيره من علماء ذلك الزمن، تنبه الخليل إلى أن هذا الجمع لا يمثل كبير فائدة إذا لم يكن هنالك اشتغال آخر على متنه، فبدأت العلمية الثانية في التصنيف الاستقرائي لرد المتشابهات إلى بعضها، وملاحظة طرائق التشابه بين أبنية المفردات، وبين التراكيب فكانت مساهمة الخليل الذي أدرك أهمية وجود مصطلحات محددة تستوعب المفاهيم المستقرأة فكانت

---

١ آلان شالمرز : نظريات العلم ، مرجع سابق ، ص ١٩

ممارسة الاستقراء في وضع قواعد اللغة العربية صرفاً، ونحواً يتضح جهد الخليل من خلال تتبع نحوه المبثوث في كتاب تلميذه سيبويه، مما يدل على أن قسماً كبيراً من تأسيس النحو العربي كان على يد الخليل.

ثالثاً: الاستقراء الرياضي.

تميز الخليل عن كل العلماء الذين كانوا معاصرين له باستعماله للوسائل الرياضية، " فلم ير مثله قط في استعماله للوسائل العقلية الرياضية في ميدان اللغة "[1] ولقد حاول الخليل أن يطور عملية الاستقراء نفسها ليؤسس لنوع جديد من الاستقراء هو الاستقراء الرياضي الذي يعد من بين أهم طرق البرهان في الرياضيات، ويقوم على الاعتماد على العمليات الرياضية في إحصاء الظاهرة، ووضع نظريات علمية بناء على هذه العملية الرياضية الاستقرائية ويمثل كتاب العين، أنموذجاً للاستقراء الرياضي ؛ فالكتاب قائم على عملية جمع استقرائية رياضية تقوم على التقليبات، وعلى حصر كلام العرب بناء على المجموعات الصوتية بدءا بحرف العين، هذه الفكرة الرياضية المذهلة يشرح وقعها في تلك الفترة المبكرة تلميذه الليث فيقول: " فجعلت أستفهمه، ويصف لي، و لا أقف على ما يصف، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياماً، ثم اعتل وحججت فرجعت من الحج فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر الكتاب "[2]

يقول الخليل بن أحمد معتمداً على العمليات الحسابية: " فإذا أردت أن تستقصي من كلام العرب ما كان على حرفين مما تكلموا به أو رغبوا عنه مما يأتلف أو لا يأتلف، مثل: كم، وقد، وعن، وأخواتها ؛ فانظر إلى الحروف المعجمة، وهي ثمانية وعشرون حرفاً، فاضرب بعضها في بعض تبلغ سبعمائة وأربعة وثمانين حرفاً[3]، ولا يكون الحرف

---

١ عبدالرحمن الحاج صالح : النظرية الخليلية الحديثة ، مجلة اللغة والأدب ، معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة الحزائر ، ع ١، ١٩٩٦م ، ص ٨٦ .

٢ ابن النديم : الفهرست ، مرجع سابق ، ص ص ٦٤–٦٥ .

٣ يمثل هذا العدد العينات المرتبة من الحجم k مأخوذة من العنصر n عنصراً مع القلب فمثلاً التباديل من الحجم ٢ = k أي حرفين حرفين من ٢٨ = n عنصراً أو حرفاً ٧٨٤ = $(٢٨)^2$ = n ، انظر :

- محمد مراياتي وآخرون : علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٦٩ ، هامش رقم ٢ .

الواحد كلمة ؛ فإذا أزوجتهن حرفين حرفين صرن ثلاثمائة واثنتين وتسعين بناءً مثل دم وما أشبهه، فإذا قلبته عاد إلى سبعمائة وأربعة وثمانين بناء، منها ثمانية وعشرون مشتبهة الحرفين مثل هه، قلبه وغير قلبه واحد[1]، ومنها ستمائة بناء صحيحة ثنائية لا واو فيها ولا ياء ولا همزة، يجمعها ثلاثمائة قبل القلب، ومنها مائة وخمسون بناء ثنائية ممزوجة بهذه الأحرف الثلاثة: الياء والواو والهمزة، ويجمعها خمسة وسبعون بناء ثنائياً قبل القلب، ومنها ستة أبنية معتلة يجمعها ثلاثة أبنية قبل القلب، ومنها ثلاثة أبنية مضاعفة، وخمسة وعشرون بناء ثنائياً صحاحاً مضاعفة، فافهم فقد بيَّنت لك عدة ما يخرج من الثنائي مما تكلموا به ورغبوا عنه.

وإذا أردت أن تؤلف الثلاثي فاضرب ثلاثة أحرف معتلات في التسعة الثنائية المعتلة فتصير سبعة وعشرين بناء ثلاثية معتلات كلها. وتضرب الثلاثة المعتلات أيضاً في مائة وخمسين بناء ثنائياً حرف منها صحيح وحرف منها معتل، فتصير أربعمائة وخمسين بناء ثلاثياً، حرفان منها معتلان وحرف صحيح، وتضرب الثلاثة المعتلات في ستمائة بناء ثنائي صحيحة الحرفين فتصير ألفاً وثمانمائة بناء ثلاثي، حرفان منها صحيحان وحرف معتل، وتضرب خمسة وعشرين في ستمائة بناء ثنائي صحاح الحروف فتصير خمسة عشر ألفاً وستمائة وخمسة وعشرين[2] بناء ثلاثياً ؛ فهذا أكثر ما يخرج من البناء الثلاثي.

فإذا أردت أن تؤلف الرباعي فعلى القياس تضرب الثلاثة المعتلات في السبعة والعشرين بناء ثلاثياً، ثم تضرب في أربعمائة وخمسين، ثم في الألف والثمانمائة، ثم تضرب الخمسة والعشرين الصحاح في الخمسة عشر ألف بناء ثلاثي صحاح الحروف

---

١ وهي ٧٨٤ – ٢٨ = ٧٥٦ ، وهذه تراتيب تمثل عدد الأنساق من الحجم k مأخوذة من n .

$$Kpn = \frac{n}{(n-k)!}$$

انظر : محمد مراياتي وآخرون : علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٦٩ ، هامش رقم ٤ .

٢ ناتج الضرب هو ١٥٠٠٠، ولكنه أضاف إلى الناتج مجموع طرفي الضرب ٦٠٠ + ٢٥ .

مضاعفة ، فما بلغ فهو مبلغ عدد الأبنية الرباعية، وكذلك سبيل الخماسي الصحيح ؛ فأما السداسي فلا يكون إلا بالزوائد "[1]

ولقد اعتمد الخليل كذلك الاستقراء الرياضي في حصر بحور الشعر ولكن بعد أن طور هذا الاستقراء وفق أساس جديد غير طريقة التقليبات...

وبعد أن تحصل في يد الخليل استقراءان أحدهما تصنيفي والآخر رياضي قام بصياغة الفروض العلمية معتمداً على كلا الاستقرائين، ومعتمداً في الوقت نفسه على ما أفاد من الاستقراء الرياضي بالذات، الذي يختلف عن الاستقراء الناقص أو الاستقراء التقليدي في كونه تابعاً للفرض العملي، بل في كون هذا الاستقراء في حد ذاته تحول عند الخليل من استقراء رياضي إلى افتراض استنتاجي إلى نظرية لغوية[2] مكتملة تعتمد ما

---

١ هذا النص منقول عن الخليل في أكثر من مصدر ، وقد نسب إلى العين في ورقة مجموع التعمية المخطوط في الورقة ٨٧ تحت عنوان " من كتاب العين " وهو ليس النسخة المطبوعة من كتاب العين ، ولكنه موجود أيضاً في كتاب المزهر للسيوطي وفي كتاب الجمهرة لابن دريد دون نسبته إلى الخليل . انظر :

- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد جاد المولى بك وآخرون ، مرجع سابق ، ج١، ص ص ٧٢-٧٤ .
- محمد بن الحسن بن دريد الأزدي : جمهرة اللغة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد ، الهند ، الجزء الثالث / ١٣٤٦هـ ، ٥١٣ – ٥١٤ .
- محمد مراياتي وآخرون : علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، مرجع سابق ، ص ص ٦٩-٧٠ . وانظر الهامش رقم (١) ص ٧٠ .

٢ لاشك أن للاستقراء كمصطلح منهجي مفهوم مضبوط ولكنه في النهاية ينشعب إلى مفهوم كلاسيكي يعني انتقال الفكر من معرفة أقل عمومية إلى معرفة أكثر عمومية ومفهوم معاصر يستعمل في المنطق كمجرد مرادف لمفاهيم مثل الاستنتاج غير البرهاني والحجة الاحتمالية وغيرهما ، وغياب التمييز بين الفهم الكلاسيكي يؤدي إلى تخبط عند طرح بعض المشكلات المنهجية ، مثل الاستقراء ومشكلة القوانين العلمية المفتوحة ، والعلاقة بين الاستقراء والاستنباط ، وباقي أنماط الاستنتاج ، ومناهج المعرفة

- انظر : إلكسندرا غيتمانوف : علم المنطق ، دار التقدم ، موسكو، ١٩٨٩م ، ص ص ٢٤٨-٢٤٩ .

حصره الاستقراء الرياضي، وما لم يحصره الاستقراء الرياضي، وما يحتمل أن يجد من عناصر أخرى تحتملها مكونات النظرية أو الاستقراء الرياضي في يوم ما. يظهر ذلك في نظرية التقليبات في كتاب العين، كما يظهر ذلك في دوائر العروض التي سنشير إليها عما قريب.

رابعاً: الفروض العلمية الاستنتاجية.

الفرض العلمي يعني على وجه العموم " تخيل شيء يعبر عن علة معينة لمجموعة معينة من الظواهر أو الحوادث موضوع الاختبار، وأن تلك العلة عامل أساسي في إنتاج تلك المجموعة "[1] أو هو تخمين مبدئي يستدل به الباحث على إيجاد علاقة بين متغيرين أو أكثر.[2]

وإذا نظرنا إلى طريقة الخليل في البحث عن الفروض العلمية نجد أنه يبحث عن العلة وراء الظاهرة اللغوية، مع جزمه بأن العلة أو الفرض العلمي الذي يصل إليه إنما هو شيء آخر مختلف عن الظاهرة نفسها، وإنما هو فرض علمي وإن الظاهرة يمكن أن تقبل فروضا علمية أخرى، أي أن الخليل على وعي تام بمسألة حتمية تعدد النظريات، أو تعدد الفروض العلمية، فالخليل حينما سُئل عن " العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها. وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها. فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف الرجل في الدار

ومع ذلك فإن إشارتنا إلى أن الاستقراء الرياضي هو برهان رياضي أيضاً وهو مستند لنظرية لغوية في تفاصيلها ونتائجها التي استثمرت لا البرهان فحسب ، وإنما ما لم يشمله البرهان أو الاستقراء الرياضي كجزء من مكونات النظرية عند الخليل ، وهنا مكمن العبقرية الخليلية .

١ محمود فهمي زيدان : الاستقراء والمنهج العلمي ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٧، ص ٤٧

٢ انظر : عقيل حسين عقيل : فلسفة مناهج البحث العلمي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٣٦ .

على شيء منها قال: إنما فُعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك. فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها."[1]

ومع ذلك فيبدو أن ذهنية الخليل الرياضية هي ذهنية اتسمت بالنظر العلمي الدقيق القائم على شدة الملاحظة، وعلى الإحاطة بجميع أجزاء الفرض الاستنتاجي ؛ مما أدى إلى إحكام تام تحوّل معه الفرض الاستنتاجي إلى نظرية قامت عملية صياغتها، أو إنتاجها حسب مشترطات أسلوب البحث العلمي يتضح أسلوب الخليل في معالجة المسائل والفروض العلمية من خلال القصة التالية: " قال النضر بن شميل جاء رجل من أصحاب يونس إلى الخليل يسأله عن مسألة فأطرق الخليل يفكر وأطال حتى انصرف الرجل، فعاتبناه، فقال ما كنتم قائلين فيها، قلنا: كذا وكذا، فلم يزل يغوص حتى انقطعنا وجلسنا نفكر فقال: إن المجيب يفكر قبل الجواب، وقبيح أن يفكر بعده، وقال ما أجيب بجواب حتى أعرف ما علي فيه من الاعتراضات والمؤاخذات "[2]

هذا العقلية الخليلية أنتجت بعضاً من أهم النظريات العلمية –بمفهوم النظرية الذي يجعلها مجموعة من الفروض العلمية التي توضع في علاقات بعضها مع بعض داخل نظام يشملها–[3].... في اللغة، أو يشارك مشاركة كبرى في وضعها ومن أهم الفروض العلمية التي تحولت إلى نظريات علمية عند الخليل ما يلي:

---

١ الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ص ٦٥–٦٦.

٢ سيف بن حمود بن حامد البطاشي. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، (عُمان: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، الجزء الأول، ص ٦٥.

٣ محمد عماد الدين إسماعيل: المنهج العلمي وتفسير السلوك، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٦٧

١- نظرية العامل.

وهي النظرية التي قام عليها بنيان النحو العربي وتذهب إلى أن الكلمات يعمل بعضها في بعضها الآخر وفق نظام تركيبي مطرد، يقول د. مصطفى بن حمزة: " ومن أكثر الآراء ذيوعاً في باب تسجيل بدء القول بالعمل ما قيل من أن الخليل بن أحمد أول من تكلم في العامل، ولقد أخذ بهذا التحديد باحثون كثير... ومستند هؤلاء إقرار سيبويه بأن الخليل كان له قول في العوامل..."[1]، وهذه النظرية التي تحيل إلى تأثير الكلمات في بعضها بناء على تجاورها التركيبي مما يؤدي إلى الاختلاف الإعرابي، نظرية تدل على غلبة طريقة الفرض والاستنتاج في النظرية النحوية العربية على طريقة الوصف والتصنيف. كما أنها في صورتها القوية التي ظهرت عليها لأوثق دليل على التسارع المنهجي الذي يبدأ في اللغات استقرائياً تصنيفياً، لينتقل في مرحلة متأخرة إلى الفرض الاستنتاجي. في حين أن نشؤ هذه النظرية في هذه الفترة المبكرة يدل على قوة التسارع المنهجي عند الخليل، كما أن تركيب النظرية المتين كما ظهر في كتاب سيبويه يدل على المنهج العلمي القوي التي ظهرت في كنفه هذه النظرية ، وإن لم تسلم هذه النظرية من النقد[2]... أو التطوير كما هو عند مدرسة اللسانيات الخليلية الحديثة[1]

---

١ مصطفى بن حمزة : نظرية العامل في النحو العربي (دراسة تأصيلية وتركيبية) ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ص ص ١٥٨ – ١٥٩.

٢ تعرضت نظرية العامل للنقد عند بعض القدامى ثم استمر ذلك عند بعض المحدثين ويمكن النظر حول هذه القضية في :

- ابن مضاء القرطبي : الرد على النحاة ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م ، ص ص ٧١–١٤١.
- إبراهيم مصطفى : إحياء النحو ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٩، ص ص ٥٠– ١٠٠.
- منيرة بنت سليمان العلولا : الإعراب وأثره في ضبط المعنى (دراسة نحوية قرآنية) ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣م ، ١٤١٣هـ ، ص ص ١٧–٤٤ ، وقد عرضت المؤلفة بالتفصيل للآراء في قضية الإعراب وبعض تلك الآراء يتصل بقضية العامل أيضاً ...

٢- نظرية المستعمل والمهمل في المعجم وفي أوزان الشعر.

إن نظرية استخراج المهمل والمستعمل في مفردات اللغة العربية ليست كما قد يتبادر إلى الذهن مجرد حصر لتلك المفردات، بل هي توسيع للغة وفتح مستمر يتيح رياضياً إمكان استعمال كلمات جديدة استعمالاً قصدياً اصطلاحياً مباشراً، وليس استعمالاً اجتماعياً تدرجيا يقوم على العرف والتطور اللغوي بوسائله المعروفة، هذا العمل الذي أنجزه الخليل في معجم العين يجعل كتاب العين كما يقول أحد المستشرقين الروس " أحد أكثر المعاجم تفرداً، مما ألف في وقت ما... إنه عمل علمي

- مصطفى بن حمزة : نظرية العامل في النحو العربي (دراسة تأصيلية وتركيبية)، مرجع سابق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ص ١٥٨- ١٩٠.

١ تعد مدرسة اللسانيات الخليلية الحديثة التي أسسها الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح منذ حوالي أربعين عاماً من المدارس اللسانية التي تدعو إلى استثمار التراث بمنظار علمي جديد، وهي وإن نسبت إلى الخليل لكنها لا تكتفي بآراء الخليل بل تشمل كثيرا من آراء النحاة الأوائل كسيبويه وابن جني ...إلخ أي أنها تمثل امتداداً مختارا من الآراء والنظريات التي أثبتها النحاة العرب الأولين وبخاصة الخليل بن أحمد وهي في الواقع نظرية ثانية Métathéorie، ولها آراء متطورة ومختلفة نوعاً ما في قضية العامل عن طريقة القدامى، وللاطلاع على المزيد حول نظرية اللسانيات الخليلية الحديثة يمكن الاطلاع على رسالة الدكتوراه وجميع كتب ومقالات د. عبدالرحمن الحاج صالح كما يمكن الاطلاع على المراجع التالية :

- عبدالرحمن الحاج صالح : المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي، ندوة تطور اللسانيات العربية، ١٩٨٧م.
- عبدالرحمن الحاج صالح : النحو العربي والبنيوية : اختلافهما النظري والمنهجي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ع ١، ٢٠٠٢م.
- بشير إبرير : أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر، ع ٧، فبراير، ٢٠٠٥م.
- شفيقة العلوي : العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، حوليات التراث، الجزائر مستغانم، ع ٧، ٢٠٠٧م، ص ص ٣-١٤.
- ملاوي صلاح الدين : قراءات على هامش النظرية الخليلية : بحث في المقولة العاملية، مجلة مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ع ١، ٢٠٠٩، ص ص ١٢٥-١٣٣.

كبير ملئ بالأفكار المبتكرة ومتوجه لتوصيف اللغة توصيفاً شاملاً، على أنه صعب للغاية حتى ينال شهرة بصفة كتاب تطبيقي إرشادي عادي "[1]، ولمعرفة مدى القوة التسارعية المنهجية في هذا المعجم يمكن مقارنته بالمعاجم العربية التي أتت من بعده لنعرف تميزه عليها جميعاً في أسسه الرياضية التي اعتمد عليها، كما يمكن مقارنته بالمعاجم غير العربية على سبيل المثال بالمعجم الروسي الذي لم يظهر لا في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي على يد فلاديمير دال[2]، لندرك مدى الفارق الزمني الكبير في المنهج وفي النظرية وفي النتائج العلمية. وكمثل نظرية المستعمل والمهمل في اللغة شكّل الخليل نظرية المستعمل والمهمل في بحور الشعر لتظل البحور قابلة للزيادة والنمو وسنتحدث عما قليل في "المحاكاة والنموذج" عن هذه النظرية...

خامساً: الاهتمام بتكوين أجهزة مصطلحية تحمل مفاهيم علمية قادرة على الإحاطة بالظاهرة العلمية وتحديدها.

إن تلك العملية الاستقرائية التصنيفية والاستقرائية الرياضية لم تقف بالخليل عند حدودها أو حتى حدود الوصف لبعض الملاحظات الاستقرائية التصنيفية، دون وضع مصطلحات ومفاهيم محددة لتلك التصنيفات، كما هو شأن أغلب العلماء الذين سبقوه أو عاصروه في تلك الفترة.

إن المصطلح متلازم أشد التلازم بالمنهج، ولا يمكن أن يتكّون منهج أو علم من غير مفاتيحه من المصطلحات، لذا فإن غاب عن القدماء استعمال المنهج بمفهومه الحديث فإن في صناعتهم للمصطلحات العلمية، وفي استعمالهم لها، وفي انتظام تلك المصطلحات في حقول اصطلاحية محددة، تحمل مفاهيم مجردة وتحمل فوق ذلك ذهنية المصطلح ونمط الرؤية للفكر وللعالم المطبوع في ملامح المصطلح ذاته وفي

---

١ بولشاكوف : دراسات في تأريخ الثقافة العربية ، خالدوف : اللغة العربية ،ترجمة د. أيمن أبو شعر ، دار التقدم ، موسكو، ١٩٨٩م ، ص٥٧ .

٢ انظر : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

أشكال علاقاته بالمصطلحات الأخرى مما يساعد في دراسة مسار النظرية مرتبطة بمسار اللغة ومسار الخطابات الثاوية فيها...

وحينما ننظر إلى مقدرة الخليل في صنع المصطلح التي اعتمد فيها التشابه أو التقارب بين المفهوم الاصطلاحي، والدلالة اللغوية قبل الاصطلاح، وهذه هي طريقته في صياغة المصطلح، بل هي الطريقة التي أتيح لها الاستمرار في تأسيس العلوم العربية كآفة – حينما نمعن النظر في صنيع الخليل وفي المصطلحات الكثيرة التي صنعها وفقاً لهذه القاعدة – فإن ذلك يجعلنا نشير إلى أنه يعد أبرز من صنع أو رسخ الأنموذج الدينامكي للمولد الاصطلاحي في التراث العربي، فمما يتميز به الخليل في صياغة المصطلح أن المصطلحات خصوصاً النحوية كانت لا ترد على لسانه إلا من خلال توضيح فكرة نحوية يفسرها وإذا نظرنا إلى أساتذة الخليل نجدهم يوردون الاستعمال من غير اصطلاح في الغالب أما الخليل فكان يجئ بالمصطلح مقروناً إلى المثال في كثير من الربط والتحديد [1]، وهذا يوضح بجلاء أن الخليل هو أبرز من تولى عملية صنع معظم المصطلحات اللغوية في تلك الفترة، وإن كان هنالك علماء آخرون قد شاركوه في عملية القيام بالتسارع المنهجي وخاصة من تلاميذه...

ويظهر أن الخليل بن أحمد كان واعياً أشد الوعي بأن العلم أي علم لا يمكن أن يقوم إلا على نظام مصطلحي، وهنا تأتي العملية الشجاعة في تغيير معاني المفردات العربية اللغوية ونقل دلالتها إلى دلالات مصطلحية في ظل شبكة الحفظ الواسعة وتقديس عملية الحفظ ذاتها إضافة على ما يمليه الظرف التأريخي آنذاك من وجوب المحافظة على العربية في صورتها التي نزل بها القرآن حتى لا يتهدد الفناء الحضارة العربية في صميمها وهو اللغة، وحينما ننظر في فترة ما قبل الخليل نجد فقراً في الأجهزة المصطلحية في مرحلة "الحفظ = العلم"؛ مما جعل الخليل ينهض بتكوين عدة

---

١ انظر: عوض محمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، جامعة الرياض (الملك سعود)، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٢١.

أجهزة مصطلحية وتحديد مفاهيم علمية لها، فالجهاز المصطلحي الصرفي واللغوي في كتاب العين من إنتاجه، ولا ريب أن الجهاز المصطلحي النحوي يمثل فيه الخليل الجانب التأسيسي المهم كما يتضح ذلك من المصطلحات التي نقلها عنه سيبويه في الكتاب[1]، وكذلك الجهاز المصطلحي الصوتي...[2]

أما الجهاز المصطلحي والمفاهيمي المكتمل الذي يدل على عبقرية الرجل ومقدرته الفذة في صناعة نظام مصطلحي كامل لحمل النظرية العلمية والتعبير عنها كما يدل دلالة واضحة على ظاهرة التسارع المنهجي عند الخليل ؛ فهو وضع الجهاز المصطلحي للعروض والقافية إذ تصل مصطلحاته إلى ١٩١ مصطلحاً علمياً[3] ومن المعتقد

---

١ انظر : عوض محمد القوزي : المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ، ص ص ٨٩ –١٢٢ .

وقد استقصى القوزي معظم المصطلحات التي وردت في الكتاب عن الخليل في مبحث المصطلح النحوي عند الخليل اتضح منها أن كثيرا من المصطلحات والتقسيمات الرئيسة من وضعه كالرفع والنصب والخفض والجزم والكسر والسكون، و الاسم والفعل المتمكن والمصدر والابتداء والخبر والفاعل والمفعول به والظرف والحال والاستثناء والمستثنى والتمييز والبدل والمبدل منه والعطف والنعت والصفة والصفة المشبهة والإضافة وحروف الجر وحروف الجزاء ... وغير ذلك

٢ انظر : مهدي المخزومي : الفراهيدي عبقري من البصرة ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩م، ص ص ٣٦–٤٢ .

٣ من المعروف أن كتاب الخليل بن أحمد في العروض مفقود ، ولذلك تم إحصاء هذه المصطلحات من كتاب الخطيب التبريزي ، وبنظرة إلى الكتب الأخرى نجد تقريباً شبه اتفاق على تلك المصطلحات الخليلية ، انظر :

- الخطيب التبريزي : كتاب الكافي في العروض والقوافي ، تحقيق : الحساني حسن عبدالله ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٤م /١٤١٥هـ، ص ص ٢٣٧– ٢٤٢ .
- أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : كتاب العروض ، تحقيق سليمان أبو ستة ، مجلة الدراسات اللغوية ، المجلد السادس ، العدد الثالث ، رجب ورمضان ١٤٢٥هـ / سبتمبر ونوفمبر ٢٠٠٤م ، ص ص ٨٩–١٨٦.
- أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي : الفصول في القوافي ، تحقيق : صالح بن حسين العايد ، دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ص ص ٣٥– ١٠٦

أن الغالبية العظمى منها هي من صنع الخليل، يقول سليمان أبوستة في إشارته إلى بدايات تشكل المصطلحات العروضية: " ونحن لا نشك في أن الخليل وضع جل مصطلحات هذا العمل ؛ إذ لولا ذلك لما تمكن من إيصاله للناس على النحو الذي نعرفه "[١] وهذا العمل في مصطلحات العروض والقافية يدل أكبر دلالة على ظاهرة التسارع المنهجي التي اعتمدت على جهود الخليل بن أحمد في التأسيس للعلوم العربية والإسلامية ثم إذا قمنا بمقارنة عددية بين مصطلحات العروض والقافية ومصطلحات علم تأسيسي ضخم نشأت تدريجياً وأسهم فيه عدد من العلماء كمصطلحات علم أصول الفقه التي تبلغ ١٠٤ مصطلح[٢] ؛ فإننا سندرك القيمة التسارعية الكبيرة التي تمثلت في الخليل بن أحمد والتي مكنته من إنجاز مصطلحي مذهل في فترة وجيزة.

سادساً: الإسهام في إيجاد آليات "أدوات ووسائل" علمية جديدة.

ستكون الإشارة هنا إلى بعض الآليات العلمية الجديدة التي ارتبطت بالخليل، علماً أن بعض تلك الآليات تحولت إلى مناهج علمية في العصر الحديث، واستعمال الخليل لتلك الآليات يساعدنا على فهم أن الخليل ابن أحمد كان حريصاً أشد الحرص على إيجاد وسائل مبتكرة لدراسة اللغة تبتعد عن أسلوب الجمع والحفظ وتهتم بالتفكير

- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ، تحقيق : عبدالمجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ج ٦ ، ص ص ٢٧٠ – ٣٦٥ .

وهذا الإحصاء أكثر دقة من الإحصاء الذي قام به د. عبدالحكيم العبد اعتمادا على الكتاب التعليمي أهدى سبيل إلى علم الخليل حيث بلغ عدد المصطلحات ٤٦ مصطلحاً فقط ، انظر :

- عبدالحكيم العبد : علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقي ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٢ .

- ١ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : كتاب العروض ، تحقيق سليمان أبوستة ، مرجع سابق ، ص ١٠٧.

٢ انظر : مجمع اللغة العربية : معجم مصطلحات أصول الفقه ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص ص ١٠٥– ١٠٨.

والتجربة والتحليل والفرض والاستنتاج وصنع النظرية، ومن بين تلك الآليات التي اهتم بها الخليل ما يلي :

١- استعمال الرموز.

إن استعمال الرمز في الدراسات العلمية خطوة مهمة لضبط تلك الدراسات وللانتقال بها إلى مرحلة التجريد، كما هي خطوة مهمة في صنع أي نموذج أو أية نظرية علمية، ولا شك أن الخليل قد أوجد عدداً من الرموز المهمة منها رمز الهمزة ورموز الحركات الضمة، والكسرة، والفتحة، والشدة، والروم، والإشمام[١]،كما يبدو أن الخليل كان ذا شجاعة فائقة في القيام بتغيير الرمز بتغير المجال أو تغير النظرية ؛ إذ نراه يرمز للحركة في العروض بدائرة صغيرة وللسكون بألف على عكس رمز السكون في نظام الكتابة العادية وعلى العكس من المستعمل في أغلب كتب العروض فيما بعد[٢]، وهذا يدل على فهم الخليل لدور الرموز بوصفها وسيلة مهمة كما يدل على أن الرموز عنده تكتسب وظيفتها من المنظومة التي تشتغل فيها، ولأجل ذلك يمكن للرمز الواحد أن يستعمل بصورة مختلفة حسب المجال أو النظرية التي وظفته.

ويلفت النظر أن عمل الخليل في إيجاد رموز جديدة في الكتابة – على الرغم من أهميتها – لم ينج من الاحتياط والتنبيه على ترك العمل بها أحيانا في إطار المحافظة على الأصول التي خلفها القدماء قبل الخليل فأبو عمر الداني يقول: " وترك استعمال شكل الشعر، وهو الشكل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل في المصاحف الجامعة

---

١ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني :

- المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٢٩.
- المحكم في نقط المصاحف ، تحقيق : عزة حسن ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ص ٦-٧ ، وص ٩ .

٢ انظر : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ، تحقيق د. عبدالمجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ج ٦ ، ص ٢٨٣ .

من الأمهات وغيرها أولى وأحق اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين، وإتباعاً للأئمة السالفين "[1]

٢- نموذج المحاكاة.

إن النماذج التي تصنع للمحاكاة تعد من الوسائل العلمية المتطورة جداً في مقاربة العلوم ، و" تعتبر النماذج "Models" من أهم الوسائل التي يستعين بها الدارسون على فهم الأنظمة المعقدة التي يصعب على المحلل استيعاب تفاصيلها بمجرد مراقبتها. ففي مثل هذه الحالات يقوم المحلل ببناء نموذج لما يريد دراسته يكون تمثيلاً صادقاً للواقع الموجود في النظام وتجريداً لما فيه من مكونات وتفاصيل "[2]

ويمكن النظر إلى الدوائر الخليلية على أنها من أوائل نماذج المحاكاة المقامة على أساس رياضي في تطور العلوم العربية إجمالاً إن لم تكن أول نموذج للمحاكاة، كما يمكن عد عمل الخليل كأحد البذور لنظرية المجموعات التي تقوم عليها الرياضيات الحديثة... وقد حيرت هذه الدوائر العلماء زمنا حتى أن الفيلسوف المعتزلي النظّام قال عنها لا يحتاج إليها غير الخليل[3]. وما ذلك إلا لأن الكثيرين لم يفهموها في ذلك العصر، أو لأنها طريقة جديدة في صنع العلم تقوم على إيجاد نموذج يجمع أطراف النظرية، وقد بقيت تلك الدوائر مستغلقة على الشرح ومن أوائل ما وصل إلينا من شروحها شرح ابن عبد ربه الأندلسي [4] مما يدل على عبقرية فذة استطاعت جمع بحور الشعر العربي كلها في تلك الدوائر، كما استطاعت صنع أساليب مبتكرة في ممارسة العلم.[1]

---

١ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني : المحكم في نقط المصاحف ، تحقيق : عزة حسن ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

٢ حسام محمد رمضان : أساسيات المحاكاة الحاسوبية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص ١٣.

٣ الخطيب التبريزي : الكافي في العروض والقوافي ، مرجع سابق ، مقدمة المحقق ، ص ٥ .

٤ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨٣ -٢٨٩ . ولكن أول من فك هذه الدوائر في الأندلس هو عباس ابن فرناس حكيم الأندلس حيث ورد في كتاب المغرب في حلى المغرب أنه " أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل ." انظر :

وفي الحق أن ما قام به الخليل من دوائر عروضية دل دلالة واضحة على مقدرته العقلية الهائلة التي استطعت اختصار علم كامل في خمس دوائر يقول الخطيب التبريزي: " والشعر كله أربعة وثلاثون عروضاً، وثلاثة وستون ضرباً، وخمسة عشر بحرا، تجمعها خمس دوائر"[٢]

ليس هذا فحسب بل يمكن إخراج كثير من البحور والأوزان المهملة[٣] التي لم تستعمل من تلك الدوائر بناء على نظرية الخليل في المهمل والمستعمل.

وقد مثلت تلك الدوائر بوصفها نموذجا تجريديا صورة واضحة لتطور الفكر اللغوي، كما أنها لم تكن لمجرد التعقيد "على الرغم من صعوبتها كونها أتت في مستوى عقل الخليل" إذ كان المقصد منها أن تحقق أهداف صنع النموذج العلمي ومنها:

- الانتقال إلى المرحلة التجريدية التي يتم فيها تجريد المعلومات باستعمال الرموز والنماذج، وهي تمثل أرقى المراحل العلمية.
- الاختصار، حيث قدمت معلومات علم كامل في خمس دوائر.

- ابن سعيد المغربي (ستة من المؤلفين آخرهم ابن سعيد) : المغرب في حلى المغرب، تحقيق : شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، الجزء الأول، ص ٣٣٣ .

١ ما يزال ما قام به الخليل في صناعة العروض يثير الإدهاش لبساطته ولتعقيده وغرابته في الوقت نفسه، وقد تعرض بعض من الدارسين لنظرية الخليل في أوزان الشعر العربي وفي الدوائر التي وضعها وللمزيد من التفاصيل، انظر :

- ذياب شاهين : العروض العربي في ضوء الرمز والنظام، دار الكندي، إربد، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤، ص ص ١١–١٨.

٢ الخطيب التبريزي : الكافي في العروض والقوافي، تحقيق : الحساني حسن عبدالله، مرجع سابق، ص ٢١ .

٣ انظر :

- محمد توفيق أبو علي : علم العروض ومحاولات التجديد، دار النفائس ،بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ص ٣٣–٣٩ .
- عبدالله محمد عبدالرحمن : مهملات الأوزان في الدوائر العروضية دراسة وموازنة، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠١٢ ،المجلد ١٤، ع ٢، ص ص ٤٣–٤٦ .

- الاستيعاب والتجاوز ؛ إذ إن من أجلِّ ما تقدمه عمليات النمذجة في العلوم هو التمكين القوي لعملية استيعاب المعلومات والإطار النظري لها ؛ مما قد يؤدي إلى عملية تجاوزها انطلاقا من استيعاب النموذج إما بنقد بناء النموذج، وإما بالتعديل في النموذج أو بتجاوز النموذج من خلال صنع نموذج بديل، وهذا ما أثارته دوائر الخليل عند القدماء وعند المحدثين على حد السواء[1]، ومن أول المحاولات عند القدماء لصنع نموذج معدل من تلك الدوائر ما وضعه الجوهري ت ٣٩٣هـ وسماه بالدوائر المداخلة[2] ويمكن أن يكون ذلك لكونها تكاد النمذجة الوحيدة في إطار العلوم اللغوية حتى العصر الحاضر

- التسهيلية، ونقصد بهذا المصطلح جعل المادة العلمية عملية عن طريق تسهيل الوصول إلى المعلومة، وذلك يشبه تماماً ما يقوم به الحاسبيون من تمثيل قواعد البيانات الكبيرة في شكل قوالب ونماذج تسهل سرعة الوصول إلى المعلومة، وأخذ المطلوب منها بصورة عملية، وكأننا بالخليل يريد أن يضع بين يدي نقاد الشعر ومريديه مقياساً عروضياً سريعاً ممثلاً في هذه الدوائر...

وفي المرجح أن هنالك دائرة أخرى غير الدوائر العروضية[3] صنعها الخليل واستعملها عند استقصائه لمفردات اللغة العربية لإيضاح فكرة التقليبات في الثلاثي حينما يتم فكها من عند كل حرف من الجهتين فتخرج هذه الدائرة من الثلاثي ستة أبنية ثلاثية وتسعة أبنية ثنائية، والذي يجعل هذه الدائرة أقرب إلى الدوائر العروضية أنه تم إخراج بنائيي الثنائي والثلاثي منها، ولم يكتف ببناء الثلاثي فقط وهذا يشبه الدائرة العروضية التي يخرج منها أكثر من بحر.

---

١ انظر : أحمد كشك : محاولات للتجديد في إيقاع الشعر، مطبعة المدينة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥/١٩٨٥م، ص ص ١٣–١٥٨.

٢ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : عروض الورقة، تحقيق د. صالح جمال بدوي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ص ٢٦–٢٧. والملحق هـ – و.

٣ انظر : محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥١٣، وانظر صورة الدائرة في الملحق : ص ٢٥.

ويبدو أن ابن دريد قد نقل هذه الدائرة عن الخليل دون أن يشير إلى ذلك، والذي يجعل ذلك مرجحاً ورودها قبل نص طويل منقول دون عزو في الجمهرة، مع أنه معزو إلى الخليل في مصدر آخر[1]، وكيفما كان الأمر فإن الدائرة الموجودة في الجمهرة هي من تأثيرات دوائر الخليل حتى لو كانت لابن دريد نفسه الذي تأثر كثيراً بالخليل بل اعتمد عليه في تأليف معجم الجمهرة ، ليس هذا فحسب بل تذهب بعض الدراسات إلى أن ابن فارس في معجم المجمل[2]، وفي مقاييس اللغة قد تأثر في طريقة ترتيب المادة العلمية داخل معجمه بدوائر الخليل في حصر بحور الشعر العربي[3].

والحقيقة أننا لا نكاد نظفر في العلوم الإنسانية في اللغة العربية من بعد الخليل على محاولات استعمال النمذجة أو حتى على الأقل استعمال الأشكال الإيضاحية، إلا أنها بدأت تظهر على استحياء في الدراسات العلمية الأكاديمية ويظل معظمها في إطار وضع أشكال إيضاحية لا في إطار صنع نماذج علمية إبداعية بعكس ما نراه في الدارسات الأجنبية التي تولي عملية النمذجة عناية فائقة لما لها من وظائف مهمة في تطوير النظريات العلمية، ولما لها من وظائف في أخرى تتمثل في سهولة الفهم وإيصال المعلومة واختصارها.

إن النمذجة هي المميز الأهم في لغة العلم اليوم، وهي تقوم بتغيير نظرتنا للمناهج العلمية وللعلم ذاته، كما أنها تحرر العقل العلمي وتساعد في إذكائه وفي إطلاق طاقاته.

ولأهمية دوائر الخليل إذ إنها أول محاولة للنمذجة في تأريخ التطور العلمي للعلوم اللغوية العربية، بل في تأريخ التطور العلمي للعلوم في الحضارة العربية سنشير إليها في

---

١ انظر الهامش رقم (٢٨) من هذا البحث

٢ انظر : عبدالله درويش : المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد ، مرجع سابق، ص ص١٢١-١٢٢.

٣ انظر : بكر عبدالله خورشيد : التوزيع الخارجي والداخلي للمادة المعجمية في مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ دراسة تحليلية ، مجلة سُرَّ من رأى ، جامعة سامراء المجلد السابع ، ع ٢٥ ، س السابعة ، نيسان ٢٠١١ ، ص ص ١٧٩-١٨٣.

ملحق خاص في آخر البحث[1]، لعلها توضح للقارئ الكريم مقدار الجهد التسارعي في المنظومة العلمية عند الخليل.

---

١ هذه الدوائر منقولة مع شرح رموزها من :

- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ص ٢٨٤ – ٢٨٩ .

وتسمى الدائرة الأولى دائرة المختلف ، ويخرج منها الطويل والمديد والبسيط ، وتسمى الثانية دائرة المؤتلف ويخرج منها الوافر والكامل ، أما الثالثة فهي دائرة المجتلب ويخرج منها الهزج والرجز والرمل ، ويخرج من الدائرة الرابعة وهي دائرة المشتبه السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث في حين يخرج من الدائرة الخامسة وهي دائرة المتفق بحر المتقارب ، كما يمكن أن يخرج مكنها بحر المتدارك ... أما رموز هذه الدوائر فهي كالتالي : الخطوط رمز على الحروف الساكنة ، والدوائر رمز للحروف المتحركة ، والنقط التي على الخطوط رمز للسقوط أو الحذف . أما الدوائر التي فوقها نقاط فهي تدل على أنها تحذف أو تسكن ، في حين أن الدوائر التي في وسطها نقاط تمثل بداية الشطر ويبدأ استخراج البحر الشعري من عندها . وترمز النقطتان لموضع التعاقب أو التراقب ويقصد بالتعاقب ما يكون بين السببين المتقابلين في حشو الشعر حيثما كانا أما التراقب فبين السببين المتقابلين من فاصلة واحدة .

- وسنوضح طريقة فك الدائرة الأولى من خلال الاعتماد على شرح من أفضل الشروح التي وجدناها لمهندس الاتصالات عبدالحميد ضحا كمثال : إذ" تبتدئ هنا من الوتد الأول في الدائرة، وتَمُرُّ إلى منتهاها، فيخرج: (فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ)، وهو شطر بحر (الطويل). ثم تبتدئ من السبب الخفيف الأول، فتقول: (لُنْ مَفَاعِي لُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِي لُنْ)، وتضيف إليه ما فات وهو: (فَعُو)، ووزن ذلك: (فَاعِلاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلاتُنْ فَاعِلُنْ)، وهو شطر بحر (المديد). ثم تبتدئ من الوتد، فتقول: (مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ)، وتضيف إليه ما فات وهو: (فَعُولُنْ)، وهذا شطر البحر المهمل الأول، بحر (المستطيل). ثم تبتدئ من السبب الأول بعد هذا الوتد الثاني، فتقول: (عِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَا عِيلُنْ)، وتضيف إليه ما فات وهو: (فَعُولُنْ مَفَا)، ووزن ذلك: (مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ)، وهو شطر بحر البسيط. ثم تبتدئ من السبب الثاني بعده، فتقول: (لُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِي لُنْ)، وتضيف إليه ما فات وهو (فَعُولُنْ مَفَاعِي)، ووزن ذلك: (فَاعِلُنْ فَاعِلاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلاتُنْ)، وهو شطر البحر المهمل الثاني، بحر (الممتد) " وانظر طريقة فك الدائرة في الملحق ص ٢٢

- عبد الحميد ضحا : شرح دوائر الخليل بن أحمد الفراهيدي ، موقع الألوكة الإلكتروني على الرابط :

http://www.alukah.net/Literature_Language/٠/٣٤٤٣/#ixzz٢LzOQZSrN:

خاتمة

إن التسارع المنهجي الذي انبثق قُبيل النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وكان رائده الكبير هو الخليل، وإن كان قد اشترك فيه بعض معاصريه كيونس الذي له كتاب مفقود في القياس[1]، وتلميذه سيبويه صاحب الكتاب وغيرهما... ليمثل حالة علمية فريدة أسهمت في لحظة انبثاقها في تأسيس جد قوي للعلوم اللغوية، وقد حاول البحث أن يبحث في المقام الأول عن السر وراء هذا التسارع المنهجي عند الخليل فذهب إلى أن الامتلاء بالوهم المتمثل في "الحفظ = العلم" أدى بالضرورة إلى التسارع في حل المشكلات التي لم يستطع ذاك الوهم حلها إضافة إلى ما توافر من بيئة علمية خصبة أذكت هذا التسارع[2] ثم قام البحث في المقام الآخر برصد أهم مظاهر التسارع العلمي عند الخليل التي تجلت في خطواته التسارعية من مرحلة الجمع إلى مرحلة الاستقراء التصنيفي إلى الاستقراء الرياضي، إلى الفروض العلمية الاستنتاجية، إلى وضع النظريات العلمية، إلى الإسهام في تشكيل الأجهزة المصطلحية والمفاهيمية للعلوم اللغوية إلى العمل على إيجاد بعض الآليات العلمية.

والأهم بالنظر إلى حالة التوقف العلمي التي نعيشها الآن هو أن أفضل ما نفيده من التسارع المنهجي عند الخليل أننا الآن في أشد الحاجة إلى الاهتمام بالدراسات المنهجية والمنوالية والإبستمولوجية اهتماماً شديداً، وأننا كذلك لفي مسيس الحاجة لتسارع منهجي أكثر مما نحن في حاجة إلى تراكم تنظيري أو مدرسي أو تطبيقي للنظريات القديمة، أو الجديدة فحسب.

ولابد من التنبيه بوضوح إلى أن بحث التسارع المنهجي عند الخليل بن أحمد لا يعني بأية حال من الأحوال أن نعود إلى النقطة ذاتها التي بدأ بها الخليل أو إلى تقليديه، كما لا

---

١ انظر : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي : بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج٢، ص ٣٦٥ .

٢ انظر : جمعان بن عبدالكريم : التطور الإبستمولوجي للخطاب اللساني (غموض الأوليات) ، دار الفارابي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠، ص ص ٧٠–٧١ .

يعني أيضاً أن بعض المناهج والدراسات اللغوية في العالم العربي وفي العالم لم تتجاوز في كثير من جوانبها المنجز التراثي. إن وكد هذا البحث أن يبين أن للتراث اللغوي العربي وللخليل قيمة علمية وعالمية ينبغي الإضافة عليها وتجاوزها

* * *

ملحق

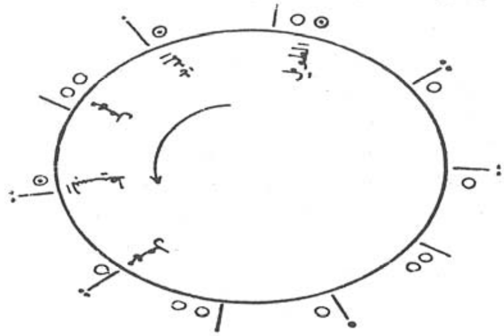
طريقة فك الدائرة الأولى

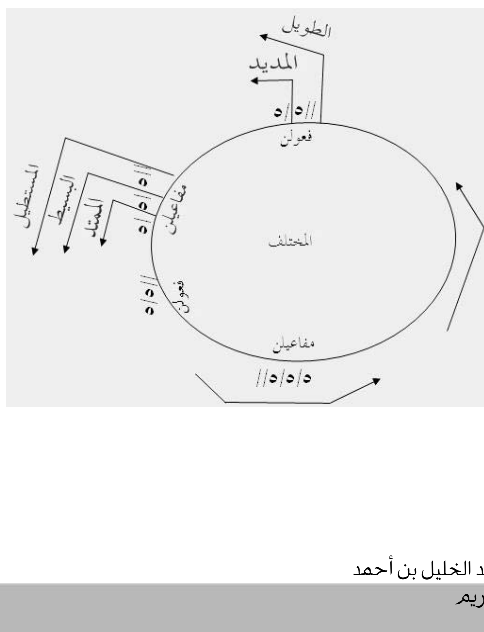
الأولى: دائرة المختلف

الطويل: مبني على فعولن مفاعيلن ثماني مرات

المديد: مبني على فاعلاتن فاعلن، ست مرات

البسيط: مبني على مستفعلن فاعلن، ثماني مرات

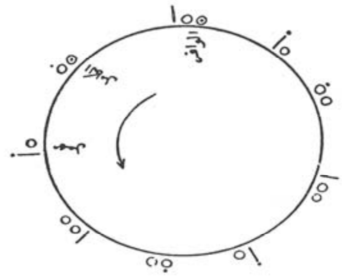




الثانية: دائرة المؤتلف

الوافر: مبني على مفاعلتن، ست مرات ، فقطعوا ضربه وعروضه.

الكامل: مبني على متفاعلن، ست مرات

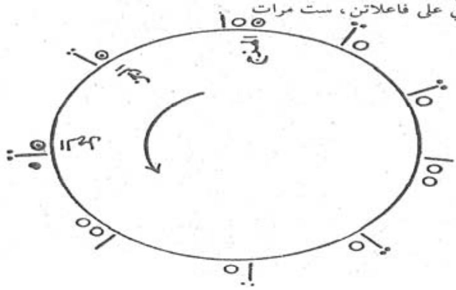


الثالثة: دائرة المجتلب

الهزج: مبني على مفاعيلن، بعد الحذف، أربع مرات

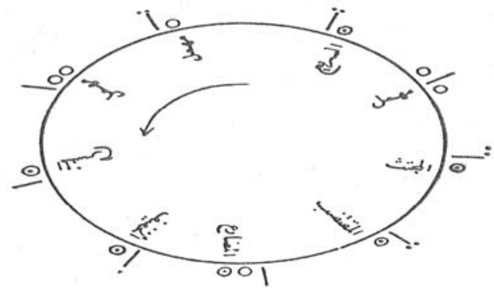
الرجز: مبني على مستفعلن، ست مرات

الرمل: مبني على فاعلاتن، ست مرات



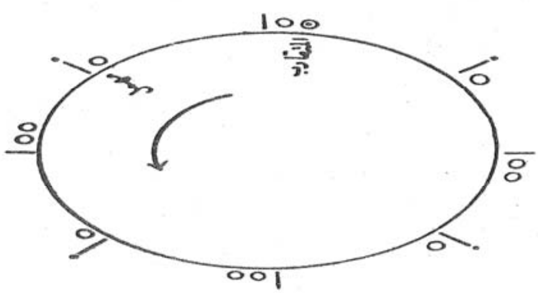
الرابعة: دائرة المشتبه

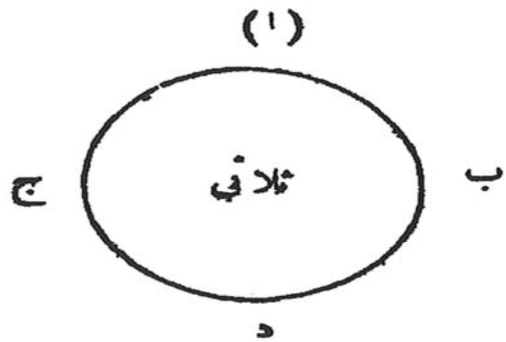
السريع: مبني على مستفعلن مفعولات، ست مرات.
المنسرح: مبني على مستفعلن مفعولات مستفعلن، ست مرات.
الخفيف: مبني على فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن، ست مرات.
المضارع: مبني على مفاعيلن فاعلاتن ست مرات، فحذفوا منه جزأين فصار مربعا.
المقتضب: مبني على مفعولات مستفعلن مستفعلن ست مرات، فربعوه كما تقدم.
المجتث: مبني على فاعلاتن فاعلاتن. ست مرات. فربعوه كما تقدم



الخامسة: دائرة المتفق

المتقارب: مبني على فعولن، ثماني مرات





دائرة تقليبات الاسم الثلاثي في نهاية كتاب الجمهرة

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب.

- القران الكريم.
- إسماعيل، محمد عماد الدين: المنهج العلمي وتفسير السلوك، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- بدر، أحمد: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩، ص ٣١.
- بدوي، عبدالرحمن: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣.
- البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، "عُمان: ١٤١٣هـ /١٩٩٢م".
- بوش، ف.: أساسيات الفيزياء، ترجمة: د. سعيد الجزيري، ود. محمد أمين سليمان، دار ماكجرو هيل للنشر، القاهرة، ١٩٩٦.
- التبريزي، الخطيب: كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م /١٤١٥هـ.
- الجابري، محمد عابد: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص ص ١٢٤– ١٢٦ و ص ٣٣٤.
- الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٥٨.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: عروض الورقة، تحقيق د. صالح جمال بدوي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ابن حمزة، مصطفى: نظرية العامل في النحو العربي "دراسة تأصيلية وتركيبية"، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- خالدوف: اللغة العربية، ضمن كتاب بولشاكوف: دراسات في تأريخ الثقافة العربية ، ترجمة د. أيمن أبو شعر، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م، ص ٥٧.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م م.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد:
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٨.
- المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- درويش، عبدالله: المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد، المكتبة الفصيلية، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص ٥٦–٧٦.
- ابن دريد، محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، ١٣٤٦هـ .
- الدريسي، فرحات: منزلة التفكير بالمنوالين الرياضي والطبيعي في نتاج المعرفة في البيئة الثقافية الإسلامية، ضمن كتاب المناويل، تحرير فرحات الدريسي، منشورات دار المعلمين العليا ودار سحر، تونس، المجلد VI، ٢٠٠٩.
- ابن الدهان، أبو محمد سعيد بن المبارك النحوي: الفصول في القوافي، تحقيق: صالح بن حسين العايد، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- رمضان، حسام محمد: أساسيات المحاكاة الحاسوبية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- الزبيدي ، محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م.
- الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- زيدان ، محمود فهمي: الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٧.
- السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي المتوفى ٤١٢هـ تفسير السلمي المسمى حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن:

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ج١، ص ص ٥٥٧ –٥٦٠.

– المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى بك وآخرون، دار التراث، القاهرة، بدون تأريخ.

- شالمرز، آلان: نظريات العلم، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توبقال، الدرا البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩١.

- شاهين، ذياب: العروض العربي في ضوء الرمز والنظام، دار الكندي، إربد، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤..

- الشريف، محمد صلاح الدين: خواطر شك نظرية، مؤسسة مرايا الحداثة للإنتاج الفكري، تونس، ٢٠٠٧.

- صقر، نادية حسني: العلم ومناهج البحث في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ص ١٠٣–١١٣.

- الطرابلسي، أمجد: نظرة تأريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، بدون بيانات، بدون تأريخ.

- ظاهر، أحمد جمال الدين ومحمد أحمد زبارة: البحث العلمي الحديث، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- العبد، عبدالحكيم: علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٨٢.

- عبدالكريم، جمعان بن: التطور الإبستمولوجي للخطاب اللساني "غموض الأوليات"، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

- عقيل، عقيل حسين: فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

- العلولا، منيرة بنت سليمان: الإعراب وأثره في ضبط المعنى "دراسة نحوية قرآنية"، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م، ١٤١٣هـ.

- أبو علي، محمد توفيق: علم العروض ومحاولات التجديد، دار النفائس،بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

- غيتمانوف ، إلكسندرا: علم المنطق، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: عبدالله درويش، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
- القرطبي، ابن مضاء: الرد على النحاة ، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م
- القوزي، عوض محمد: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، جامعة الرياض "الملك سعود"، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- كشك، أحمد: محاولات للتجديد في إيقاع الشعر، مطبعة المدينة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥/١٩٨٥م.
- مجمع اللغة العربية: معجم مصطلحات أصول الفقه، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- المخزومي، مهدي: الفراهيدي عبقري من البصرة، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
- مراياتي، محمد وآخرون: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول، بدون تأريخ.
- مصطفى ، إبراهيم: إحياء النحو، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، استنبول، تركيا، ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ، طبعة مصورة عن طبعة مجمع اللغة العربية.
- المغربي، ابن سعيد "ستة من المؤلفين آخرهم ابن سعيد": المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، الجزء الأول.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تأريخ.
- ناصر، محمد بن صالح: الخليل بن أحمد الفراهيدي العالم العبقري، ويلحق به مخطوط ولاية الخليل وجزء من تلقين التالي لآيات المتعالي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تأريخ.

ثانياً: الدوريات.

- إبرير، بشير: أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر، ع ٧، فبراير، ٢٠٠٥م .

- خورشيد ، بكر عبدالله: التوزيع الخارجي والداخلي للمادة المعجمية في مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ دراسة تحليلية، مجلة سُرَّ من رأى، جامعة سامراء المجلد السابع، ع ٢٥، س السابعة، نيسان ٢٠١١ .
- الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: كتاب العروض، تحقيق سليمان أبو ستة، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس، العدد الثالث، رجب ورمضان ١٤٢٥هـ / سبتمبر ونوفمبر ٢٠٠٤م.
- صالح، عبدالرحمن الحاج:
– البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الخامسة، ع ٢٦، ربيع الأول– الثاني ١٣٩٥هـ / إفريل – ماي ١٩٧٥م.
– المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي، ندوة تطور اللسانيات العربية، ١٩٨٧م.
– النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع ١، ١٩٩٦م.
– النحو العربي والبنيوية: اختلافها النظري والمنهجي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ع ١، ٢٠٠٢م.
– النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، ع ١، ١٩٦٤م.
- صلاح الدين، ملاوي: قراءات على هامش النظرية الخليلية: بحث في المقولة العاملية، مجلة مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ع ١، ٢٠٠٩، ص ص ١٢٥ – ١٣٣.
- عبدالرحمن، عبدالله محمد: مهملات الأوزان في الدوائر العروضية دراسة وموازنة، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠١٢،المجلد ١٤، ع ٢، ص ص ٤٣–٤٦.
- العلوي، شفيقة: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، حوليات التراث، الجزائر، مستغانم، ع ٧، ٢٠٠٧م، ص ص ٣–١٤.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

- ضحا، عبد الحميد: شرح دوائر الخليل بن أحمد الفراهيدي، موقع الألوكة الإلكتروني على الرابط:
http://www.alukah.net/Literature_Language/0/3443/#ixzz2LzOQZSrN:
- المكتبة الشاملة، قرص CD، وانظر موقع المكتبة الشاملة على الرابط الآتي: /shamela.ws

شعر جُوبان القواس
(٠٠٠- في حدود ٦٨٠هـ)

جمعه ووثّقه وشرح غريبه

د. محمد بن إبراهيم الدوخي

قسم الأدب - كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

شعر جُوبان القواس (٠٠٠- في حدود ٦٨٠هـ)

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب – كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

جمع نتاج الشعراء القدامى المتناثر في العديد من المصادر أمر له قيمة وميزة ، ففيه لملمة ما يجده الجامع في أي مصدر وتحريره وتوثيقه وبعد ذلك تقديمه للمكتبة .

وفي هذا البحث جمعت شعر جُوبان القواس (٠٠٠– في حدود ٦٨٠هـ) ، وبلغ المقدار المجموع (٢١٧) بيتا ، ما بين نص صريح النسبة إليه ، وآخر متردد النسبة بينه وبين غيره .

وقد رتّبت القوافي ترتيبا هجائيا ، ، ونسبت كل قطعة إلى بحرها ، وبيّنت بعد ذلك اختلاف الروايات ، مصححا ما احتاج إلى تصحيح ، منهيا ذلك بشرح ما كان محتاجا إلى شرح .

وجاء في آخر البحث النصوص التي جاءت على الأوزان المستحدثة ، وهي أوزان شاعت في عصر الدول والإمارات .

Jouban Al-Qawwas Poetry (000-around 680 Hijri) Collection, Edition, and Explanation of its Exotic

Dr Mohammad Ibrahim Al-Doukhi
Department of Literature- Faculty of Arabic Language
Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract;

Collecting the scattered production of what the ancient poets have said is of great value and importance, as it has pickings from any sources, followed by editing, revising, documenting, and then providing that to libraries. In this research, I have collected the poetry of Jouban Al-Qawwas (000-around 680 Hijri), and the total was (217) lines, some of which clearly belong to him . The rhymes were ordered alphabetically, every piece was attributed to its rhythmical pattern, differences of narration were explained with corrections made, and ending with the parts that need explanation. The study concludes with the texts that came with the modern metres, that were common at the era of states and emirates.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فلجمع الشعر منزلة سامقة بين أهل الأدب والنقد، ففيه لمّ شعث ما تفرّق في بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة وإبرازه للدارسين، ليشكّل ذلك سدّاً لثلمة وإكمالا وتتميما لنقص في جانب من جوانب الأدب.

وبين يديك أيها القارئ الكريم جمع لشعر جُوبان القواس، وهو شاعر مغمور في عصر الدول والإمارات، لم أجد أحدا عُني بجمع شعره وتوثيقه بعد طول بحث وتقصٍّ، فصح مني العزم حينئذ لتتبع شعره في مظانه المخطوطة والمطبوعة النادرة وغير النادرة.

وقد أتى منهجي في البحث كما يلي:

التعريف بالشاعر من حيث حياته محاولا جمع كل ما قيل عنها، ومقابلة بعضه ببعض، لكي أصل لرأي صواب أو قريب منه.

وقد أتى منهجي في الجمع وفاق ما يلي:

رتّبت القوافي ترتيبا هجائيا، ورقّمت كل قطعة برقم خاص، وكان الروي المكسور هو المقدّم يليه المضموم فالمفتوح ثم الساكن، ونسبت كل قطعة إلى بحرها، وشكّلت جميع الأبيات، وجاء ترتيب المصادر التي أوردت النص ترتيبا زمنيا بادئا بالأقدم، وربما جاءت بعض المصادر التي اشتركت في تخريج نص واحد خاصة بمؤلف واحد وحينئذ فإني أبدأ بالمخطوط،فإن لم يكن فيها مخطوط فإني أرتبها هجائيا، وبيّنت بعد ذلك اختلاف الروايات، مصححا ما احتاج إلى تصحيح، منهيا ذلك بشرح ما كان محتاجا إلى شرح.

وجاء في آخر البحث النصوص التي جاءت على الأوزان المستحدثة، وهي أوزان شاعت في عصر الدول والإمارات.

وقد جمعت (٦٤) نصا ما بين نصوص صحيحة النسبة إلى جوبان القواس وأخرى– وهي قليلة – منسوبة إليه وإلى غيره، وجاءت تلك النصوص في (٢١٧) بيتا .

وبعد، فلست ممن يدّعي أنه أحاط بشعر جوبان القواس جمعا ولا ممن يزعم أنه لم يبق في

شعره بقية – مع بذلي ما في وسعي وطاقتي في تتبع مصادر شعر جوبان القواس ومراجعه – فذاك أمر عزيز لا يدّعيه إلا مجازف.

وبعد فأسأل الله العلي العظيم أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ترجمته:

اسمه:

ورد للشاعر في كتب التراجم أكثر من اسم فهناك من ذكره بجُوبان بن مسعود بن سعد الله[1]، وهناك من ذكر أن له اسما آخر هو رمضان[2]، الدُنَيْسِري القوّاس التَّوْزِي[3]، وقيل اسمه رمضان الجوبان[4].

والراجح والذي ورد في أكثر تراجمه، وفي أكثر الكتب التي أوردت شعره أن اسمه جوبان[5].

ومعنى اسمه الراعي، واللفظ (جوبان) آتٍ من الفارسية، وقد دخلت الكلمة إلى التركية بالمعنى السابق، واستُخدمت في التركية اسما ولقبا للذكور[6].

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الذهبي. تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري: ٥٠ /٣٨١، نشر دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان،والوافي بالوفيات. خليل الصفدي , اعتناء شكري فيصل. ٢١٦/١١، دار فرانز شتاينر. ١٤١١هـ ١٩٩١م. دار صادر. بيروت،وفوات الوفيات والذيل عليها.محمد الكتبي. تحقيق د. إحسان عباس: ٣٠٣/١، دار صادر. بيروت،وعقود الجمان.محمد الزركشي:٨٦/١ /ب. نسخة مصورة في مكتبة الأمير سلمان تحت الرقم (١٨٨)ص،والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي.حققه ووضع حواشيه د. نبيل محمد عبد العزيز:٥ /٣٥. ١٩٨٨م. مركز تحقيق التراث، والدليل الشافي على المنهل الصافي. ابن تغري بردي الحنفي. حقّقه وقدّم له فهيم محمد شلتوت:٢٥٣/١. مكتبة الخانجي.دط.دت. القاهرة، والأعلام.الزركلي:١٤٣/٢.دار العلم للملايين.ط١٠. ١٩٩٢م بيروت. لبنان،ومعجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م. كامل الجبوري:٤٤٥/١.منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. بيروت. لبنان.

(٢) تاريخ الإسلام:٥٠ / ٣٨١،ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار.شهاب الدين العمري.تحقيق جملة من الباحثين:٢٥١/١٢. مركز زايد للتراث والتاريخ. دط. ٢٠٠١م،والوافي بالوفيات:٢١٦/١١، وفوات الوفيات: ٣٠٣/١، وعقود الجمان:٨٦/١ /ب،،والمنهل الصافي:٥ /٣٥، والدليل الشافي: ٢٥٣/١.

(٣) تاريخ الإسلام:٥٠ / ٣٨٢،والوافي بالوفيات:٢١٦/١١،وعقود الجمان:٨٦/١ /ب، وفيه التوزري،وهو خطأ كتابي فقط، المنهل الصافي:٥ /٣٥، والدليل الشافي: ٢٥٣/١، الأعلام:١٤٣/٢.

(٤) تاريخ الإسلام:٥٠ / ٣٨١.

(٥) المصدر السابق: ٥٠ /٣٨١،والتذكرة الصفدية. خليل الصفدي. مخطوطة مصورة في مكتبة الأمير سلطان بجامعة الإمام: ١٤/ق٥٧ /أ. تحت رقم(١٠١٣/ف)، والوافي بالوفيات: ٢١٦/١١، وفوات الوفيات: ٣٠٣/١،وعقود الجمان:٨٦/١ /ب،والمنهل الصافي:٥ /٣٥، والدليل الشافي ٢٥٣/١.

(٦) انظر:معجم أسماء العرب. إشراف محمد بن الزبير:٣٥٧/١.جامعة السلطان قابوس. مكتبة لبنان.ط١. ١٤١١هـ ١٩٩١م. بيروت. لبنان.

لقبه:

أمين الدين[1]وهو الذي عليه أكثر من ذكر لقبه،وقليل من ذكر أنه يلقّب جوبان[2]،وهناك

من قال إن لقبه زين الدين وهو الأقل[3].

صنعته وطلبه العلم:

قال شهاب الدين العمري:"كان شغله صنعة القسي يطلع أهلّتها،ويصنع من سقام الأصيل حلّتها "[4]، وقال صلاح الدين الصفدي:"وكانت كتابته من جهة التتوير[5] في غاية القوة،بحيث إنه استعار من القاضي عماد الدين محمد بن الشيرازي درْجا بخط ابن البواب،ونقل ما فيه إلى درْج بورق التوز،وألزق التوز على خشب،وأوقف عليه ابن الشيرازي فأعجبه،وشهد له أن في بعض ذلك شيئا أقوى من خط ابن البواب، واشتهر بدمشق وبقي الناس يقصدونه يتفرّجون عليه "[6].

وعلى هذا فحين يُذكر في نسبه القواس فهذا نسبة إلى صنعته، وهذا الأمر كثير الورود كالحريري والثعالبي وغيرهما.

---

(1) مسالك الأبصار:٢٥١/١٢، والوافي بالوفيات:٢١٦/١١،وفوات الوفيات:٣٠٣/١،وعقود الجمان:٨٦/١/ب.

(2) عقود الجمان:٨٦/١/ب، والمنهل الصافي:٣٥/٥.

(3)صرف العين.خليل الصفدي. حققّه ودرسه د. محمد عبد المجيد لاشين: ٦/٢ والكلام للمحقق، الحاشية رقم (٣). دار الآفاق العربية ط١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م القاهرة. وقد ضعّف المحقق اللقب، وذكره المحقق أيضا في لذة السمع في صفة الدمع.خليل الصفدي.تحقيق د.محمد لاشين:٤٤٨ حاشية النص رقم(٦٨٥) ط١.دار الآفاق العربية. ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.القاهرة.

(4) مسالك الأبصار:٢٥١/١٢.

(5) صوابها التتويز كما أشار إلى ذلك شكري فيصل في الحاشية وقال:"يبدو من سياق النص أن التتويز هو الكتابة على لحاء التوز، والتوز نوع من الشجر كما في (التاج)" وقد وردت بـ (التتويز) نصا في فوات الوفيات:٣٠٣/١، ووردت بتحريف في المنهل الصافي (التنوين):٣٥/٥.

(6)الوافي بالوفيات:٢١٦/١١،والنص في فوات الوفيات:٣٠٣/١–٣٠٤،والمنهل الصافي:٣٥/٥.

قال شهاب الدين العمري: " كان لا يقرأ ولا يكتب،ولا سلف له سابق بأديب ولا

درس"[١] ثم قال:"وحكى لي شيخنا شهاب الدين محمود الحلبي الكاتب عنه أنه كان يدّعي

الأميّة، وكان بخلاف ما يدّعيه، قرأ وكتب وحفظ المفصّل في النحو،وحكى لي صاحبناالشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن الغويرة السلمي عنه أنه كان يأخذ الخطوط المنسوبة الفائقة بخط ابن البواب والولي التبريزي وأمثالهما،ويضعها قدّامه بحيث يراها ثم يقصّ من التَّوِّ مثلها،ويلصقها أسطرا في الدروج لا يفرّق بين ما قصّه منها بالمقص،وبين ما كتبه أولئك الكتّاب بالقلم "[٢].وقال عنه الكتبي:"لم يكن يعرف الخط ولا النحو"[٣].

منزلته الشعرية:

تناثر تقريظ شعر جوبان القواس في بعض المصادر، فقال شهاب الدين العمري:"لسان ينفق دُرًّا، وبيان ينفث سحرا،وسنان يصيب نحرا، وحسّان يؤيد بروح القدس إذا قال شعرا "[٤].

وهذا دليل على علو منزلته في الشعر،فقد شبّهه العمري بحسان رضي الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأثنى على بيانه ولسانه بقوة التأثير وحسن البيان وإصابة المحزّ.

وقرّظ الذهبي شعره فقال عنه: " وله نظم في الذروة"[١]،وقال أيضا:"وكان له نظم جيد"[٢]،وقال شهاب الدين العمري:" وحكى لي حسن بن المحدّث الكاتب أنه كان

---

(١) مسالك الأبصار:٢٥١/١٢،وانظر: الوافي بالوفيات:٢١٦/١١،وفوات الوفيات:٣٠٣/١، والمنهل الصافي:٥/ ٣٥.

(٢) مسالك الأبصار:٢٥١/١٢.

(٣) فوات الوفيات:٣٠٣/١، وانظر: الأعلام:١٤٣/٢،ومعجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م:٤٤٥/١.

(٤) مسالك الأبصار:٢٥١/١٢.

يكون قاعدا في عمل صناعته وهو ينظم القطعة من الشعر النظم الجيّد المرضي، وفي شعره ما يُبلل بقطره الغمائم،ويلطم بنشره اللطائم "[٣]، وقال عنه الزركشي:"له النظم البليغ"[٤]، ونعته بـ"الشاعر المشهور"[٥]، وقال الغزولي:"الأديب الفاضل الأوحد"[٦]، وذكره صاحب الـجوهر

السني في شرح بديعية الصفي قائلا:"الأديب الفاضل الأوحد أمين الدين جوبان القواس"[٧].

ذكاؤه

نعتـــه غـــير واحـد مـمن ذكـره بالـذكاء فقـال الـصفدي"كـان مـن أذكيـاء بني آدم"[٨]،وقال

الزركشي:"كان من الأذكياء الفضلاء"[٩] وقال أيضا:"وكان له ذهن خارق"[١٠].

ديوانه:

---

(١) تاريخ الإسلام:٥٠ / ٣٨١.

(٢) المصدر السابق:٥٠ / ٣٨٣،وراجع الوافي بالوفيات:١١/٢١٦، وفوات الوفيات:١/٣٠٣، والمنهل الصافي: ٥ /٣٥،وراجع الأعلام:٢/١٤٣،وانظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م:١/٤٤٥.

(٣) مسالك الأبصار:١٢/٢٥١.

(٤)عقود الجمان:١/ق٨٦ /ب.

(٥)المصدر السابق:١/ق٨٧ /أ،وذكر ذلك ابن تغري بردي أيضا،راجع:المنهل الصافي:٥ /٣٥،الدليل الشافي:١/٢٥٣.

(٦)مطالع البدور في منازل السرور.علاء الدين الغزولي:١/ ١٨٩.مكتبة الثقافة الدينية.دط. ١٤١٩هـ ٢٠٠٠م. بور سعيد.

(٧) الجوهر السني في شرح بديعية الصفي.عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافعي البيساري.:ق١٢/أ. مخطوطة في مكتبة الأمير سلمان. رقم التصنيف (٨١٩،٦ ج ر) والرقم العام (٣٢١٨ ر).

(٨) الوافي بالوفيات:١١/٢١٦. وراجع الأعلام:٢/١٤٣.

(٩)عقود الجمان:١/٨٦ /ب. وانظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م:١/٤٤٥.

(١٠) تاريخ الإسلام:٥٠ / ٣٨٣،والوافي بالوفيات:١١/٢١٦، والمنهل الصافي:٥ /٣٥.

تناثرت أشعار جوبان القواس في العديد من مصادر ترجمته، وأما عن ديوانه فقد أشار الصفدي إلى أن له ديوانا في ترجمته لعبد القاهر بن محمد قائلا:"وأنشدني لنفسه في شبابة أي: عبد القاهر بن محمد، وقد وجدتها فيما بعد في (ديوان جوبان القواس) بخطه"[1].

ومن خلال النظر في الشعر المجموع أجد غلبة للمقطوعات والنتف على شعر القوّاس.

وفاته:

أكثر من ذكر تاريخ وفاته جعله في حدود(٦٨٠هـ) [2]،وشك الذهبي فقال:"ما أدري توفي الجوبان بعد الثمانين أو قبلها"[3]، وورد في مطالع البدور وفاته سنة (٦٦٣هـ)[4]، وقول من قال في حدود سنة (٦٨٠هـ) يوافق قول الذهبي، فقولهم(في حدود) تشمل ما قبل الثمانين وما بعدها، وكانت وفاته في دمشق[5].

* * *

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر. خليل الصفدي. تحقيق د. علي أبي زيد وآخرين:١٢٨/٣.دار الفكر.ط١. ١٤١٨هـ.دمشق.

(٢) الوافي بالوفيات:٢١٦/١١،وفوات الوفيات:٣٠٤/١، وعقود الجمان:١/ق٨٧ /أ، والمنهل الصافي: ٥ /٣٥، والدليل الشافي:٢٥٣/١.

(٣) تاريخ الإسلام:٥٠ / ٣٨٣،وراجع الأعلام:١٤٣/٢.

(٤) مطالع البدور: ١٢٢.

(٥) انظر:الأعلام:١٤٣/٢،وانظر:معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م:٤٤٥/١.

الشعر المجموع

قافية الباء

(١) (البسيط)

١–وَبَاقَــةٍ أُلِّفَــتْ مِــنْ نَــرْجِسٍ نَــضِرٍ تَــرُوقُ أَبْــصَارَنَا بِــالمَنْظَرِ العَجَــبِ

٢–تُخَــالُ مَائِـدَةً مِــنْ فِـضَّةٍ وُضِـعَتْ وَبُــثَّ فِيْهَــا سَــكَارِيْجٌ مِــنَ الــذَّهَبِ

التخريج:

١– مسالك الأبصار:٢٥٦/١٦.

الشرح:

٢– سكاريج: جمعٌ ومفردها سُكُرُّجة، وهي قصعة يؤكل بها صغيرة، واللفظة ليست عربية[1].

(٢) (مجزوء الخفيف)

١–سَــارَ مَزْمُــومُ رَكْــبِهِمْ وَهْــوَ عَنِّــي مُجَنِّــبُ

٢–فَأَنَــا اليَــومَ بَعْــدَهُمْ بِالمَغَــانِي مُــشَبِّبُ

التخريج:

١– مسالك الأبصار:٢٥٣/١٦.

٢– الوافي بالوفيات:٢١٩/١١.

اختلاف الروايات:

١ـ في الوافي بالوفيات:... (مذموم).

٢– في الوافي بالوفيات:... (أشبّب).

---

(١) تكملة المعاجم العربية. رينهات دوزي. ترجمة د.محمد سليم النعيمي:١٠٧/٦. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. ١٩٨٢م. الجمهورية العراقية.

(٣) (السريع)

١–وَذَات وَجْهَــيْنِ وَمَـا فِيْهِمَـا عَــيْنٌ وَلا أنْــفٌ وَلا حَاجِـبُ

٢–لَهَـا فَـمٌ لَـيْس لَـهُ مَـدْخَلٌ وَهْـوَلِمَـا يَـسْقُونَهُ شَـارِبُ

التخريج:

١– مسالك الأبصار:٢٦٠/١٦.

(٤) (الطويل)

١–إِذَا كَبُـرَتْ نَفْـسُ الفَتَـى قَـلَّ عَقْلُـهُ وَأَمْـسَى وَأَضْـحَى سَـاخِطاً مُتَعَتِّبَـا

٢–وَإِنْ جَـاءَ يَسْتَقْـضِي مِـنَ النَّـاسِ يَـرَى أنَّهَـا حَــقٌ عَلَـيْهِمْ مُرَتَّبَـا

٣–وَإِنْ طَـالَبُوهُ النَّـاسُ يَومَـاً بِحَقِّهِـمْ لَـوَى وَجْهَـهُ غَيْظَـاً عَلَـيْهِمْ وَقَطَّبَـا[1]

٤–يَـرَى أنَّ كُـلَّ النَّـاسِ قَـدْ خُلِقُـوا لَـهُ عَبِيْـداً وَفِـي كُـلِّ القُلُـوبِ مُحَبَّبَـا

٥–فَلا يَرْتَضِي إِنْ لَمْ يَكُنْ تَحْتَ أَمْرِهِ مِـنَ الكَـونِ يَجْـرِي مَـا أَرَادَ وَمَـا أَبَـى

التخريج:

١– فوات الوفيات:٣٠٦/١.

٢– عقود الجمان:١/ق٨٨/أ.

(٥) (البسيط)

١–أَرِنـي المُنَـافِسَ فِـي الـدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَـا حِرْصَـاً وَلِلـرِّزْقِ حُكْـمٌ يُبْطِـلُ الـسَّبَبَا

٢–كَلاعِـبِ النَّـرْدِ يَفْنَـى فِـي تَـصَرُّفِهِ جُهْـداً وَيَمْنَعُـهُ المِقْـدَارُ مَـا طَلَبَـا

---

(١) قول الشاعر: (وإن طالبوه الناس) ليس على الكثير في اللغة، فالكثير وإن طالبه الناس.

التخريج:

١- مسالك الأبصار: ٢٥٦/١٦.

الشرح:

٢- النرد: معرب، وهو لعبة ذات صندوق وحجارة وفصّين، تعتمد على الحظ وتُنقل فيها الحجارة حسب ما يأتي به الفص[١].

(٦) (السريع)

١-أَدِرْ عَلَينَا كَأسَ ذِكْرِ الحَبِيبْ	فَإِنَّهُ يُسْكِرُ سُكْراً عَجِيْبْ
٢-[لَوْلا] نُسَيْمَاتٌ بِنَشْرِ الحِمَى	تَأْتِي مَعَ الصُّبْحِ لَمَاتَ الكَئِيْبْ[٢]
٣-وَارَحْمَتَا لِلصَّبِّ إِنْ عَرَّضُوا	بِذِكْرِ مَنْ يَهْوَاهُ عِنْدَ الرَّقِيْبْ
٤-يَرُومُ أَنْ يَكْتُمَ أَحْوَالَهُ	وَكَيْفَ تَخْفَى لَمَحَاتُ المُرِيْبْ

التخريج:

١- مسالك الأبصار: ٢٥٢/١٦ -٢٥٣.

قافية التاء

(٧) (مجزوء الوافر)

١-قَطَعْتُ العُمْرَ مُنْعَكِفَاً	عَلَى تَضْيِيْعِ أَوقَاتِي
٢-فَمِنْ أَسَفٍ عَلَى المَاضِي	وَمِنْ حِرْصٍ عَلَى الآتِي

(١) المعجم الوسيط: مادة (نرد).

(٢) ورد البيت بـ (لو نسيمات) وبها يصبح البيت مكسورا.

التخريج:

١- الوافي بالوفيات:١١/ ٢١٩.

(٨) (البسيط)

١-وَظَبْيِ أُنْسٍ رَآهُ الظَّبْيُ فَاخْتَلَسَتْ	لِحَاظُهُ لَمَحَاتٍ مِنْ تَلَفُّتِهِ
٢-وَافَيْتُهُ وَبِكَفِّي مِثْلُ قَامَتِهِ	[لِيْنَاً] يَفُوحُ بِنَشْرٍ مِثْلِ نَكْهَتِهِ[1]
٣-فَحِينَ حَيَّيْتُهُ بِالبَانِ مُنْدَهِشاً	وَالشَّمْسُ تَخْجَلُ مِنْ إِشْرَاقِ جَبْهَتِهِ
٤-أَهْوَى إِلَى لَثْمِ كَفِّي حِينَ صَافَحَنِي	فَمِلْتُ أَطْلُبُ شُكْراً لَثْمَ يَمْنَتِهِ
٥-وَلاحَ لِي دُونَ أَنْ أَدْنُو شُعَاعُ سَنَا	يُزْرِي عَلَى الشَّمْسِ مِنْ تَضْرِيجِ وَجْنَتِهِ

التخريج:

١- تاريخ الإسلام:٥٠/ ٣٨٢.

(٩) (الطويل)

١-أَقُولُ لِسَاقِينَا وَلِلنَّدِّ قَسْطَلُ	وَمِنْ فَوقِنَا اللّبَّانُ وَالرّنْدُ رَايَاتُ
٢- أَدِرْ بِنُجُومِ الكَأْسِ أَفْلاكَ رَحْلِنَا	فَلِلشُّرْبِ مَا دَامَتْ تَسِيرُ مَسِيْرَاتُ
٣- فَوَجْهُكَ بَدْرٌ وَالنَّدَامَى كَوَاكِبُ	وَكَأْسُكَ شَمْسٌ وَالرِّيَاضُ سَمَاوَاتُ

التخريج:

١- سفينة الملك ونفيسة الفلك: ٤٢٠.

الشرح:

---

(١) ورد البيت بـ (لينا) في الشطر الأول، والصواب نقلها للشطر الثاني.

١- الند:ضرب من النبات يُتبخّر به[١]، قسطل: القسطل:الغبار الساطع[٢]، ومراد الشاعر انتشار دخان الندّ بكثافة حتى صار كالغبار كثرة، اللّبَّانُ: نبت من الفصيلة البخورية[٣]، الرند: شجر طيب الرائحة[٤].

قافية الحاء

(١٠) (السريع)

١- تَبًّا لِحَمَّامٍ نَشبْنَا بِهَا ... لَمْ نَرَ فِيْهَا خَصْلَةً صَالِحَةْ

٢- فَبَابُهَا كَالفَحْمِ لَكِنَّهَا ... كَالثَّلْجِ مِنْهَا نُقْطَةٌ [رَاسِحةْ][٥]

٣- وَالمَاءُ كَالبَولَةِ لَكِنَّهُ ... سَخْنٌ غَلِيظٌ سَهِكُ الرَّائِحَةْ

٤- فِيْهَا ضَبَابٌ عَاقِدٌ تَغْتَدِي ... أوجُهُنَا فِي نَقْعَةٍ كَالِحَةْ

٥- وَالسِّدْرُ كَالوَحْلِ عَلَى أرْضِهَا ... قَدْ لَزِمَ الشَّعْرَ مِنَ البَارِحَةْ

٦- وَمَا الذِي يَذْهَبُ غيَّابُهُ ... وَلَيسَ فِيهِ نُقْطَةٌ شَارِحَةْ

٧- وَفِيْمَ أتْرَفَ مِنْ أحْذَمٍ ... عَلامَةُ الشَّرِّ بِهِ لائِحَةْ

٨- تَتْلُو عَلَيْنَا كُلَّمَا جئنا ... هُ نَتْلُو سُورَةَ الفَاتِحَةْ[٦]

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٨-٢٥٩.

الشرح:

---

(١) لسان العرب: مادة (ندد).

(٢) المصدر السابق: مادة (قسطل).

(٣) المعجم الوسيط: مادة (لبن).

(٤) لسان العرب: مادة (رند).

(٥) ورد البيت بـ(راسخة) وصوابها (راسحة)، فالروي هو الحاء.

(٦) هكذا ورد البيت وهو ناقص.

٣- سهك: السهك: ريح كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق[1].

(١١) قال في النرجس والبان: (السريع)

١-نَفَّشَ غُصْنُ البَانِ أَذْنَابَهُ	وَاهْتَزَّ عِنْدَ الصُّبْحِ عُجْباً وَفَاحْ
٢-وَقَالَ مَنْ فِي الرَّوضِ مِثْلِي وَقَدْ	تُعْزَى إِلَى قَدِّي قُدُودُ المِلاحْ
٣-فَحَدَّقَ النَّرْجِسُ يَهْزَا بِهِ	وَقَالَ حَقَّاً قُلْتَهُ أَوْ مُزَاحْ
٤-بَلْ أَنْتَ بِالطُّولِ تَحَامَقْتَ يَا	مَقْصُوفُ عَدْواً بِالدَّعَاوَى القِبَاحْ
٥-قَالَ لَهُ البَانُ أَمَا تَسْتَحِي	مَا هَذِهِ إِلا عُيُونٌ وِقَاحْ

التخريج:

١- تاريخ الإسلام: ٥٠ / ٣٨٣.

٢- مسالك الأبصار: ٢٥٩/١٦. (١-٣،٥)

٣-فوات الوفيات: ١/ ٣٠٥-٣٠٦.

٤- الغيث المسجم: ٢/ ٢٥٠.

٥- الكشف والتنبيه: ٢٩٣-٢٩٤.

٦- سكردان السلطان: ٢١٢.

٧- عقود الجمان: ١/ق ٨٧ /ب-ق ٨٨ /أ.

٨- مطالع البدور: ١/ ١٢٢. وكتبه أمين الدين الجوتان، وهو تصحيف.

٩- حلبة الكميت: ٢٣٠.

١٠- نزهة الأنام: ١١٨.

١١- مستوفى الدواوين: ١/ ١٤٣.

١٢- قطر الغيث المسجم: ٢٧٥-٢٧٦.

---

(١) لسان العرب: مادة (سهك).

١٣- المخلاة:٥٠٧. البيتان (١-٢).

١٤- سرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون:١٨٣.

١٥- نسمة السحر:٢/٣٥١.

١٦-المواكب الإسلامية في الممالك الشامية:١٥٦. وكتب: "ومن مداعبات أمين الدين خوباره " وهو تحريف.

اختلاف الروايات:

١- في الغيث المسجم ومطالع البدور ونزهة الأنام ومستوفى الدواوين وقطر الغيث المسجم ونسمة السحر وسرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون والمواكب الإسلامية في الممالك الشامية: (وماس... زهوا)،وفي الكشف والتنبيه: (نقش... زهوا)، وفي سكردان السلطان: (زهوا)، وفي حلبة الكميت: (وماس وقت الصبح زهوا)، وفي المخلاة:

تنفّس غصن البان واهـــــــــــتزّ عنـــد الــصبح زهـــوا وفـــاح (م)

٢- في مسالك الأبصار: (هل في...عزوا...غصني)،وفي فوات الوفيات: (تعزى إلى غصني)، وفي الغيث المسجم: (هل في)، وفي الكشف والتنبيه: (هل في... القدود)، وفي سكردان السلطان: (يعزى إلى قدي)،وفي عقود الجمان: (غصني القدود)، وفي مطالع البدور: (هل في...غصني)، وفي حلبة الكميت: (هل... غصني... الرماح)، وفي نزهة الأنام ومستوفى الدواوين: (هل في... إلى مثلي)، وفي قطر الغيث المسجم: (تعزى... قدي)،وفي المخلاة: (هل في... يعزى)، وفي سرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون: (هل في... يعزى... غصني)، وفي نسمة السحر: (هل في تعزى... غصني القدود)،وفي المواكب الإسلامية في الممالك الشامية: (هل...يعزى بمثلي من قدود).

٣- في الغيث المسجم والكشف والتنبيه وسكردان السلطان وعقود الجمان ومطالع البدور وحلبة الكميت ومستوفى الدواوين وقطر الغيث المسجم: (يهزو... قلت ذا أم)، وفي نزهة الأنام: (قلت ذا أو)، وفي سرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون:

(يزهو... قال حقا قلت)[1]، وفي نسمة السحر: (يهزا... قلت ذا أم)،وفي المواكب الإسلامية في الممالك الشامية: (أخدمت النرجس هزوا به... قلت).

٤- في الغيث المسجم والكشف والتنبيه وسكردان السلطان وعقود الجمان ومطالع البدور ومستوفى الدواوين وقطر الغيث المسجم وحلبة الكميت ونسمة السحر وسرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون:(مقصوف عجبا)،وفي نزهة الأنام والمواكب الإسلامية في الممالك الشامية ورد الشطر الثاني هكذا:

.... متصفا بالدعاوى القباح

(وهو ناقص) هكذا.

٥- في مسالك الأبصار: (ألا تستحي)، وفي الغيث المسجم والكشف والتنبيه وسكردان السلطان ومطالع البدور وحلبة الكميت ونزهة الأنام ومستوفى الدواوين وقطر الغيث المسجم ونسمة السحر: (فقال غصن البان من تيهه)، وفي المواكب الإسلامية في الممالك الشامية: (فقال غصن البان من تيهه... عن).

(١٢) (السريع)

١-يَعْبَثُ عُجْبَاً بِقُلُوبِ الوَرَى	فِي الشُّحِّ بِالوَصْلِ وَبَذْلِ السَّمَاحْ
٢-يُؤْنِسُ بِالنَّرْجِسِ مَنْ يَجْتَنِي	فَإِنْ لَوَى أَطْعَمَهُ بِالأَقَاحْ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:٢٥٨/١٦.

٢- الوافي بالوفيات:٢١٩/١١.

اختلاف الروايات:

٢- في الوافي بالوفيات: (يؤيس).

---

(١) في (يزهو) تحريف والشطر الثاني ناقص حرف الواو.

قافية الدال

(١٣) (الوافر)

١-حَمَانَـا التُّـرْكُ وَانْتَهَكُـوا حِمَانَـا وَلَـيسَ يَفِـي التَّوَاصُـلُ بِالـصُّدُودِ

٢-حَمَونَـا بِالـصَّوَارِمِ وَالعَـوَالِي وَجَـارُوا بِـاللوَاحِظِ وَالقُـدُودِ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٥.

٢- فوات الوفيات:١/٣٠٧.

٣- عقود الجمان:١/ق٨٨/ب.

اختلاف الروايات:

١- في فوات الوفيات: (ولن يفي)، وفي عقود الجمان (ولا يفي).

(١٤)قال في مليح لعب بالصوالجة، فطارت الكرة إلى وجهه فأثرت فيه، وحقّقت باللدم له بالبدر التشبيه: (البسيط)

١-وَافَى وَقَدْ أَثَّرَتْ فِي وَجْهِهِ كُرَةٌ جَاءَتْهُ قَاصِدَةً مِنْ غَيْرِ مُقْتَصِدِ

٢-لَمْ أَلْقَ فِي حَرَجِي مِنْ فِعْلِهَا أَلَمَاً بِقَدْرِ مَا نَالَنِي مِنْ شِدَّةِ الحَسَدِ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٤.

(١٥) وقال متغزلا: (المنسرح)

١-ظَبْيٌ مِنَ الأَتْرَاكِ لا يَتْرُكُنِي أَقْطِفُ بَالمُقْلَةِ وَرْدَ خَدِّهِ

٢-نِصْفُ اسْمِهِ الأَوَّلِ مِنكَ لَمْ يَزِدْ وَعَكْسُ بَاقِيْهِ شَبِيْهُ قَدِّهِ

التخريج:

١- فوات الوفيات:١/٣٠٧.

٢- عقود الجمان:١/ق٨٨/ب.

(١٦) (الوافر)

١-لَــئِنْ جَحَــدَتْنِيَ العَيْنَــانِ ظُلْمَــاً وُجُــوبَ دَمِــي فَــإِنَّ الخَــدَّ شَــاهِدْ

٢-بَخِلْـتَ عَلَـى الخَلِيْـلِ بِغَيْـرِ ذَنْـبٍ جَنَــاهُ بِطِيْــبِ مَرْشَــفِكَ المُبَــرّدْ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/ ٢٥٩.

قافية الراء

(١٧) (الطويل)

١-إِذَا افْتَرّ جُنْحُ الليلِ عَنْ مَبْسَمِ الفَجْرِ وَلاحَ بِــهِ ثَغْــرٌ مِــنَ الأَنْجُــمِ الزّهْــرِ

٢-وَفَاحَـتْ لَـهُ مِنْ عَـابِقِ الـرَّوضِ نَفْحَـةٌ رَشَـفْنَا بِـهِ بَـرْدَ الرُّضَـابِ مِـنَ الخَمْـرِ

٣-وَعَهْـدِي بِوَجْـهِ الأَرْضِ مُبْتَـسِماً فَلِـمْ تَغَرْغَـرَ مِنْهَـا الـدَّمْعُ فِـي مُقَـلِ العـذرِ

٤-إِذَا أَرْجَـفَ المَـاءَ النَّـسِيمُ لِوَقْتِـهِ كَسَاهُ شُعَاعُ الشَّمْسِ دِرْعَاً مِنَ التِّبْرِ

٥-وَبَحْـرُ الرِّيَـاضِ الخُـضْرِ بِـالزَّهْرِ مُزْبِـدٌ كَأَنَّـا بِـهِ فِـي فُلْـكِ مَجْلِـسِنَا نَـسْرِي

٦-وَمِنْ شُهُبِ الكَاسَاتِ بَالنَّجْمِ نَهْتَدِي إِذَا تَـاهَ سَـارِي العَقْـلِ فِي لُجَّـةِ الـسُّكْرِ

٧-نَــصُونُ الحُمَيَّــا بِالقَنَــانِي وَإِنَّمَــا نَــصُونُ القَنَــانِي بِالحُمَيَّــا وَلا نَــدْرِي

٨-وَلَمَّا حَكَى الرَّاوُوقُ فِي العَينِ شَكْلَهُ وَقَـدْ عَلِـقَ العُنْقُـودُ فِـي سَـالِفِ الـدَّهْرِ

٩-تَــذَكَّرَ عَهْــداً بَــالكُرُومِ فَكُلُّــهُ عُيُـونٌ عَلَـى أَيَّـامِ عَـصْرِ الـصِّبَا تَجْـرِي

١٠-عَجِبْـتُ لَـهُ وَالـرَّاحُ تَبْكِـي بِـهِ فَلِـمْ غَـدَتْ بِحَبَـابِ الكَـأْسِ بَاسِـمَةَ الثَّغْـرِ

١١-إِذَا مَـا أَتَـانِي كَأْسُـهَا غَيْـرَ مُتْـرَعٍ تَحَقَّقْتُ عَينَ الشَّمْسِ فِي هَالَةِ البَدْرِ

١٢-يُنَاوِلُنِيهَــا فَــاتِرُ اللحْــظِ أَغْيَــدٌ فَلِلَّــهِ ذَاكَ الأَغْيَـدِ المُخْطَـف الخَـصْرِ

١٣–يُنَادِمُنَــا نَظْمَــاً وَنَثْــراً وَلَفْظُــهُ وَمَبْـسَمُهُ يُغْنِـي عَـنِ الـنَّظْمِ وَالنَّثْـرِ

١٤–وَلَـمْ يَـسْقِنِي كَـأسَ المُدَامَـةِ دُونَ أنْ سَـقَانِي بِعَيْنَيْـهِ كُؤُوسَـاً مِـنَ الـسِّحْرِ

١٥–وَقَـالَ وَفَـرْطُ الـسُّكْرِ يَثْنِـي لِـسَانَهُ إلَـى غَيْـرِ مَـا يُرْضِـي التُّقَـى وَهْـوَ لا يَـدْرِي

١٦–رِدُوا مِـنْ رُضَابِي مَـا يَنُـوبُ عَـنِ الطِّلا إذَا كَـانَ وَجْهِـي فِيـهِ مُغْـنٍ عَـنِ الزَّهْـرِ

١٧–وَمَـنْ كَـانَ لا تَحْـوِي ذِرَاعَـاهُ مِئْـزَرِي فَــدُونَ الــذِي تَحْــوِي أنَامِلُــهُ خَــصْرِي

التخريج:

١– تاريخ الإسلام: ٥٠ / ٣٨٢ –٣٨٣.

٢–مسالك الأبصار:٢٥٢/١٦. (٣–٤) (٧– ٩، ١٢، ١٥، ١٧).

٣–فوات الوفيات:٣٠٤/١–٣٠٥.

٤–الوافي بالوفيات:٢١٧/١١.

٥–الغيث المسجم:٤٣٩/١–٤٤٠. البيتان: ٨–٩.

٦–لذة السمع في صفة الدمع:٤٤٨. البيتان: ٨–٩.

٧– عقود الجمان:١/ق٨٧ /أ–ب.

٨–مطالع البدور:١٨٩/١–١٩٠، كلها، وفي ١٥٧/١ البيتان: ٨–٩.

٩– نزول الغيث: ٢٠٩: البيتان ٨–٩.

١٠– حلبة الكميت: البيتان: ٨–٩.

١١–قطر الغيث المسجم: ١٨٩ البيتان: ٨–٩.

١٢– الجوهر السني في شرح بديعية الصفي:ق١٢/ب.

١٣– سفينة الملك ونفيسة الفلك: ٣٣٧–٣٣٨.

اختلاف الروايات والتصحيح:

٢– في فوات الوفيات وعقود الجمان (نكهة)، وفي مطالع البدور:(لنا... نكهة)، وفي الجوهر السني في شرح بديعية الصفي: (نكهة... لها)، وفي سفينة الملك : (رشفنا بها).

٣– في مسالك الأبصار: (تغرغر منه... الغدر)، وفي فوات الوفيات: (تغرغر فيها الغدر)،وفي الوافي بالوفيات: (تغرغر فيها... العذر)، وفي عقود الجمان: (يغرغر فيها... الغدر)،وفي مطالع البدور:(يغرغر منها... القدر).

٤– في الوافي بالوفيات:(رجف)،وفي عقود الجمان: (يومه) موضع (وقته)، وفي سفينة الملك: (فيها... عن... الغدر).

٥– في الوافي بالوفيات: (بالزهد)، وهو تحريف،وفي مطالع البدور: (بالزهر مزبد ... كأنما) و (كأنما) زيادة خاطئة، وفي سفينة الملك: (إذا رشف الماء).

٦– في مطالع البدور:(إذا ظل سارَ العقلُ)، وفي سفينة الملك: (الفكر).

٧– في فوات الوفيات والوافي بالوفيات وعقود الجمان: (في القناني).

٨– في سفينة الملك: (في الماء) موضع (في العين).

٩– في فوات الوفيات ومطالع البدور وحلبة الكميت: (عهد الصبا)، وفي عقود الجمان: (عيونا...عهد)، وفي سفينة الملك: (أيام عمر).

١٠– في مطالع البدور: (عجبت لها)، وفي سفينة الملك: (يبكي دما)، موضع (تبكي به).

١٢– في مسالك الأبصار وفوات الوفيات وعقود الجمان: (مخطف الخصر) موضع (فاتر اللحظ)،وفي فوات الوفيات: (يناولنيها مخطف الخصر)، وفي مطالع البدور: (مخطف الخصر...أهيف... الأهيف)، وفي سفينة الملك: (فاتر الطرف.... الأغيد الضامر).

١٣– في سفينة الملك: (ينادمني).

١٤– في فوات الوفيات والوافي بالوفيات وعقود الجمان ومطالع البدور (فلم)،وفي مطالع البدور:(من الخمر).

١٥– في مسالك الأبصار: (يقول)، وفي مطالع البدور: (وقال).

١٧– في فوات الوفيات وعقود الجمان ومطالع البدور: (يعيض عن... يغني عن الزهر)، وفي مطالع البدور: (مغنى عن).

الشرح:

٢– الرضاب: الريق[١].

٧– الحُمَيَّا:الخمرة[٢]، القَنَانِي:مفردها قنينة وهي وعاء يُتخذ من خيزران للآنية[٣].

البيتان:٨–٩–

الراووق:إناء يروّق فيه الشراب، أي: يصفّى[٤].

وعلّق الصفدي على البيتين:

ولما حكى الراووق في العين شكله وقد علق العنقود في سالف الدهر

تذكّر عهدا بالكروم فكلّه عيون على أيام عصر الصبا تجري

قائلا:"قلّ من يحسن أن يُنشده معربا لعدم تصوّر معناه والوجه في إعرابه أن يكون (العنقود)منصوبا على أنه مفعول (حكى)و(شكله)مرفوع على أنه بدل من المرفوع الذي هو فاعل (حكى)، ونائب فاعل علق ضمير مستتر يعود على (العنقود)، ففيه تقديم وتأخير، وتقديره ولما حكى شكل الراووق العنقود في العين وقد علق هو في سالف الدهر"[٥].

واعترض الدماميني على توجيه الصفدي، فنقل كلامه السابق وعلق عليه قائلا:"استحسن المصنف ما لا يستحق الاستحسان والبيت الأول من بيتي الجوبان في غاية القلق، ونهاية صعوبة التركيب، ودلالته على المعنى المراد منه غير ظاهر للخلل

---

(١) لسان العرب: مادة (رضب).

(٢) المصدر السابق: مادة (حمي).

(٣) المصدر السابق: مادة (حمي).

(٤) المصدر السابق: مادة (قن).

(٥) الغيث المسجم:٤٤٠/١.

الواقع في نظمه، وذلك من التعقيد المخل بالفصاحة، فليس هذا البيت من البراعة في قبيل ولا دبير، فلا حاجة إلى تضييع الزمن باستغرابه ولا وجه لاستحسانه"[١].

وقال الصفدي عن البيتين:

ولما حكى الراووق في العين شكله ... وقد علق العنقود في سالف الدهر

تذكّر عهدا بالكروم فكلّه ... عيون على أيام عصر الصبا تجري

"وأظن الجوبان القواس سام هذا المرعى، ولمح هذا المعنى فنقله إلى الراووق اقتدارا وصنعا "[٢] وساق البيتين السابقين، والأبيات التي قصد الصفدي أن القواس تأثر بها هي:

كأن نضيد الفحم خوف شراره ... إذا النار مسّت جلده فتلوّنا

تذكّر أيام السحاب الذي جرى ... بمنبته لما تأود أغصنا

فأنبت منه الآبنوس بنفسجا ... وأثمر عنابا وأورق سوسنا[٣]

وقال الصفدي عن قوله: (وقد علق العنقود) " بعض الناس يظنه مفعول ما لم يسم فاعله، فيرفع (العنقود) وصوابه النصب على أنه مفعول (حكى) وعلى هذا: شكله بدل من الراووق"[٤].

وقال الصفدي أيضا عن البيتين نفسيهما إنهما مأخوذان من قول بعض المغاربة[٥]:

لله دولاب يفيض بجدول ... في روضة قد أينعت أفنانا

بانت تطارحها الحمام شجونها ... فتجيبها وترجع الألحانا

(١) نزول الغيث: ٢١٠.

(٢) الغيث المسجم: ١/ ٤٣٩.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٤٣٩.

(٤) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢١٨.

(٥) انظر: لذة السمع: ٤٤٧.

فكأنـــه دنـــف يـــدور بمعهـــد   يبكـــي ويـــسأل فيـــه عمّـــن بانـــا

ضـاقت مجـاري جفنـه عـن دمعـه   فتفتّحـــــت أضــــلاعه أجفانـــــا[1]

١٠– حَبَابِ الكَأسِ: نُفّاخاته التي تعلوه[2].

١٢– الأَغْيَدَ: وصف لمن يتثنّى لينا[3].

١٦– الطِّلا:من الأشربة ما طُبِخ حتى يذهب ثلثاه[4].

تعليق:

انفرد مطالع البدور بذكر بيت لم أستطع إقامته، وهو:

ونـــاجوز ثـــم انثنـــى غـــصن بانـــة   وعـــن مهـــا لـــم تبـــسم عـــن در

وقد أتى بعد البيت (١٤)، وقد حاولت مرارا إقامة البيت خطّا ومعنى ووزنا فلم أجد إلى ذلك سبيلا، وربما تقدّم هذا البيتَ بيتٌ قبله سقط من المصادر.

أقول:إن البيت:

تـــذكّر عهـــدا بـــالكروم فكلّـــه   عيـون علـى أيـام عـصر الـصبا تجـري

نقل شبه حرفي لقول مجير الدين بن تميم:

ودولاب روض كـان مـن قبـل أغـصنا   تمـــيس فلمـــا فرّقتهـــا يـــد الـــدهر

تـــذكّر عهـــدا بالريـــاض فكلّـــه   عيـون علـى أيـام عـصر الـصبا تجـري[5]

---

(١) المصدر السابق: ٤٤٧.

(٢) لسان العرب:مادة(حبب).

(٣) المصدر السابق:مادة(غيد).

(٤) المصدر السابق:مادة(طلي).

(٥) ديوان مجير الدين بن تميم. حققه هلال ناجي ود.ناظم رشيد:١٠٢. عالم الكتب.ط١،١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. بيروت.

(١٨) (الطويل)

١-وَلَمَّـا نَزَلْنَـا دَوْحَـةَ الزَّهْـرِ نَجْتَلِـي مَحَاسِـنَ مَـا قَـدْ نَظَّمَتْـهُ يَـدُ القَطْـرِ

٢-فَمَـا خِلْتُهَـا إِلا تَمَاثِيْـلَ عَنْبَـرٍ وَقَـدْ جُلِّلَـتْ مِـنْ فَوقِهَـا شَـبَكَ الـدُّرِّ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٦.

(١٩) (الطويل)

١-أَلْقَـتْ هَـوَايَ فِـي هَـوَاكُمْ فَرَاضَـنِي فَلَـمْ يَبْـقَ لِـي نَفْـسٌ تَخَـافُ عَلَـى أَمْـرِي

٢-وَقَـدْ كُنْـتُ ذَا صَبْرٍ عَلَـى مَـا يَنُـوبُنِي فَعَلَّمَنِـي هُجْـرَانُكُمْ قِلَّـةَ الـصَّبْرِ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٧.

الشرح:

١- راضني: راضه: ذلّله وطوّعه[١].

تعليق:

١- هكذا ورد الشطر الأول.

(٢٠) (مخلع البسيط)

١-جِئْـتُ أُرِيْـدُ الحَمَّـامَ يَومَـاً فَغَرَّنِـي الـنَّقْشُ وَالحَـصِيْرُ

٢-حَتَـى إِذَا جِئْـتُ نِلْـتُ رِيْحَـا كَأَنَّمَـا تُنْـبَشُ القُبُـورُ

٣-وَالنَّـاسُ عِنْـدَ الـصُّدُورِ فِيهَـا قَـدْ يَبِـسَتْ مِـنْهُمُ الـصُّدُورُ

٤-يَغْـرِفُ هَـذَا مِـنْ جُـرْنِ هَـذَا وَقَـدْ عَـلا مِـنْهُمُ الهَرِيْـرُ

---

(١)لسان العرب:مادة (روض)

٥-أَنْقُــلُ خَــوفَ الوُقُــوعِ رِجْلِــي	فِيهَـــا كَمَـــا يَنْقُـــلُ الـــضَّرِيْرُ
٦-جَهَـــــنَّمٌ لا يُـــــصَابُ فِيهَـــا	وَهْـــجٌ بَـــلِ الكُـــلُّ زَمْهَرِيْـــرُ
٧-قَــدْ عُرِفَــتْ فَالحَــدِيْثُ عَنْهَــا	بِـــنَحْسِ أَوْصَـــافِهَا يَـــسِيْرُ
٨-وكَلَّمَـــا جَاءَهَـــا زَبُـــونٌ	قُلْنَـــا أَلَـــمْ يَـــأْتِكُمْ نَـــذِيْرُ

التخريج:

١-فوات الوفيات: ٣٠٧/١.

٢-مسالك الأبصار:٢٥٥/١٦.الأبيات: ٥،١-٦، ٨.

٣-كتاب مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف:٤٠.دون عزو.

اختلاف الروايات:

١- في كتاب مسامرة الضيف (ففزّني النعش).

٢- في كتاب مسامرة الضيف (القبول) موضع (القبور) وهو خطأ مطبعي.

٤- في كتاب مسامرة الضيف (تعرف... حسن.... الهدير).

الشرح:

٦- وهج: الوهج:اتقاد النار[١].

٨- قُلْنَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيْرُ: من قوله تعالى عن النار وخطاب الملائكة للعصاة:" تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير "[٢]. ووضع الآية في هذا السياق لا يصلح، فعلى الشاعر اجتناب وضع الآيات في سياقات لا تلائم[٣].

---

(١) المصدر السابق: مادة (وهج).

(٢) سورة الملك: الآية:٨.

(٣) راجع خزانة الأدب وغاية الأرب: ٤٤٠/٢.

(٢١) وله في الحشيشة (الوافر)

١-إذَا فُــرَصٌ بَــدَتْ لَـكَ فَانْتَهِزْهَــا ... فَأَعْمَـــارُ الـــسُّرُورِ بِهَـــا قِـــصَارُ

٢-وَخُــذْهَا مِــنْ مُعَنْبَــرَةٍ بِلَـــونٍ ... كَلَـــونِ الآسِ يَلْحَقُهَـــا اصْــفِرَارُ

٣-تَطُوفُ عَلَى الكُؤُوسِ بِغَيرِ كَاسٍ ... لَهَـــا وَحَيَاتُهَـــا الحَـــبُّ الـــصِّغَارُ

٤-وَوَدِّعْ غَيْرَهَـــا إِنْ خِفْــتَ عَـــاراً ... فَحَـــــسْوَةُ غَيْرِهَـــا ذُلٌّ وَعَـــارُ

٥-فَلَــو أنَّ الحَــشِيْشَ تَزِيْــدُ فِيْهَــا ... لَنَـــالَ بِفَهْمِـــهِ الرُّتَـــبَ الحِمَـــارُ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:٢٥٨/١٦.

(٢٢) قال في الآذريون، وأهل دمشق تسميه (الكركاش): (الكامل)

١-أُنْظُـرْ إِلـى الكركَـاشِ وَهْـوَ مُحَـدِّقٌ ... كَـــالتِّبْرِ مُحْتَـــاطٌ عَلَيْـــهِ يُـــدَارُ

٢-فَكَأَنَّـــهُ فَــمُ شَــادِنٍ مُتَبَــسِّمٍ ... مِـــنْ فَـــوقِ رَأسِ لِـــسَانِهِ دِيْنَـــارُ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:٢٥٨/١٦.

الشرح:

١- الكركاش:البابونج ذو الزهرات البيض، هكذا يسميه المصريون[1].

(٢٣) (الطويل)

١-وَمُعْتَدِلٍ قَدْ أَنْصَفَ الحُسْنُ خَلْقَـهُ ... وَلَكِنَّـهُ فِـي مَـذْهَبِ الحُـبِّ جَـائِرُ

٢-يُبَــرِّدُ حُزْنِـي خَــدُّهُ وَهْــوَ جَــذْوَةٌ ... وَيحْــرِقُ قَلْبِــي طَرْفُــهُ وَهْــوَ فَــاتِرُ

---

(١) تكملة المعاجم العربية:٦٩/٩.

التخريج:

١- المرج النضر:ق ٧٣/أ.

٢- رياض الألباب بمحاسن الآداب: ١١٨.

(٢٤) (الخفيف)

١-وَبَـدِيعٍ فِـي الحُـسْنِ مَـا شَـدَّ أَزْرَاً	بِالتَّـــدَانِي لَمَّـــا عَلَـــى البَــدْرِ أَزْرَى
٢-سَـلَّ مِـنْ سُـودِ مُقْلَتَيْـهِ عَلَى العُـشْـ (م)	ـشَاقِ بِيْـضَاً تُجْـرِي المَـدَامِعَ حُمْـرَا

التخريج:

١- صرف العين:٣٣٦/٢

(٢٥) (مجزوء الرجز)

١-ذُو مُقْلَـــــــةٍ صَـــــــحِيْحَةٍ	أَلْحَاظُهَــــــا مُنْكَــــــسِرَةْ
٢-كَأَنَّهَــــــا مِــــــنْ فِعْلِــــــهِ	بِــــــصَبِّهَا مُعْتَــــــذِرَةْ
٣-أَوْصَــــــافُهُ كَامِلَــــــةٌ	وَفِــــي الــــوَرَى مُخْتَــــصَرَةْ
٤-يَــــا رَبِّ خُــــذْ رَقِيْبَــــهُ	فَهْــــوَأَشَــــدُّ العَــــشَرَةْ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:٢٥٩/١٦.

قافية السين

(٢٦) (الخفيف)

١-كَيْـفَ نَـسْلُو يَـا زَيْـنُ أَوْ نَتَنَاسَـى	خُلُقَـــاً مِنْــكَ يُطْــرِبُ الجُلاسَــا
٢-لَسْتُ أَبْكِي عَلَيْـهِ لَكِـنْ عَلَـى نَفْـ (م)	ـسِيَ أَبْكِـي فَقَـدْ عَـدِمْتُ النَّاسَـا

التخريج:

١- مسالك الأبصار:٢٥٦/١٦.

قافية العين

(٢٧) (الطويل)

١-وَمَعْشُوقَةٍ تَسْقِي المُحِبَّ رُضَابَهَا   بِلَثْمٍ هَنِيِّ الرَّشْفِ غَيْرِ مُمَنَّع

٢-إِذَا اسْتُودِعَتْ رَدَّتْ بِغَيْرِ خِيَانَةٍ   وَإِنْ ضُرِبَتْ أَنَّتْ بِغَيْرِ تَوَجُّع

٣-مُبَذَّلَةٌ لَمْ تُحْمَ مِنْ لَثْمِ لاثِمٍ   وَصَاحِبُهَا فِي غِبْطَةٍ بِالتَّمَتُّع

٤-تَجُودُ بِمَا تَحْوِي فَتُحْيِي بِبَذْلِهَا   وَتَنْقُلُ مَا تَمْلا وَتَحْفَظُ مَا تَعِي

٥-تُقَبِّلُهَا الأَفْوَاهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   فَمَا خُصَّ مِنْهَا مَوضِعٌ دُونَ مَوضِع

التخريج:

١- فوات الوفيات:٣٠٦/١-٣٠٧.

٢- عقود الجمان: ١/ق٨٨ /أ-ق٨٨ /ب.

التصحيح:

٢- ورد في عقود الجمان: (بغير خباية) وهو تصحيف.

(٢٨) (الكامل)

١-قَابِلْ مَذَلَّةَ مَنْ أَتَاكَ بِعُذْرِهِ   بِالصَّفْحِ إِنَّ العُذْرَ خَيْرُ شَفِيْع

٢-وَإِذَا غَفَرْتَ فَلا تَشُوبُ حَلاوَةَ الْـ (م)   ـغُفْرَانِ مِنْكَ مَرَارَةُ التَّقْرِيْع

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٥.

تعليق:

٢- كان الواجب على الشاعر أن يقول:(فلا تشب) لأنه فعل مضارع مجزوم، ولكنه وقع في المخالفة النحوية لإقامة الوزن.

(٢٩) (مجزوء الكامل)

١-رَبِّــــحْ وَخُـــــذْ بِنَــــسِيْئَةٍ   وَاشْـرَبْ [وكـل] وَامْطـلْ وَدَافِـعْ

٢-فَـأَحَقُّ مَـا أَكَـلَ المُحَـا (م)   لِــي مَـالُ أَرْبَـابِ المَطَــامِعْ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٤.

٢- فوات الوفيات:١/٣٠٧.

اختلاف الروايات:

١- في فوات الوفيات: (اربح).

التصحيح:

١-وورد الشطر الثاني في مسالك الأبصار ناقصا لفظة (وكل).

٢- ضُبطت (مال) في مسالك الأبصار بالفتح ولا وجه له، والصواب ما ورد في فوات الوفيات من ضبطها بالضم على أنها خبر.

قافية الفاء

(٣٠) (السريع)

١-بُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَصِفْ مَا جَرَى   وَقُـلْ أَنَـا العَـانِي أَنَـا المُـدْنِفُ

٢-فَالعِـشْقُ بَـينَ النَّـاسِ مُـسْتَطْرَفٌ   وَالـصَّبْرُ فِـي العَاشِـقِ مُـسْتَطْرَفُ

التخريج:

١– المرج النضر: ق١٧/ب.

قافية القاف

(٣١) (البسيط)

١–لاحَ الهِـلالُ ابْـنُ يَومَيْـهِ فَـأذْكَرَني	شُـرْبَ المُدَامَـةِ تُجلَـى مِـنْ يَـدِ السَّاقِي
٢–كَأنَّـهُ شَـفَقٌ لِلْكَـأسِ قَـدْ نَقَـصَتْ	بِالميـلِ وَالخَمْـرُ شَـفَّافٌ عَلَـى البَـاقِي

التخريج:

١– مسالك الأبصار:٢٥٤/١٦. وقال عن النص: "وقوله، وهما في جملة قطعة من قطعه السائرة، وأبياته التي علقت بكل ذاكرة"[١].

٢– فوات الوفيات:٣٠٧/١.

٣–رشف الزلال:٢٠٢.

٤– الكشف والتنبيه: ١٩٦.

٥– عقود الجمان:١/ق٨٨/أ.

اختلاف الروايات:

١– في فوات الوفيات والكشف والتنبيه (فذكّرني... في يد)، وفي رشف الزلال:(فذكّرني)، وفي عقود الجمان: (ابن يومين فذكرني).

٢–في رشف الزلال والكشف والتنبيه: (كأنه شفة....) وفي وعقود الجمان: (شفة... عن).

التصحيح:

٢– في مسالك الأبصار(شفاق)وأثبت ما في غيره ؛ إذ لا معنى لـ(شفّاق)فهي تصحيف

(٣٢) (مجزوء الوافر)

---

(١) مسالك الأبصار:٢٥٤/١٦.

١-تفَـــــرَّقَ عَقْلُـــــهُ فِرَقَـــاً كَـــذَاكَ يُـــصَابُ مَـــنْ عَـــشِقَا

٢-وَأَوْدَعَ قَلْبَــــــهُ حَجَــــراً مِـــنَ الوَجَنَـــاتِ فَاحْتَرَقَـــا

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٤.

قافية الكاف

(٣٣) (الخفيف)

١-أَنَـا عَـوْنٌ عَلَـى هَـلاكِ عِـدَاكَا زَادَكَ اللهُ نُـــــصْرَةً وَحَمَاكَــــا

٢-فَـادْعُنِي فِـي الـوَغَى تَجِـدْنِي صَـبُوراً نَافِـذَ الــسَّهْمِ فِــي العُــلا فَتَّاكَـا

٣-رَبِّ فِـي الحَـرْبِ نِلْـتُ مَطْلَبَـكَ الْـ (م) أَقْـصَى وَمَـا بِـي مِـنْ قُـدْرَةٍ لَولاكَـا

التخريج:

١-مسالك الأبصار:١٦/٢٥٣-٢٥٤. قال عن النص:"وقوله في القوس وبذل فيه جهد استطاعته وأجاد في صناعته"[1].

٢- الوافي بالوفيات:١١/ ٢١٩.

اختلاف الروايات:

٢- في الوافي بالوفيات: (العدى).

٣- في الوافي بالوفيات: (بي في) موضع (ربّ في)، وعلى ذلك كتب القاف من (الأقصى) في الشطر الأول.

قافية اللام

(٣٤) (السريع)

١-لَــولا عُيُـــونُ الرَّشَـــأِ الأَكْحَـــلِ مَـــا وَصَـــلَ الـــسَّهْمُ إِلَـــى مَقْتَلِـــي

---

(١) المصدر السابق:١٦/٢٥٣-٢٥٤.

٢–رَقَّ لِـــي العَـــاذِلُ مِـــنْ لَـــوعَتِي فَكَيْـــفَ لَـــو شَـــاهَدَهُ عُـــذَّلِي

التخريج:

١– مسالك الأبصار:٢٥٣/١٦.

(٣٥) (السريع)

١–وَأسْـــمَرٌ يُخْجِـــلُ سُـــمْرَ القَنَـــا مَعْـــسُوله تحمـــي بعـــساله

٢–يتمنـــى خَـــالٌ عَلَـــى خَـــدِّهِ وَآفَـــةُ العُـــشَّاقِ مِـــنْ حَالِـــهِ

التخريج:

١– مسالك الأبصار:٢٥٣/١٦.قال معلقا على البيتين:" وقوله في مليح له خال رقم ديباجة خده،وخال أنه هو سبب صدّه، وأتى بلفظة (حاله) هنا تورية حسنة على ابتذالها وكثرة استعمالها"[١].

تعليق:

النص من بحر السريع ويجب في لفظة (أسمر) في الشطر الأول من البيت الأول التنوين للضرورة لتكون من السريع،وإلا خرج الشطر إلى المتقارب، والشطر الأول من البيت الثاني مختل، ولم أستطع إقامته.

(٣٦) (الوافر)

١–عَـــذُولٌ لا يَمَـــلُّ وَلا يَمِيـــلُ وُوَجْـــدٌ لا يَقِـــلُّ وَلا يقِيْـــلُ

٢–وَمَحْبُـــوبٌ يَلَـــذُّ لَـــهُ عَـــذَابِي وَإِنْ لَـــمْ أَرْضَـــهُ فَأَنَـــا المَلُـــولُ

٣–فَجِـــسْمِي مِثْـــلُ مَوْثِقِـــهِ ضَـــعِيْفٌ وَلَيْلِـــي مِثْـــلُ مَوْعِـــدِهِ طَوِيْـــلُ

٤–يَمِيْـــلُ عَلَـــيّ كُـــلَّ المَيْـــلَ ظُلْمَـــاً وَبَعْـــضُ الـــبَعْضِ [وُدٌّ] لا يَمِيْـــلُ

---

(١) المصدر السابق:٢٥٣/١٦.

٥–أَرَاقَ دَمِـــي بِنَـــاظِرِهِ وَأَلْـــوَى | أَلا يَرْضَـــى وَقَـــدْ رَضِـــي القَتِيْـــلُ

التخريج:

١–فوات الوفيات:١/٣٠٨.

٢– عقود الجمان:١/ق٨٨/ب.

التصحيح:

٤– في فوات الوفيات: (ودي لا يميل)، وأثبت ما يقتضيه المعنى، وما أراه صحيحا.

(٣٧) (مجزوء الوافر)

١– أَلَـــذُّ العِـــشْقِ مَـــا قَـــتَلا | وَأَشْـــقَى النَّـــاسِ مَـــنْ عَـــذَلا

٢– إِذَا جَـــارَ الحَبِيْـــبُ عَلَـــى | مُحِبِّيْـــــهِ فَقَـــــدْ عَـــــدَلا

٣– أُحَـــاوِلُ أَنْ يُقَـــالَ قَـــضَى | وَأَحْـــــذَرُ أَنْ يُقَـــــالَ سَـــــلا

٤– وَيُمْكِـــنُ أَنْ أَمُـــوتَ جَـــوًى | وَأَمَّـــــا أَنْ أَحُـــــولَ فَـــــلا

٥– وَبِـــي قَمَـــرٌ يُقَـــامِرُنِي | عَلَـــى اللحَظَـــاتِ إِنْ غَفَـــلا

٦– فَمَـــا لاحَظْتُـــهُ إِلا | تَـــضَرَّجَ خَـــدُّهُ خَجَـــلا

٧– وَإِنْ طَالَبْتُـــهُ بِالعَـــدْ (م) لِ فِـــي حُكْـــمِ الهَـــوَى [عَـــذَلا]

التخريج:

١– فوات الوفيات:٣/٣٠٥.

٢–عقود الجمان:١/ق٨٧/ب.

اختلاف الروايات:

٧– في عقود الجمان (بالعذل) موضع (بالعدل).

التصحيح:

٧– في فوات الوفيات (عدلا) والصواب والذي يقتضيه المعنى (عذلا)،وهو ما ورد في عقود الجمان وأثبته.

(٣٨) (الوافر)

١–أُغَايِظُـــهُ لِيُعْـــرِضَ بِـــالتَّجَنّي فَيَحلُـــولِـــي إِذَا أَبْـــدَى الـــدَّلالا

٢–وَإنْ عَـرَفَ الفَتَـى مِقْـدَارَ شَـيْءٍ عَزِيْـــزٍ مِـــنْ بِـــضَاعَتِهِ تَغَـــالَى

التخريج:

١– مسالك الأبصار:٢٥٥/١٦.

قافية الميم

(٣٩) (البسيط)

١–وَذَاتِ رَقْـصٍ وَرَهْـجٍ فِـي تَمَايُلِهَـا مَنِيْعَـةُ الوَصْـلِ مِـنْ ضَـمٍّ وَمُلْتَـزَمِ

٢–بَيْضَاءُ حَمْرَاءُ مِثْلُ الشَّمْسِ طَلْعَتُهَا سُـوْدٌ ذَوَائِبُهَـا مِـنْ أَنْفَـعِ الخَـدَمِ

٣–لَهَـــا أَبٌ وَلَهَـــا أُمٌّ إِذَا ازْدَوَجَـــا جَاءَتْ عَلَى الفَورِ تَبْغِي الأَكْلَ بِالنَّهَمِ

٤–لَـوْ أُطْعِمَـتْ كُـلَّ مَـا فِـي الأَرْضِ مَـا حَتَّـى إِذَا سُـقِيَتْ عَـادَتْ إِلَـى العَـدَمِ

التخريج:

١–تاريخ الإسلام: ٥٠ / ٣٨٢–٣٨٣.

(٤٠) (الخفيف)

١–أَنَـا عَـوْنٌ عَلَـى بُلُـوغِ المَـرَامِ وَلِـيَ اسْـمٌ بِـالعَوْنِ وَالنَّفْـعِ سَـامِ

٢–أَنَـا بِـي يُتَّقَـى الحَرِيْـرُ مِـنَ اللبْـ (م) ـسِ وَلَبْـسِي فِـي غَايَـةِ الإِبْهَـامِ

التخريج:

١- الوافي بالوفيات:١١/٢١٨.

(٤١) (مجزوء المتقارب)

١-وَثَاكِلَـــــــــةٍ فَارَقَـــــــــتْ	مَـــــا آلَـــــفَ مِـــــــنْ رَسْـــــمِهَا
٢-تَـــــــدُورُ عَلَـــــــى قَلْبِهَـــــا	وَتَبْكِـــــــي عَلَـــــى جِـــــسْمِهَا

التخريج:

١- تاريخ الإسلام: ٥٠ / ٣٨٣.

٢- حسن المحاضرة:٢/٣٧١،دون عزو.

اختلاف الروايات:

١- في حسن المحاضرة:(وناعورة...بواكي من جنسها)موضع (وثاكلة...مَا آلفَ مِنْ رسمها).

٢- في حسن المحاضرة: (نفسها) موضع(جسمها).

(٤٢) (الطويل)

١-أَبِيْـتُ عَلَـى جَمْـرِ الغَـضَا مُـتَمَلملا	سَــلِيْم هَـوَى مُلْقَــى وَأَنْـتَ سَـلِيْمُ
٢-دَعَـانِي إِلَيْـكَ الحُـبُّ وَالقَلْـبُ فَـارِغٌ	وَوُدُّكَ عَـــــذْبٌ وَاللـــــوَاحِظُ هـــــيْمُ
٣-أَيَجْمُـلُ يَـا حُلْـوَ الـشَّمَائِلِ أَنَّنِـي	أَمُــوتُ مِـــنَ البَلْـــوَى وَأَنْـتَ عَلِــيْمُ
٤-لَـكَ العُمْـرُ سـلْوَانِي وَنَـومِي تَوَفِّيَـاً	وَأَكْبَــــرُ إِثْــــمٍ أَنْ يُهَـــانَ يَتِـــيْمُ
٥-يَمِــيْنٌ بِلَـــذَّاتِ العِتَـــابِ وَأَنَّنِـــي	لَــذُو قَــسَمٍ لَــوْ تَـسْمَعُونَ عَظِـيْمُ
٦-نُحُولِي وَوَجْدِي وَالتَّهَتُّكُ فِي الهَوَى	وَإِتْـلافُ رُوحِـي فِـي هَـوَاكِ نَعِـيْمُ
٧-وَمِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ صَدُّكَ وَالذِي	يُزِيْـلُ الجَـوَى سَـهْلٌ وَأَنْـتَ كَـرِيمُ

التخريج:

١– تاريخ الإسلام: ٥٠ / ٣٨٢.

الشرح:

٢– هيم: الهيم: جمع هائم وهو العطشان[١].

٥– لَذُو قَسَمٍ لَوْ تَسْمَعُونَ عَظِيْمُ، من قوله تعالى: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)[٢].

(٤٣) (الكامل)

١–لَكَ بَينَ حُزْنِي وَالسُّرُورِ مُقَامُ	فَلِذَاكَ أُعْذَرُ فِي الهَوَى وَأُلامُ
٢–وَلَكَ السُّرَى بَينَ الرُّقَادِ وَيَقْظَتِي	فَالوَجْدُ لا فِكْرٌ وَلا أَحْلامُ
٣–يَا حَيْرَةَ العُشَّاقِ فِي سُبُلِ الهَوَى	إِذْ لَيسَ يُدْرَكُ عِلْمُهُ فَيُرَامُ
٤–كَتَبَ الغَرَامُ عَلَى صَحِيْفَةِ خَدِّهِ	مُتْ عَاشِقاً فَلْتَتْعَبِ اللُّوَّامُ

التخريج:

١- مسالك الأبصار: ٢٥٢/١٦.

(٤٤) (الطويل)

١–تَحَمَّلْتُ فِيْكَ السُّقْمَ حَتَّى رِحَمْتَنِي	فَحَاكَيْتَ حَالِي وَالتَّوَجُّعُ مُسْقِمُ
٢–وَأَحْرَقْتَ قَلْبِي بِالجَفَا وَسَكَنْتَهُ	فَلا غَرْوَ إِنْ فَاحَتْ عَلَيْكَ جَهَنَّمُ
٣–وَمُذْ غَاضَ مَا اسْتَوْدَعْتُ فِي الخَدِّ مِنْ	بَكَيْتُ بِهِ إِلا فَمِنْ أَيْنَ لِي دَمُ

---

(١) لسان العرب: مادة (هيم).

(٢) سورة الواقعة: الآية: ٧٦.

التخريج:

١–مسالك الأبصار:١٦/٢٥٣.

قافية النون

(٤٥) (المنسرح)

١–نَفْسُ الخَسِيْسِ البَخِيْلِ كَامِنَةٌ	فِيهِ ولَوْ حَازَ مُلْكَ قَارُونِ
٢–يُعْطِي وَيُقْرِي وَفِي مَخَايِلِهِ	مَنٌّ شَحِيْحٍ وَكَظْمُ مَغْبُونِ

التخريج:

١– مسالك الأبصار:١٦/٢٥٥.

(٤٦) وقال في المائدة وهي الخونجاة:

(مخلع البسيط)

١–وَذَاتِ أَصْلٍ لَهَا زَكِيٌّ	يَصْلُحُ بَينَ المُغَاضِبِيْنِ
٢–تَسْعَى عَلَى الرَّأسِ إِنْ أَتَتْنَا	طَوراً وَطَوراً عَلَى اليَدَيْنِ

التخريج:

١– مسالك الأبصار:١٦/٢٥٣.

(٤٧) (المديد)

١–أَيُّهَا الحَادِي أَقِمْ نَفْساً	فَلَعَمْرِي فِيْكَ إِحْسَانُ
٢–إِسْأَلِ الأَحْبَابَ أَنْ يَعِدُوا	عَوْدَةً فَالقَومُ قَدْ لانُوا
٣–رَحَلُوا وَالقَلْبُ بَيْنَهُمُ	يَتَوَارَى وَهْوَ رَجْلانُ
٤–خِيْفَةً مِمَّنْ يَهِيْمُ بِهِمْ	كُلُّ مَنْ فِي الرَّكْبِ غَيْرَانُ

التخريج:

١- مسالك الأبصار:٢٥٦/١٦.

الشرح:

٢- يجب قطع همزة (اسأل) ليستقيم الوزن.

(٤٨) (البسيط)

١-تَحَكَّمَتْ بَعْدَكُمْ أَيْدِي النَّوَى فِيْنَا	فَالـشَّوقُ يَنْـشُرُنَا وَالوَجْـدُ يَطْوِيْنَـا
٢-لا نَطْمَـئِنُّ إِلـى حَـالٍ نُحَاوِلُهَـا	مِـنَ البَقَـاءِ وَلا الأَشْـوَاقُ تُفْنِيْنَـا
٣-لَمْ يَقْدَحِ البَيْنُ عَنْكُمْ فِي مَوَدَّتِنَا	أَوْ فِـي مَـوَدَّتِكُمْ حَتَّـى تَـسَلَّيْنا
٤-تَـاللّهِ مَـا كَتَـبَ اللـوَّامُ تَـسْلِيَةً	إِلا وَكُنَّـا لَهَـا بِالـدَّمْعِ مَاحِيْنَـا
٥-لَـمْ نَتَّخِـذْ حُـبَّكُمْ دَيْنَـاً تُطَالِبُنَـا	بِـهِ النَّـوَى بَـلْ تَخِـذْنَا حُـبَّكُمْ دِيْنِـا
٦-كَاسِيْنَ لِلسُّقْمِ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى	تَزْهُـو وَأَطْمَـارِ صَـبْرٍ لا تُوَارِيْنَـا
٧-أَتْعَبْـتُمُ بِتَجَـافِيْكُمْ أَصَـادِقَنَا	حُزْنَـاً عَلَيْنَـا وَأَشْـمَتُّمْ أَعَادِيْنَـا
٨-تُنْشِي بَوَارِقُ ذِكْرَاكُمْ لَنَا سُحُباً	مِـنَ الـدُّمُوعِ فَنْظَمَـا حِـينَ تَـسْقِيْنَا
٩-كُنَّـا بِقُـرْبِكُمْ لا شَـيْءَ يُسْخِطُنَا	وَاليَـومَ بَعْـدَكُمُ لا شَـيْءَ يُرْضِـيْنَا
١٠-يَا رَاكِدَ الرِّيْحِ هُبِّيْ فَانْقُلِي جُمَلا	عَنَّـا تُفَـصِّلُهَا الأَفْهَـامُ تَبْيِيْنَـا
١١-أَنْـتُمْ عَلَـى كُـلِّ مَـا يَبْـدُو أَحِبَّتُنَـا	وَنَحْـنُ فِـي كُـلِّ مَـا تَرْضَـونَ رَاضُـونَا
١٢-نُدِيْرُ كَاسَاتِ ذِكْرَاكُمْ فَتُسْكِرُنَا	وَالـشَّوقُ مُطْرِبُنَـا وَالفِكْـرُ سَـاقِيْنَا
١٣-لا نُعْتِـبُ البَـيْنَ إِنْ جَلَّـتْ مَـصَائِبُنَا	مِـنْ بَعْـدِكُمْ فَلَقَـدْ رَقَّـتْ حَوَاشِـيْنَا
١٤-لا صَدَّقَتْ خَوفَنَا الأَيَّامُ مِنْ حَذَرٍ	مِنَّـا وَلا كَـذَّبَتْ فِـيْكُمْ أَمَانِيْنَـا

التخريج:

١– المرج النضر: ق ١٢٢/أ–ب.

الشرح:

١– تَحَكَّمَتْ بَعْدَكُمْ أَيْدِي النَّوَى فِينَا،

هذا القول أصل في قول صلاح الدين الصفدي فيما بعد:

تحكّمت بعدكم أيدي النوى فينا	وقد أقامت بنادينا تنادينا[1]

٦– أَطْمَار: الأطمار: جمع طمر وهو الثوب البالي[2].

(٤٩)

أورد شهاب الدين العمري ما يلي "وحُكِي أنه كان يعهد غلاما مصونا ذا جمال رائق، وكمال فائق، وحسن يعذر به الوامق، وانجذاب يطمع بمثله العاشق،وكان يعهده يجرح قلبه ولا يكلّمه، ويروي نظره منه ولا يطفأ تضرّمه،فمرّ به وقد تمادى عليه زمان في حانوت معلّمه،فمذ رآه افترّ له بمبسمه،فأراد أن يجلس إليه فأشارت إليه ألا يفعل فعلق قلبه برحم إيمائه،وقوي طمعه في الوصول إلى نجم سمائه،وكان الغلام قد خاف معلّمه لأنه كان به مفتونا لا يكفّ عنه نظرا،ولا يبصر غيره ولا يرى،وكان المعلم وهو الذي راض جامح ذلك الغلام،وعلّمه أن يرمي بطرفه تلك السهام،فانصرف عنه وهو يقول"[3]:

(المنسرح)

١–أَقْصِدُ حَانُوتَهُ فَيَغْمِزُنِي	أَنْ لا تَقِفْ عِنْدَنَا لِتَهْتِكَنَا
٢–فَإِنَّ هَذَا مُعَلِّمِي رَجُلٌ	قَدْ لاطَ قِسْطاً مِنْ عُمْرِهِ وزنى
٣–لا جَمَّلَ اللهُ مَنْ مُعَلِّمُهُ	بِالسَّتْرِ عِرْقَاً إِنْ مَاتَ أَوْ دُفِنَا

(١) تمام المتون. خليل الصفدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٣. المكتبة العصرية. دط. صيدا. بيروت.

(٢) لسان العرب: مادة (طمر).

(٣) مسالك الأبصار: ١٦/٢٥٦–٢٥٧.

٤-عَلَّمَـــهُ صَـــنْعَةً يَعِـــيْشُ بِهَـــا	مَعْـــهُ وَأُخْـــرَى بِهَـــا أَمُـــوتُ أَنَـــا

التخريج:

١- مسالك الأبصار:١٦/٢٥٧.

٢- الوافي بالوفيات:١١/٢٢٠.

اختلاف الروايات:

١- في الوافي بالوفيات: (فيغمرني).

٣- في الوافي بالوفيات: (إن عاش).

الشرح:

قال العمري:"قلت: وقد سكن (مَعْهُ) في هذا البيت وهو معيب وكان شيخنا شهاب الدين محمود رحمه الله يقول: قلّ أن نهضت قافية مقيّدة أو عُمّر بيت سُكِّنت فيه (مَعْ).

قلت وفي قول شيخنا هذا مطلقا نظر، و(مع) الساكنة مع غير ضمير أخف منها ساكنة مع الضمير." [١]

وقال الصفدي "قلت: سكّن الفاء من (يقف) وهي مفتوحة ولهذا لحن وسكّن العين من (معه) واللغة الفصحى تحريكها"[٢]

(٥٠)

وقال على طريقة الصوفية والتهكم بهم:

(الرمل)

١-مُـتُّ فِـي عِـشْقِي وَمَعْـشُوقِي أَنَـا	فَفُـــؤَادِي مِـــنْ فِرَاقِـــي فِـــي عَنَـــا
٢-غِبْــتُ عَنِّـــي فَمَتَـــى أَجْمَعُنِـــي	أَنَـــا مِـــنْ وَجْـــدِي مِنِّـــي فِـــي فَنَـــا
٣-أَيُّهَـــا الـــسَّامِعُ تَـــدْرِي مَـــا الـــذِي	قُلْـــــــــتُ؟ وَاللهِ وَلا أَدْرِي أَنَـــــــا

---

(١) مسالك الأبصار:١٦/٢٥٧.

(٢)الوافي بالوفيات:١١/٢٢٠.

التخريج:

١– فوات الوفيات:١/ ٣٠٥.

٢–الغيث المسجم[1]:١/ ١٩٧.

٣–عقود الجمان:١/ق٨٧ /ب.

٤– المسلك السهل: ١٨٥.

اختلاف الروايات:

١– في المسلك السهل: عشقٍ.

٣– في الغيث المسجم: (والله لا أدري) دون الواو قبل (لا)، وبدونها يصبح البيت كسيرا.

(٥١) (الخفيف)

١–وَعَـــدَتْ زَوْرَةً إِذَا الليـــلُ جَنَّـــا	فَتَجَـــافَى الكَـــرَى جُفُـــونَ المُعَنَّـــى
٢–وَغَـــدَا بَـــينَ خَوفِـــهِ وَالـــدُّجَى هَلْـ (م)	ـلَ إِلَيْـــهِ الـــصَّبَاحَ أَوْ هِـــيَ أَدْنَـــى

التخريج:

١– مسالك الأبصار:١٦/ ٢٥٩.

قافية الهاء

(٥٢) (السريع)

١–لَمَّـــا بَـــدَا الـــشَّعْرُ عَلَـــى سَـــالِفَيْهِ	سَـــعَى بِـــهِ مَـــنْ كَـــانَ يَـــسْعَى إِلَيْـــهِ
٢–مَـــا عَايَنَـــتْ مِـــنْ قَبْلِـــهِ مُقْلَتِـــي	بَـــدْراً عَـــرَاهُ الـــنَّقْصُ مِـــنْ جَانِبَيْـــهِ

التخريج:

١– مسالك الأبصار:١٦/ ٢٥٧.

٢– الوافي بالوفيات:١١/ ٢١٩.

---

(١) كتب اسم الشاعر هكذا: أمين الدين الحوبائي، وهو تحريف ظاهر.

٣- رشف الزلال: ١٨٢.

اختلاف الروايات:

١- في رشف الزلال:(سعى إلى).

الشرح:

١- سَالِفَيْهِ: السالفة: صفحة العنق عند معلّق القرط[1].

قافية الياء (٥٣)

١-وَقَـــالَ لِـــي نَـــرْجِسُ أَحْدَاقِـــهِ	حِـينَ تَجْنِـي بِالـسَّمْعِ قَـولا شَـهِيًا
٢-الـــوَرْدُ عَضَّـــضَهُ وَالزَّهْـــرُ قَبَّلَـــهُ	وَالبَـــانُ عَانَقَـــهُ وَالآسُ خَرْطَمَـــهُ

التخريج:

١- التذكرة الصفدية: ٢٤/ق٥٧/أ.

الشرح:

٢- خرطمه: ضرب خرطومه[2].

تعليق:

هكذا ورد النص، لكل بيت روي، ولكل بيت وزن، ولست أُخلي النساخ من التلفيق، فالبيت الأول شطره الأول من السريع والثاني من الخفيف، والبيت الثاني كله من البسيط.

الأوزان المستحدثة:

(١) (الدوبيت)

١-يمـــشي مرحـــا بتيهـــه والعجـــب	كـــالريم إذا رام لحـــاق الـــسرب
٢-مـا يـسرع فـي المـشية إلا حـذرا	أن ترسـم عينـي شخـصه فـي قلبـي

---

(١) لسان العرب: مادة (سلف).

(٢) المعجم الرائد: خرطم.

التخريج:

١- فوات الوفيات:١/٣٠٨.

٢- الوافي بالوفيات: ١١/٢١٨.

(٢) (الدوبيت)

١-أفارقـه وأقـول انـي قـد انـسليت ورحـت قلبـي وزال الهـم واتخليـت

٣-واذكر مساويه في حقي إذا توليت وإذا رجـع جـا نـسيت الكـل وانحليـت

التخريج:

١- فوات الوفيات:١/٣٠٨.

(٣) (الدوبيت)

١-زارت سـحرا تراقـب الـسّمارا رعيـا وتراعـي بـالبيوت النـارا

٢-بالمهجـة أفـدي خـاطرا عـنّ لهـا حتـى ركبـت مـن اجلـي الأخطـارا

التخريج:

١- فوات الوفيات:١/٣٠٨.

٢- الوافي بالوفيات: ١١/٢١٨.

(٤) (الدوبيت)

١-جـاءت سـحرا تـشق بحـر كالطيف توارت في ظلال الخلس

٢-مـا أطيـب مـا سـمعت مـن لا تـسأل مـا لاقيتـه مـن حرسـي

التخريج:

١- الوافي بالوفيات: ١١/٢١٨.

٢- المنهل الصافي: ٥/٣٥

(٥) (الدوبيت)

١–فـي وجنتـه مـن مهـج العـشاّقِ   مــا قـــام دليلــه علــى الإهـــراقِ

٢–والـسالف قـد دبّ علـى جمرتهـا   فـــالورد يـــرى مـــن خلـــل الأوراق

التخريج:

١– فوات الوفيات:١/٣٠٩.

٢– الوافي بالوفيات: ١١/٢١٨.

(٦)

(المواليا)

١–تجي تقف وتفت الورد من خديك   وتلزمـــو لفـــؤادي تعـــصرو بايـــديك

٢–حيرتني في امتثال الأمر من عينيك   تقل تعال وفيها شي يقول ليتك ليك

التخريج:

١– صرف العين:٢/٦

(٧) (الدوبيت)

١–لا أسـتمع الحـديث مـن غيـركمُ   مـن لـذة فكـري واشـتغالي بكـم

٢–ألـــوي نظـــري كـــأنني أفهمـــه   مـــن قائلـــه وخـــاطري عنـــدكم

التخريج:

١– فوات الوفيات:١/٣٠٨.

٢– الوافي بالوفيات: ١١/٢١٨.

٣– الغيث المسجم:١/٣١٦.

٤–مختصر شرح لامية العجم: ١٦٠.

٥– المقصد الأتم في شرح لامية العجم:١٤٢.

٦– قطر الغيث المسجم:١٣١–١٣٢.

اختلاف الروايات:

١- في الغيث المسجم والمقصد الأتم في شرح لامية العجم وقطر الغيث المسجم: (عن غيركم).

الشرح:

معنى البيتين مأخوذ من قول مجنون ليلى[١]:

وشغلت عن فهم الحديث سوى	ما كان منك وحبكم شغلي
وأديم نحو محدّثي ليرى	أن قد فهمت وعندكم عقلي[٢]

(٨)

(الدوبيت)

١-العين من الهجران في حبك عين	قد غادرها البكاء من بعدك عين
٢-والدمع على خلاف ما تعهده	لم يبق له لفرط أشواقي عين

التخريج:

١-صرف العين:٢/١٣٠.

ما نُسب لجوبان القواس ولغيره:

(١) (مخلع البسيط)

١-مَظَاهِرُ الحَقِّ لا تُعَدُّ	وَالحَقُّ فِيْهَا فَلا يُحَدُّ
٢-فَبَاطِنٌ لا يَكَادُ يَخْفَى	وَظَاهِرٌ لا يَكَادُ يَبْدُو

---

(١) أشار إلى ذلك مختصر شرح لامية العجم:١٦٠، والمقصد الأتم في شرح لامية العجم:١٤٢.

(٢) ديوان مجنون ليلى. جمع وتحقيق وشرح عبد الستار فراج:١٨٢.نشر مكتبة مصر. دط. دت. مصر. والرواية في مختصر شرح لامية العجم والمقصد الأتم في شرح لامية العجم الديوان بـ(منكم) موضع (منك) في البيت الأول وبها ينكسر الوزن، وبـ(نظري) موضع (ليرى).

٣–إِنْ بَطَـــنَ العَبْـــدُ فَهْـــوَ... أَوْ ظَهَـــرَ... فَهْـــوَ عَبْـــدُ[1]

٤–فَعَـــيْنُ كُـــلِّ عَـــيْنٍ زل وُجُـــوداً قَـــبْضٌ وَبَـــسْطٌ أَخْـــذٌ وَرَدٌّ

التخريج:

١– الوافي بالوفيات:١١/ ٢١٩، نسبه لجوبان.

٢– صريح النصائح وتمييز الصالح من الطالح:٧٦، لابن العربي.

اختلاف الروايات:

١.في صريح النصائح وتمييز الصالح من الطالح: (فيه لا).

٢– في صريح النصائح وتمييز الصالح من الطالح: فعين كن زل وجود حق. والنص هنا لمحيي الدين ابن عربي، وقال المؤلف جازما:"كما قال محيي الدين ابن العربي، وهو الصحيح أنها ليست لغيره " ٧٦.

وقد راجعت ديوان ابن عربي ولم أجد النص،ووجدت أبياتا ربما تمثل جزءا منه، هي:

البـــدر فـــي المحـــو لا يجـــارى وفـــي تناهيـــه لا يحـــدّ

صـــحّ لـــه النـــور بعـــد محـــو ثـــمّ إليـــه يعـــود بعـــد

ســـرائر ســـرّها ثـــلاث ربّ مليـــك والله فـــرد

فـــي المحـــو صـــحّت لـــه فأثنـــت عليـــه لمـــا أتـــاه يعـــدو[2]

الترجيح:

النص ليس لجوبان ولا يشابه أسلوبه، وفي إعلان ابن أبي حجلة حجة قوية جدا على أن النص ليس لجوبان، فهو على طريقة ابن عربي،ويؤيد ذلك نسبة النواجي النص لابن عربي.

---

(١) مكان النقط حذفته، وهو موجود في مصدري التخريج.

(٢) ديوان ابن عربي. شرحه أحمد حسن بسج:١٥.دار الكتب العلمية.ط١. ١٤١٦هـ ١٩٩٦م. بيروت. لبنان.

(٢) وقال في شبّابة: (الوافر)

١-وَنَاطِقَـــــةٍ بِـــــأَفْوَاهٍ ثَمَـــــانٍ	تَمِيْـــلُ بِعَقْـــلِ ذِي اللُّــبِّ العَفِيْــفِ
٢-لِكُـــلِّ فَــمٍ لِــسَانٌ مُــسْتَعَارٌ	يُخَـــالِفُ بَــينَ تَقْطِيْـــعِ الحُـــرُوفِ
٣-تُخَاطِبُنَـــــا بِلَفْـــظٍ لا يَعِيْـــــهِ	سِـــوَى مَــنْ كَــانَ ذَا طَبْــعٍ لَطِيْــفِ
٤-فَـــضِيْحَةُ عَاشِـــقٍ وَنَـــدِيْمُ رَاعٍ	وَهَيْبَـــةُ مَوْكِــبٍ وَمُـــدَامُ صَـــوفِي

التخريج:

١-أعيان العصر:١٢٨/٣.منسوب فيه لعبد القاهر بن محمد الشافعي، وقال الصفدي:"وأنشدني لنفسه في شبابة أي: عبد القاهر بن محمد ، وقد وجدتها فيما بعد في (ديوان جوبان القواس)بخطه" وجوبان أسبق زمنا مما يدل على أن النص له، فبين وفاة الرجلين (٦٠) سنة.

٢- عقود الجمان:١/ق٨٨/أ. منسوب فيه لجوبان.

٣- نسمة السحر:٣٨٣/٣. منسوب فيه لجوبان.

اختلاف الروايات:

١- في نسمة السحر: (بقلب... اللطيف).

٢- في نسمة السحر: (طبع ظريف).

الترجيح:

أرى ما سبق دالا على أن النص لجوبان.

(٣) (الكامل)

١-أُصْغِي إِلَى قَوْلِ الوُشَاةِ بِجُمْلَتِي	مُــسْتَفْهِماً عَنْــهُ بِغَيْــرِ مَــلالِ
٢-لِتَلَقُّطِي زَهَرَاتِ وَرْدِ حَدِيْثِكُمْ	مِـنْ بَـينِ شَـوْكِ مَلامَـةِ العُـذَّالِ

التخريج:

الكتب التي نسبت النص لجوبان القواس هي:

١- فوات الوفيات:١/٣٠٥.

٢- الغيث المسجم:١/٣٢٠.

٣- ديوان الصبابة:١٦٩.

٤-عقود الجمان:١/ق٨٧/ب.

٥- المرج النضر:ق ٥٢/أ.

٦- رياض الألباب بمحاسن الآداب:٨٩.

٧- أنوار الربيع:١/١٢٣.

٨- شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح: ٦٤.

الكتب التي نسبت النص لمجد الدين الإربلي:

١- خزانة الأدب:١/١١٩.

٢- مستوفى الدواوين:٢/٢٥٩.

٣- البديعية وشرحها (الفتح المبين في مدح الأمين):٤٧.

٤- معاهد التنصيص:١/٤٣٦.

٥- سرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون:٢٣٨.

اختلاف الروايات:

١- في الغيث المسجم والمرج النضر ورياض الألباب بمحاسن الآداب ومستوفى الدواوين وشفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح: (العذول... منه)، وفي ديوان الصبابة،وفي خزانة الأدب والبديعية وشرحها (الفتح المبين في مدح الأمين) ومعاهد التنصيص وسرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون:(العذول.... عنكم)، وفي أنوار الربيع: (مستفهما عنكم).

٢- في شرح البديعية:(سلامة العذال)، وفي سرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون: (لتلقطي ورد حديثكم).

التصحيح:

٢-في شرح البديعية:(سلامة العذال) وهو تحريف،وفي سرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون: (لتلقطي ورد حديثكم)، وفيه نقص (زهرات).

الشرح:

قال ابن أبي حجلة بعد ذكر البيتين:"هذا هو العاشق،والمحب الوامق، ألا تراه كيف أصغى

إلى عذوله الفاعل الصانع، وجنى من عذله النحل ممزوجا بماء الوقائع، فهل في هذا المقام من الإثبات، كما قال أبو الشيص من أبيات:

أجد الملامة في هواك لذيذة	حبا لذكرك فليلمني اللوّم[1]

وذكر تقليد جوبان في بيتيه السابقين قولَ أبي الشيص صاحبُ شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح[2].

* * *

(١)ديوان الصبابة: ١٦٩، والبيت في ديوان أبي الشيص وأخباره.صنعة عبد الله الجبوري. المكتب الإسلامي. ط١. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م. بيروت. دمشق.

(٢) شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح: ٦٤.

المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المخطوطات:

–التذكرة الصفدية. خليل الصفدي. مخطوطة مصورة في مكتبة الأمير سلطان بجامعة الإمام. تحت رقم (١٠١٣/ف).

–الجوهر السني في شرح بديعية الصفي.عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي البيساري. مخطوطة في مكتبة الأمير سلمان.رقم التصنيف (٨١٩.٦ ج ر) والرقم العام (٣٢١٨ ر).

–عقود الجمان. محمد الزركشي. نسخة مصورة في مكتبة الأمير سلمان تحت الرقم (١٨٨)ص.

–المرج النضر والأرج العطر. جلال الدين السيوطي. نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية تحت الرقم (٣٣٨٥)فب.

ثالثا: المطبوعات:

– أعيان العصر وأعوان النصر. خليل الصفدي. تحقيق د. علي أبي زيد وآخرين. دار الفكر.ط١. ١٤١٨هـ دمشق.

– أنوار الربيع في أنواع البديع.ابن معصوم. تحقيق شاكر هادي شكر. ط١.مطبعة النعمان. ١٣٨٨هـ.

–البديعية وشرحها (الفتح المبين في مدح الأمين). عائشة الباعونية. تحقيق د. عادل العزاوي ود. عباس ثابت. دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع. ط١. ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م. دمشق.

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.الذهبي.تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري. نشر دار الكتاب العربي.د.ت. بيروت. لبنان.

– تكملة المعاجم العربية. رينهات دوزي. ترجمة د.محمد سليم النعيمي. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. ١٩٨٢م. الجمهورية العراقية.

– تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون. خليل الصفدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية.دط. صيدا. بيروت.

– حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. السيوطي. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٨هـ ١٩٩٧م بيروت.

– حلبة الكميت. شمس الدين النواجي . المكتبة العلائية. ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

– خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجة الحموي. قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية.ط١. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م. صيدا. بيروت.

–الدليل الشافي على المنهل الصافي. لابن تغري بردي الحنفي.حقّقه وقدّم له فهيم محمد شلتوت. مكتبة الخانجي. دط. دت.القاهرة.

–ديوان أبي الشيص وأخباره.صنعة عبد الله الجبوري. المكتب الإسلامي. ط١. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م. بيروت. دمشق.

– ديوان الصبابة. ابن أبي حجلة التلمساني.تقديم وتحقيق وتعليق د.محمد زغلول سلام.دار زمورة.د ط.٢٠١١م. تلمسان. الجزائر.

–ديوان ابن عربي. شرحه أحمد حسن بسج.دار الكتب العلمية.ط١. ١٤١٦هـ ١٩٩٦م. بيروت. لبنان.

–ديوان مجنون ليلى. جمع وتحقيق وشرح عبد الستار فراج.نشر مكتبة مصر. دط. دت. مصر.

– ديوان مجير الدين بن تميم. حققه هلال ناجي ود.ناظم رشيد. عالم الكتب. ط١. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. بيروت.

–رشف الزلال في وصف الهلال. صلاح الدين الصفدي. تحقيق أحمد بن عبد العزيز الربعي. مكتبة الرشد ناشرون.ط١. ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م. الرياض. المملكة العربية السعودية.

–رياض الألباب بمحاسن الآداب.السيوطي. دراسة وتحقيق د. يحيى الجبوري.دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.ط١. ٢٠١٣م –٢٠١٤م.عمان. الأردن.

–سرح العيون بشرح ما في النبات من الفنون. عبد الرؤوف المناوي. تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان. المكتبة الأزهرية للتراث. الجزيرة للنشر والتوزيع.

– سفينة الملك ونفيسة الفلك.محمد بن إسماعيل بن عمر شهاب الدين. مصورة عن المخطوطة.

– سكردان السلطان. ابن أبي حجلة. تحقيق د. علي محمد عمر.دار زمورة. ط١.٢٠١١م. الجزائر.

–شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.محمد الطاهر ابن عاشور. علق عليه حفيده محمد الطاهر ابن عاشور.تقديم ومراجعة عبد الوهاب الدخلي وجمال الدين دراويل. إنجاز دار الجنوب للنشر والتوزيع.وزارة الثقافة والمحافظة على التراث. ٢٠٠٨م. تونس.

–صرف العين. خليل الصفدي. حقّقه ودرسه د. محمد عبد المجيد لاشين. دار الآفاق العربية ط ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م القاهرة.

– صريح النصائح وتمييز الصالح من الطالح. ابن أبي حجلة التلمساني. تحقيق أبي عبد الله عزّت عبد الرحمن السلفي المتطبّب. دار زمورة. الجزائر.٢٠١١م.

–الغيث المسجم في شرح لامية العجم. خليل الصفدي. قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه د. صلاح الدين الهوّاري.ط١. ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.المكتبة العصرية.صيدا.بيروت. لبنان.

–فوات الوفيات والذيل عليها.محمد الكتبي.تحقيق د. إحسان عباس.دار صادر. د.ت. بيروت.

–قطر الغيث المسجم على لاميّة العجم. عبد الرحمن الشافعي العلواني الطبيب.(على هامش نفحات الأزهار) نشر عالم الكتب.د.ط. بيروت ومكتبة المتنبي بالقاهرة.

–كتاب مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف. أبو بكر الكتبي. شركة نوابغ الفكر.ط١.١٤٣١هـ ٢٠١١م. القاهرة.

–الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه. خليل الصفدي. حققه وعلق عليه د. هلال ناجي ووليد الحسين. إصدارات مجلة الحكمة. ط١. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ليدز. بريطانيا.

–لذة السمع في صفة الدمع.خليل الصفدي.تحقيق د.محمدلاشين. ط١. دار الآفاق العربية.١٤٣٤هـ ٢٠١٣م القاهرة.

–مختصر شرح لامية العجم (وهو تلخيص كتاب غيث الأدب الذي انسجم) كمال الدين الدميري. عني به محمد شادي عربش. دار المنهاج للنشر والتوزيع.ط١. ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م. جدة. المملكة العربية السعودية.

– المخلاة. العاملي.نسقه وفهرسة ووضع هوامشه محمد خليل الباشا. عالم الكتب. ط١. ١٤٠٥هـ بيروت.

–مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. أحمد العمري. تحقيق د. محمد إبراهيم حوّر. مركز زايد للتراث والتاريخ. دط.٢٠٠١م.

–مستوفى الدواوين. محمد بن عبد الله الأزهري. تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر. أشرف عليه وراجعه د. حسين نصار. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. (ج/١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م) (ج/٢. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤) د ط. القاهرة.

–المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل.محمد الإفراني.حققه وقدّمه محمد العمري. مطبعة فضالة. ١٤١٨هـ ١٩٩٧م. المملكة المغربية.

–مطالع البدور في منازل السرور.علاء الدين الغزولي. مكتبة الثقافة الدينية.دط. ١٤١٩هـ ٢٠٠٠م. بور سعيد.

– معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. عبد الرحيم العباسي.حققه وعلق حواشيه وفهرسه د. عبد المجيد آلعبد الله. عالم الكتب.ط١. ١٤٣٢هـ ٢٠١١م. بيروت. لبنان.

– معجم أسماء العرب. إشراف محمد بن الزبير.جامعة السلطان قابوس. مكتبة لبنان.ط١. ١٤١١هـ ١٩٩١م. بيروت. لبنان.

– المعجم الرائد.جبران مسعود. دار العلم للملايين.ط٧. ١٩٩٢م.بيروت. لبنان.

– المعجم الوسيط. قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون. المكتبة الإسلامية.ط٢. إستانبول. تركيا.

– معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م. كامل الجبوري.منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. بيروت. لبنان.

– المقصد الأتم في شرح لامية العجم. الدميري. تحقيق د. حيدر فخري ميران ود. عباس هاني الجراخ.دار الرضوان للنشر والتوزيع.الأردن.مؤسسة دار الصادق الثقافية. العراق.ط١. ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

–المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي.ابن تغري بردي الحنفي. حقق بعض أجزائه د.محمد محمد أمين ود.نبيل محمد عبد العزيز.الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط١. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م (ج١)، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م (ج٥).

–المواكب الإسلامية في الممالك الشامية.زين الدين ابن زين التقاة. تقديم وتحقيق أيمن عبد الجبار البحيري. دار الآفاق العربية.ط١.١٤٢١هـ ٢٠٠١م. القاهرة.

–نـــزهة الأنام في محاسن الشام.تقي الدين البدري. عني بتحقيقه إبراهيم صالح. دار البشائر. ط١. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م. دمشق.

– نزول الغيث. بدر الدين الدماميني. حققه وقدم له د. الحسيني محمد الحسيني القهوجي.د.ن. ط١. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

– نسمة السحر.ضياء الدين الصنعاني. تحقيق كامل الجبوري. دار المؤرخ العربي. ط١. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م بيروت. لبنان.

. الوافي بالوفيات. خليل الصفدي , اعتناء شكري فيصل. ج١١. دار فرانز شتاينر. ١٤١١هـ ١٩٩١م. دار صادر.

* * *

مشكلات (أوضح المسالك) بين ابن هشام وشراحه

د. سعود بن عبد العزيز الخنين
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مشكلات (أوضح المسالك) بين ابن هشام وشراحه

د. سعود بن عبد العزيز الخنين
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

وجدت كتاب ابن هشام المشهور: (أوضح المسالك) من خير الكتب التعليمية في تراثنا النحويّ، أقبل الناس عليه قديمًا وحديثًا .وقد قمت بدراسة له استعرضت كلام الشراح عنه، ووقفت عند المشكلات في هذا الكتاب محاولاً إحصاءها وبيان رأي الشراح ورأيي فيها، والغرض من ذلك تنبيه الناظرين في هذا الكتاب على ما فيه من هذه المشكلات، معتمدًا على أشهر نسخه التي في يدي الناس هذه الأيام، وهي نشرة الشيخ محيي الدين عبدالحميد، وصنّفت هذه المشكلات في تسعة أمور:

١- مشكلات في ضبط النصّ.

٢- اختلاف كلامه من موضع لآخر.

٣- أمثلة مشكلة.

٤- شواهد مشكلة.

٥- عدم ظهور المراد.

٦- أن يلزم على بعض قوله لوازم غير صحيحة.

٧- أن ينقص أمورًا في بعض المسائل.

٨- أن يزيد أمورًا في بعض المسائل.

٩- مشكلات علمية في تقرير المسائل.

وغرضي أن يراعي الطلاب والأساتذة هذه المشكلات فيجدوا فيها الرأي الصحيح ويستعدوا لها الاستعداد المناسب، ليكتمل فهمهم لهذا الكتاب ويستفيدوا منه تمام الفائدة.

The Problem of (Awdah Al-Masalik) between Ibn Hisham and his Commentators

Dr Saud ibn Abdulaziz Al-Khunain
Department of Syntax, Morphology, and Philology-Faculy of Arabic Language- Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract;

I found that Ibn Hisham's book (Awdah Al-Masalik) is one of the best teaching books in our syntax heritage, that people in the past as well as in these days regard highly. I have studied it and surveyed the opinions of commentators on it, and considered its problems, in an attempt to specify them, and explain what scholars said in regard to these problems. The aim is to introduce a full account of the book to the reader. I used the most famous copy of the book that people have, which is Sheikh Muhyi Eddin Abdul Hamid version. The problems were classified in nine issues:

1. Prblems in text setting
2. Speech differences from one place to another
3. Problematic examples
4. Problematic quotations
5. Ambiguity in meaning
6. The rule he provides leads to problematic applications
7. To minimise some aspects in some issues
8. To add some aspects in some issues
9. Scientific problems in identifying the issues

Hence, I encourage students as well as instructors to consider these problems, and to find a plausible interpretation for it , and then be ready enough to have full comprehension of the book and benefit from it efficiently.

مقدمة:

يُعدُّ كتاب ابن هشام (أوضح المسالك) من أشهر شروح الألفية، ومن خير الكتب التعليمية في تراثنا النحويّ، امتاز بالضبط واليسر والعناية بشواهد الكتاب العزيز، وتلقّاه الناس بالقبول قديمًا وحديثًا، فهو المرجع في الكثير من الدراسات الجامعيّة.

والحق الذي لا ريب فيه أن نصيبه من الصحة والكمال وافرٌ غامر، ولعله خيرُ ما يُمكن من كتب التراث، غير أنه جهد بشري تفرّد به عالمٌ واحد، وَضَعَه تعليقًا على متنٍ آخر، وتداوله النُّساخ والناقلون، ولذلك لم يخل من مواضع يقف عندها النظر، وقد تكون في اجتهاد بعض قارئيه، أو في رأي شرّاح كتابه مجانبةً للأظهر ومخالفة للأصوب وللأحرى بالإثبات، وقد يكون الإشكال في كلام ابن هشام، وقد يكون في كلام شرّاحه وناشريه، أو في نقلهم وضبطهم لكلامه.

وقد اجتهدتُ في التماس كل ما يخدم متنَ (أوضح المسالك) عند شرّاحه ضبطًا للفظه ومعناه، وأهمُّها ما في شرحه المشهور: (التصريح) المتداول بين الناظرين فيه، وقد راجعتُ شرحين قبله ل(الأوضح)، فوجدت فيهما مخالفات كثيرة لابن هشام، وهما: حاشية حفيده[1]، وشرح المكي: (رفع الستور والأرائك عن مخبّآت أوضح المسالك)[2]، ونظرت في ملحوظات يس العليمي في حاشيته على التصريح، وما نقله فيه عن

---

١ راجع مثلاً ممّا لم أشر إليه في هذه الدراسة، وهو يمثّل مسائل علمية لا تتعلّق بضبط الكتاب و إحسان المعلومات التعليمية فيه، وإنما هي آراء واجتهادات علمية، ومنها ما هو في حكاية الاتفاق على بعض المسائل، أو في ترجيح بعض الآراء، أو إشارة إلى مخالفة رأي ابن هشام لبعض ما في كتبه الأخرى، أو استدراك وتتمّة ليست بالمهمّة، أو استشكالات غير قوية: ١١/أ، ٣٥/أ، ٣٥/ب (موضعان)، ٣٦/أ، ٣٦/ب، ٣٧/أ، ٣٨/أ (موضعان)، ٣٨/ب، ٤٣/أ، (موضعان)، ٤٧/أ، ٥١أ، ٥٥أ، ٥٨/أ (موضعان)، ٥٨/ب، ٥٩/ب، ٦١/أ، ٦٥/أ، ٦٥/ب (موضعان)، ٦٧/أ (موضعان)، ٦٨/أ، ٦٩/أ (موضعان)، ٧١/أ، ٧٢/أ، ٧٣/أ، ٧٤/ب.

٢ راجع منها ممّا لم أشر إليه في هذه الدراسة: ١٤/أ، ١٨/أ، ١٨/ب، ٢٢/أ، ٣٤/أ–ب، ٤٦/أ–٤٧/ب، ٥٤/أ، ٥٤/ب– ٥٥/أ (موضعان)، ٦٠/ب، ٦٣/أ، ٦٥/أ (موضعان)، ، ٧٢/أ، ٧٦/ب، ٧٧/ب (موضعان)، ٨٠/أ، ٨٤/ب، ٩٠/أ، (موضعان)، ٩١/أ، ١٠٠/ب، ١٠٧/ب، ١١١/أ، ١١٣/ب، ١١٥/أ–ب (موضعان)، ١١٦/أ، ١٢٠/أ..

الدنوشري، واعتنيت كثيراً بشرح الشيخ محيي الدين عبدالحميد؛ فهو الذي اليوم بين يدي الطلاب.

ولم أورد كل ما وجدته في هذه الشروح من مخالفات لابن هشام، فقد أعرضت عن مخالفات للشراح لابن هشام في آراء وترجيحات في مسائل عديدة؛ فليس هذا اهتمام البحث وميدانه، وإنما اقتصرت على ما يساعد على ضبط نصّ هذا الكتاب، ويقدّمه في أحسن صورة، ويزيل المشكلات عنه، محاولاً الاختصار والاقتصار على ذكر الإشكال، والغالب في أمرها أنه واضح، يحتاج إلى تقييد أو تبيين، أو يكفي فيه التنبيه، وإن رأيته بحاجة إلى ذكر الوجه الأصحّ في رأي الشرّاح، أو في رأيي – أوضحته، ولا يسمح بحثٌ مثل هذا بالاستطراد في استقصاء المسائل، وإنما غرضه تنبيه الأساتذة الذين يدرسون (أوضح المسالك)، وتوقيف الطلاب الذين يدرسونه إلى هذه المشكلات،؛ لعلهم يحسنون تقديرها إذا هم لاقوها فيه.

ولأجل ضبط نصّ (أوضح المسالك) راجعت إحدى عشرة نسخة لهذا الكتاب ما بين شرح له ونسخة خطية ومنشورة، وهي:

١– النص الوارد في حاشية حفيد ابن هشام.

٢– النص الوارد في شرح (أوضح المسالك): (رفع الستور والأرائك). إنْ هما أوردا النصّ، وهما لا يلتزمان بذكره دائمًا.

٣– النص الوارد ضمن شرح (أوضح المسالك) للشيخ خالد الأزهري (التصريح) في نسخته المطبوعة ومعها حاشية يس العليمي.

٤– النص الوارد في الشرح السابق الذي حققه د. عبدالفتاح البحيري.

٥ـ متن (أوضح المسالك) الذي طبعته مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مقتصرا على المتن فقط، في طبعته الثانية ١٣٦٩هـ.

٦– متن (أوضح المسالك) مع الشرح الثاني للشيخ عبدالحميد (إرشاد السالك).

٧– متن (أوضح المسالك) مع الشرح الثالث للشيخ عبدالحميد (هداية السالك).

٨- متن (أوضح المسالك) مع حاشية الشيخ محمد النجار (منار السالك) بالاشتراك مع الشيخ عبدالعزيز حسن.

٩- متن (أوضح المسالك) مع حاشية الشيخ النجار الأخرى (ضياء السالك) المسمى أيضًا: (صفوة الكلام على توضيح ابن هشام)[١].

١٠- ١١- نسختان خطيتان لمتن (أوضح المسالك).

ولا بدّ أن في جمع هذه الاستشكالات وإنعامِ النظر فيها فائدةً كبيرة، يمكن بها بيان وجه صوابها أو تسديد ما فيها من تقصير، ولا يخفى أبدًا أنها في هذا الكتاب مواضع ضئيلة العدد قليلة قياساً على الجمع الغزير من المسائل التي فيه. ويمكن تصنيف هذه المشكلات التي استوقفت الشارحين هذا الكتاب والناظرين فيه إلى عدة أمور:

١- مشكلات في ضبط النصّ:

منها ما هو في ترتيب ابن هشام لألفاظه، وهو قليل جدًّا، وأغلبها في نقل الناقلين عنه، وليست من ابن هشام في شيء، معتمدًا على النسخة المشهورة التي نَشَرَها الشيخ محيي الدين عبدالحميد، منها ما هو خطير يؤثِّر في فهم المسألة، وأكثرها ليس كذلك.

من هذه المشكلات مرتَّبةً حسب ورودها في الكتاب:

- ذكر أنّ سبب تسكين آخر الفعل: (ضربْت) ونحوه – هو كراهتهم توالي أربع متحركات. (٣٦/١) والإشكال في هذا يسيرٌ في تحسين الألفاظ، وليس في تصحيح المعلومات، ذلك أنّه ذكَّر العدد (أربع) في جميع النسخ المطبوعة التي راجعتها، مع أن المعدود مذكر، وهو (متحرّك)، وله وجهٌ من التأويل بعيد، ولذلك قال الدنوشري معلِّقًا

---

١ وحيثما عبّرتُ فيما بعد في هذا المبحث بأسماء هذه الكتب فإنّما أردت متن (أوضح المسالك) المنشور فيها.

على لفظ ابن هشامٍ هذا: "وأحسن منه أن يقال: أربعة متحركات"[1]. وقد وجدت نسخة خطية جاءت بالأصوب، وفيها: (أربعة متحركات) (المخطوطة رقم ١٤٤، ل ٦أ)

- عدّ من الملحقات بجمع المذكر السالم: (حَرُّون). (٥٢/١). وهي هكذا في النسختين الأخريين لشرحي الشيخ عبدالحميد، ونسخة المتن القديمة ونسختَي النجار، لكن في نسختَي التصريح: القديمة (وفيها تحريف آخر) والمحققة ونسخة المتن المخطوطة رقم (٢٦٧٦) ورقم: (١٤٤) وحاشية الحفيد ٧/ب وشرح المكي (رفع الستور والأرائك ١٠/أ.):: (إِحَرّون)، وهو الأصوب، ونقل الحفيد عن يونس في همزتها الكسر والفتح.

والتمثيل ب(حرون) دون همزة وارد أيضًا في تمثيل بعض العلماء[2]، وقد يكون فيها إشكالٌ؛ لأنها حينئذ جمع سالم، لا تكسير[3]؛ فلم يحدث فيها تغيير، ولا يقال: إنّ ذلك أيضًا وارد في (إِحَرُّون) على القول: إنّها جمع (إِحرّة)؛ فهو سالم أيضًا، وسبب ذلك أنّه لم يسمع عنهم (إِحَرَّة)، بل (حَرَّة)،[4] فيكون جمعها على (إِحرّون) تكسيرًا؛ لما فيه من الزيادة.

- وقال (٥٢/١): إنّ (اسم) و (أخت) و (بنت) ليست من باب (سنة)... قال: (لأنّ العوض غير التاء). وهو هكذا في النسخة القديمة للمتن وفي المتن المضمن مع شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين ومع شرحي النجار، وهو غير صواب، بل الصواب: (لأنّ العوض غير الهاء)، وذلك لأنه سبق في أول المسألة أن قال: (وعوّض عنها هاء التأنيث)، ولأن العوض في (أخت) و (بنت) هو التاء، وليس الهاء. وهي هكذا (الهاء) – كما هو الأصحّ– في

---

١ حاشية يس على التصريح ٥٥/١.

٢ راجع المساعد ٥٤/١، تعليق الفرائد ٢٤٤/١، الأشموني ٨٥/١.

٣ نبّه على ذلك المكي في: رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ١٠/أ.

٤ راجع المرجعين السابقين، وانظر: التصريح ٢٤١/١.

التصريح بنسختيه وفي نسخة المتن المخطوطة رقم (٢٦٧٦) ورقم (١٤٤) وحاشية الحفيد ٨/أ..

- أورد من أسماء الإشارة للمؤنث: (ذِهِ) و (تِهِ)، و (ذِه) و (تِه) (١٣٤/١) هكذا دون مزيد إيضاح للتفريق بينها، وربما أشكل ذلك، وأنا هنا لا أشير إلى خطأ، وإنما أرجو مزيدَ توضيح: إمّا بالرسم، فيُكتب الأولان بالياء: (ذهي) و (تهي)، أو بالتصريح والبيان، فيقال: إن الأولين بإشباع الكسرة، والآخَرين باختلاسها، وهذا ما وجدته صريحًا في (التصريح)[١]، وكأنها فيه من نصّ كلام ابن هشام وصنيعه، وهذا المظنون به، وهو ما وجدته في النسخة المخطوطة ١٤٤، ل: ٩أ، والأخرى٢٦٧٦ ل: ١٧أ، ولعل الإشكال في نسختنا فقط.

- قال في استعمال الأسماء الموصولة: (ولجمع المذكر كثيرًا....). (١٤٣/١) وهي هكذا في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين، وفيها سقط لكلمة مهمة، وهي (العاقل)، وهي موجودة في جميع النسخ الأخرى عند غير الشيخ عبدالحميد.

- ضُبط قوله: (وإمّا مجوّزةٌ) بالرفع. (١٨٣/١) وهكذا في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين. وقد أهمل ضبطَها الشيخُ النجار، ولم يظهر لي وجه قويٌّ في الرفع، فإنها معطوفة على (خاصة بالضرورة) من قوله: (وإمّا عارضةٌ: إمّا خاصة بالضرورة) وأرى أنها بالنصب، حالٌ ممّا قبلها. وضبطُها بالرفع قد يوهم أنها عطفٌ على ما تحقّق من كونه مرفوعًا، وهو أمرٌ قد تقدّم، وهو قوله في أول المبحث: (وهي إمّا لازمة....) وذلك يُفسد تقسيم المسألة عنده. والدكتور عبدالفتاح بحيري ضبطها أيضًا في التصريح[٢] بالرفع، لكنّ الشأن عنده مختلف؛ فإنّ الأزهريّ لمّا أدخلها في تقريره وزاد قبلها ما زاد تغيّر موضعها الإعرابي.

- مثّل في إحدى مسائل جواز كسر همزة (إنّ) وفتحها لما اختل شرطه ووجب فتحه ب(عِلْمِي أنّي أحمد الله) ورَدتْ هكذا مضبوطةً بالشكل. (٣٤٣/١) وهذا تحريفٌ من

---

[١] ٤٠٢/١.

[٢] ٤٩٣/١.

الطابع أو وهَمٌ من المحقق، وهو الأقرب؛ فهو موجود أيضًا في شرحيه الآخرين، وفي نسخة المتن القديمة، والصواب -كما هو ظاهر-: (عَمَلي)؛ لأنّ (الحمد) عملٌ وليس عِلمًا، وعلى هذا شرْحُ الشارحين، وهو الموجود في التصريح بنسختيه، والأشموني والصبان، وشرحَي النجار كليهما. والنسخة المخطوطة رقم: ١٢٤٤، ل١٩أ، والأخرى: ٢٦٧٦ ل٣٦ ب) والنص المضمن شرح الحفيد ٢٦/أ وشرح المكي: رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٣٥/ب.

- استشهد لتخفيف (إنّ) وإهمالها ب(وإنْ كلٌّ لما لدينا جميع محضرون)، لكن المحقق ضبطها بتشديد الميم (لمّا). (٣٦٦/١) وذاك غير صحيح للاستشهاد المراد في هذا الموضع، وقد فعل مثل ذلك أيضًا في شرحيه الآخرين، مع أنه لمّا أعربها في الحاشية من نسختنا ذكر أنّ اللام لام الابتداء، وأنّ (ما) زائدة. وضُبطتْ بالتشديد أيضًا في النسخة القديمة للمتن، وضبطت صحيحة في (ضياء السالك) وخاطئة في (منار السالك). وضبطت بالتخفيف في المخطوطة: ١٤٤، ل ٢٠ب) ونصَّ الحفيد على قراءة التخفيف ٢٨أ- ب، وكذا المكي في رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٣٧/ب-٣٨أ..

- أجاز في وصف النكرة المبنية بمفرد متصل في باب (لا) العاملة عمل (إنّ)- الفتح والنصب والرفع، ومثل ب: (لا رجلَ ظريف فيها) وضُبطت الفاء بفتحة وضمة دون تنوين. (٢٤/٢). وهذا ملبس حقًّا؛ فهو يوحي بأن الرفع يكون دون تنوين، وكأنه بناء. وقد أعرض الشيخ عبدالحميد عن هذا في شرحيه الآخرين، ولم أجد أحدًا وافقه في الضبط، فلعله من تقصير الطابعين. وضبطت بالضمّ والتنوين في المخطوطة ١٤٤، ل ٢١ب)

- أورد في شروط إجراء (الظن) مجرى (القول) عند غير سُليم قوله: "قال سيبويه والأخفش: وكونهما متصلين.....". (٧٧/٢) وقال شارحه المكي: " في كلامه -رحمه الله- خللٌ واختصار يخل بالمعنى، وحقّ العبارة أن يقدم قوله: (وكونهما متصلين) على

قوله: (قال سيبويه والأخفش)؛ فإن شرط الاتصال ليس خاصًّا بهما، بل أكثر العرب على ذلك......"[1].

- مثّل ابن هشام لإحدى مباحث إعمال (تقول) عمل (ظنّ) ب: (تقول لزيد عمرو منطلق). (٧٩/٢) وأخلى المحققُ المثالَ من الاستفهام، وهذا ظاهر الإشكال؛ فإنه قد سبق اشتراطه في صدر المسألة. وكذلك فعَل في شرحيه الآخرين، فلم يسبقه بهمزة الاستفهام، وهو كذلك بهذا الإشكال في النسخة القديمة للمتن، وكذا في شرح النجار (منار السالك) وجاءت صحيحة مسبوقة بالهمزة في شرحه الآخر: (ضياء السالك). وهو كذلك صحيحًا في (التصريح) في نسخته المحققة، وأحسبه كذلك في غير المحققة أيضًا، لكن وقع فيه تحريف، ففيه: (كما تقول...) ولعله: ك: أتقول...). ومثله في المخطوط ٢٦٧٦، ل٤٦ أ) وهو بالهمزة صريحًا في المخطوط ١٤٤، ل ٣٤ب)

- اشترط ابن هشام في الظرف لينوب عن الفاعل أن يكون متصرّفًا، وفي التمثيل ما يوحي أنه قد جاء به غيرَ متصرّف، حيث ورد هكذا: (جُلِسَ أمامَ الأمير)، بفتح الميم. (١٤٨/٢)، وهذا الضبط مشكل جدًّا، وتسبّب كثيرًا في عدم فهم المسألة، ولم يضبطها الشيخ عبدالحميد في شرحيه الآخرين. وضبطها النجار ضبطًا صحيحًا في (ضياء السالك) وفي (منار السالك) فضمّ الميم؛ لأنها حينئذ متصرفة مرفوعة، وهي تخرج عن الظرفية على الصحيح، وتتصرّف تصرّفًا تامًّا. وهكذا ضُبطت بالضم ظاهرًا في المخطوط ١٤٤، ٢٧ب

- قال في مرجحات نصب الاسم المشغول عنه على الرفع: ومنه (حيث)، نحو: (حيث زيدًا تلقاه أكرمه) (١٦٨/٢) أورده هكذا (أكرمه) دون الفاء، وكذا في الشرحين الآخرين للشيخ عبدالحميد: (عدة السالك) و (هداية السالك)، وكذا في النسخة القديمة من المتن وفي (ضياء السالك) و (منار السالك). والظاهر أنّ صوابها بزيادة الفاء قبل

---

١ رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٤٣أ-٤٣ب.

الفعل (أكرمه)؛ وهو الرأي المعروف عن الناظم[1] الذي يعترضه ابن هشام، وفي حاشية الشارح الشيخ عبدالحميد في الموضع نفسه إيرادٌ للمثال صحيحًا وإتيانٌ بالفاء غير مرة، والفاء ثابتة في المتن الذي في (التصريح) بنسختيه، والمخطوط ٢٦٧٦: ل ٥٥أ، والمخطوط ١٤٤، ل:٢٩أ، والنصّ المضمّن مع شرح الحفيد ٣٧/ب، وشرح المكي: رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ٥١/أ. بل إنّ مدار الاعتراض قد يكون على وجود هذه الفاء[2].

- ذكر في باب الاشتغال أنّ المشتغِل عن الاسم السابق كما يكون فعلاً كذلك يكون اسمًا، وفي التمثيل له جاء الاسم السابق مرفوعًا، إذ مُثّل ب: (زيدٌ أنا ضاربه الآن أو غدًا). (١٧٢/٢) فكأنه أهمل الوصف، ولم يُعمله. وكذلك ضبطه الشيخ عبدالحميد في شرحيه الآخرين، وكذا في نسخة المتن القديمة، وكذا في (منار السالك)، و (ضياء السالك). ويحتمله ما في المخطوط ١٤٤، ل٢٩ب، وكان الأولى التمثيل به وهو عامل، فيُنصب الاسم المتقدّم، ويكون المثال: (زيدًا أنا ضاربه الآن أو غدًا) وهو كذلك في المتن المذكور مع (التصريح) بنسختيه. والمخطوط ٢٦٧٦، ل٥٦ أ.

- قال في ختام مسألة شاقة في ختام باب التنازع: "ولم يظهر لي فساد دعوى التنازع في (الأخوين) لأنّ (يظنني) لا يطلبه؛ لكونه مثنى، والمفعول الأول مفرد". (٢٠٥/٢) وهذا لا يستقيم، وهو مناقض لمراده، ويمكن تصويبه ب: (ولم يظهر لي صحة دعوى التنازع) أو (ولم يظهر لي دعوى التنازع) أو (والذي يظهر لي فساد دعوى) عكس كلامه المثبت في المتن، وهذا الأخير هو الذي وجدته في جميع النسخ الإحدى عشرة: المطبوعة والمخطوطة التي راجعتها، بما فيها شرحاه الآخران، ما عدا هذه النسخة التي بين أيدينا. وللمكي منازعة في صحة كلامه، فهو يثبت صحة التنازع لا فساده.[3]

---

١ شرح الكافية الشافية ٦٢٠/٢.

٢ انظر: التصريح ٣٦٩/٢–٣٧٠.

٣ رفع الستور والأرائك ٥٤/ب.

- اشترط في المفعول له أن يكون علة، وفصّله بأنها تشمل ما كان عرضًا، أو غير عرض. (٢٢٥/٢) الموضعان بالعين، وهكذا وجدتهما في كل ما راجعته من نسخ (الأوضح) الإحدى عشرة، لكنّ الشيخ يس العليمي يرى أنّ من المتعيّن أنهما بالغين المعجمة، لا بالعين المهملة التي نصّ عليها المكي[1] والشيخ خالد الأزهري.[2] وما ذكره يس العليمي أقرب إلى الفهم وأظهر، غير أنّ النص المنقول إلينا بخلافه.

- حكم في قوله تعالى: (لإيلاف قريش) أن الإتيان بحرف الجر واجب؛ لجرّ المصدر عند مَن يشترط اتحاد الزمان. (٢٣١/٢) وأورد المكي أنه في بعض النسخ: (عند مَن يشترط اتحاد الفاعل) ووجّهه بأن الأمر بالعبادة عام للجميع، و(الإيلاف) خاص ببعض مَن تولوا تجارتهم،، وأشار إلى نسخ أخرى توافق ما نُقل إلينا، وقوّى الأولَ، وقال: إنه أوضح.[3]

- ذكر أنّ من المختص من الظروف المعدود كـ(يومين) و (أسبوعين). (٢٣٧/٢) وكذا أورده الشيخ عبدالحميد في شرحيه الآخرين، وهو كذلك في النسخة القديمة للمتن، ومنار السالك، وضياء السالك، لكنّ الذي في التصريح بنسختيه: (وأسبوع)، وكذا في المخطوط (٢٦٧٦، ل٦٥أ، والآخر: ١٤٤، ل: ٣٤أ) ويصدق عليه أنه معدود،، إذ قد يتبادر إلى الذهن اقتصار المعدود على ما كان عدداً.

- وقع تحريف خطير يعيق فهم المسألة، ويبعد أن يُعرَف وجهُ الصواب فيها، وذلك في مثالٍ في باب الاستثناء: (لا إله إلاّ اللّه واحدٌ). (٢٦٠/٢) وقد تكرّر هذا أيضًا عند الشيخ عبدالحميد في شرحه الآخر: (هداية السالك) و أيضًا في (عدة السالك)، والنسخة القديمة للمتن، وصوابه عند التأمّل: (لا إله إلا إله واحد) ولا تستقيم المسألة إلا على ذلك،

---

[1] في رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٥٧/أ.

[2] حاشية التصريح ٣٣٥/١.

[3] رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٥٧/ب.

وهو ظاهر. وقد جاء الصواب في: (ضياء السالك) وفي: (منار السالك) وفي التصريح بنسختيه وفي النسخ المخطوطة.

- قال في باب الاستثناء: (هذا حكم المستثنيات المكررة بالنظر إلى اللفظ، وأمّا بالنظر إلى المعنى فهو نوعان) (٢/٢٧٤–٢٧٥) بتذكير الضمير (هو)، ولا ريب أنّ له وجهًا؛ على أنّه أراد: (الحكم)، لكن كلامه بعدُ يرجّح أنّه إنّما أراد (المستثنيات) وهي مؤنث، وقد ورد الضمير بالتذكير في جميع شروح الشيخ عبدالحميد الثلاثة، وكذا في شرحَي النجار، والنسخة القديمة للمتن، ويحتمله ما في النسخة المخطوطة: ١٤٤، ل ٣٦ب)، وأمّا في المخطوطة الأخرى: ٢٦٧٦، ل: ٦٩ب) وفي التصريح بنسختيه: (فهي) بالتأنيث، وهو الأظهر.

- وقال: (ثم قال الزجاج وابن مالك). (٢/٢٨١) وهكذا هي في المخطوط ٢٦٧٦، ل: ٧٠أ، وشرحَي الشيخ عبدالحميد الآخرَين، وكذا في النسخة القديمة للمتن وفي (منار السالك) و (التصريح) في نسخته غير المحققة[1]، وهو غير دقيق، والصواب: (الزجاجي) فالمراد التلميذ، لا شيخُه، وهي هكذا صحيحة في (ضياء السالك) و(التصريح) في نسخته المحققة، وفي المخطوط: ١٤٤، ٣٦ب. وهو الظاهر من كلام أبي إسحاق الزجاجي في حروف المعاني[2]، وفي الجمل[3]، وعليه حديث شرّاحه[4]، وهو ما عزاه إليه العازون، كأبي حيان والمرادي وابن عقيل والدماميني[5]، وقد صرّح ابن هشام في المغني بعزوه إليه لا إلى شيخه كما هنا[6].

---

١ مع أن الشارح الأزهري قد صرّح فيه بكنية الزجاجي (أبي القاسم) وسمّى كتابه المشهور: (الجمل).

٢ ١٠. قال: إنّ (سوى) بمعنى (غير).

٣ ٦١.

٤ كما في البسيط ٢/٨٨٢.

٥ راجع: التذييل ٣/٥٦أ، توضيح المقاصد ٢/١١٧، المساعد ١/٥٩٤، تعليق الفرائد ٦/١٤١.

٦ المغني١/١٤١.

- ضبط الشيخ عبدالحميد البيت المشهور: (وما كلّ مَن وافى منى أنا عارفُ) بضم اللام. (٢٨٢/١) وهكذا فعل أيضًا في شرحه الآخر: (هداية السالك)، وهو مشكل وخلاف الظاهر؛ فإنه يتحدّث عن تقدّم معمول الخبر، وهو ههنا مفعول به، مع أنه في الإعراب أعربه كذلك، وأشار إلى احتمال رواية الرفع. وهو في شرحه الآخر: (عدة السالك) قد ضبطه ضبطًا صحيحًا بالنصب. وضبطها النجار ضبطًا صحيحًا في (ضياء السالك) وخاطئًا في (منار السالك)..

- قال: (أو قُرن هو ب(أل) الدال على الكمال). (٣٠٨/٢) ولم أجد هذا إلا في هذه النسخة، وكلُّ مَراجعي لتحقيق مشكل النص فيها: (الدالة) بالتأنيث، بما في ذلك شرحا الشيخ عبدالحميد اللذان لا يكاد المتن فيهما يختلف عنه في شرحه هذا.

- عدّ من مواضع وجوب تأخّر الحال أن يكون العامل مصدرًا مقدّرا بالفعل وحرف مصدري، ومثاله عنده: (أعجبني اعتكافُ أخيك صائمًا). (٣٢٨/٢) وهكذا في الشرحين الآخرين للشيخ عبدالحميد، وفي شرحَي النجار، لكنّ الذي في النسخة القديمة للمتن: (اعتكافٌ أخوك)، وهكذا في (التصريح) بنسختيه، وفي النسخة المخطوطة ٢٦٧٦: ل ٧٤ب، وفيها أثر التصحيح، و جاءت ظاهرة في الأخرى(١٤٤: ل٣٩أ) بضبطٍ ظاهر.

- قال: (فإنّه يجب تقديم حال الفاضلِ). (٣٣١/٢) وكذا في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين، والنسخة القديمة للمتن، وفي شرحَي النجار. ولكن الذي في (التصريح) بنسختيه: (الحال الفاضلة)، وهو أظهر وأولى. وكذا في النسختين المخطوطتين (٢٦٧٦: ل٧٥أ، ١٤٤: ل٣٩أ).

- تأوّل: (هنيئًا لك) ب: (ثبت لك الخير هنيئًا) أو: (أهنأك هنيئًا). (٣٥٩/٢) والشكّ في هذه الأخيرة؛ فهي هكذا في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين وفي (ضياء السالك) والنسخة القديمة للمتن، لكنها في (منار السالك): (هنأك هنيئا)، وكذا في (التصريح)

بنسختيه، وفيه النصّ على أنها فعلٌ ثلاثي والنقلُ عن كتاب سيبويه[1] وكذلك هي ثلاثيةً في النسختين المخطوطتين. (٢٦٧٦: ل٧٧أ، ١٤٤: ٤٠أ)[2]

- وقال عمّا تفيده الإضافة اللفظية: "أمّا التخفيف فبحذف التنوين الظاهر، كما في: (ضارب زيد) و(ضاربات عمرو) و(حَسَن وجهِه). (٩٢/٣) والإشكال في المثال الأخير، وهكذا هو في شرحي الشيخ عبد الحميد الآخرين وشرحَي النجار كليهما والنسخةِ القديمة للمتن والنسخة المخطوطة ١٤٤: ل٤٤أ. وهذا المثال على جوازه إلا أنه ضعيف، وقصَرَه سيبويه على الشعر، ووصَفَه بأنه رديء.[3] وقال عنه الزجاجي: "أجازه سيبويه وحده، (مع أنّ سيبويه –كما رأيتَ– قد وصفه بالرداءة وقصَره على الشعر)... قال: وخالفه جميع الناس في ذلك من البصريين والكوفيين، وقالوا: هو خطأ؛ لأنه قد أضاف الشيء إلى نفسه، وهو كما قالوا".[4] وعزا ابن مالك إلى المبرّد أنه يمنعه مطلقًا،[5] وعزا الرضي إلى سيبويه وجميع البصريين أنهم يجيزونه على قبحٍ في ضرورة الشعر فقط.[6]

والذي في (التصريح) بنسختيه والنسخة المخطوطة ٢٦٧٦: ل٨٤أ: (حسن الوجهِ) وهو الأظهر والأشهر.[7] وهو المظنون أن ابن هشام أراده، فليس له أن يترك مثالاً مشهورًا سائغًا عند الجميع إلى مثال رديء خطّأه بعضُ العلماء، وقصرَه جمهورهم على الشعر مقرّين برداءته.

---

[1] النسخة المحققة ٦٨٤/٢–٦٨٥، وغير المحققة ٣٩٣/١. وهو كذلك في الكتاب٣١٦/١–٣١٧.

[2] وكذلك هي عند الأشموني الذي سبق غير مرة أنّ لفظه يقارب لفظ ابن هشام. (الأشموني١٩٣/٢) وانظر تقرير الصبان.

[3] الكتاب ١٥٩/٢، وهو كذلك رديء عند ابن يعيش (شرح المفصل٨٦/٦–٨٧).

[4] الجمل ٩٨. لكنّ الذي في شرح التسهيل أنّ الكوفيين يجيزونه في النثر والنظم، واختار ابن مالك قولهم. (شرح التسهيل ٩٦/٣، ونحوه في شرح الكافية الشافية ١٠٦٩/٢).

[5] شرح التسهيل ٩٦/٣. وشرح الكافية الشافية ١٠٦٨/٢.

[6] شرح الكافية ٧٥٢/١/٢.

[7] وكذا في الأشموني ٢٤١/٢، وقد علمت ما بينه وبين ابن هشام من تقارب في الألفاظ.

- من أمثلته في باب الإضافة: (أيَّ رجل جاءك فأكرمه). (١٤٤/٣) بنصب (أيّ). وكذلك هي في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين، وكذا في ضياء السالك، والنسخة المحققة من التصريح، ولم تُضبط في (منار السالك) ولا في النسخة القديمة للمتن والنسخة غير المحققة للتصريح ولا في النسخة المخطوطة ٢٦٧٦: ل:٨٨ ب، لكن الظاهر في الإعراب: (أيٌّ) بالرفع؛ فهي مبتدأ. فالفعل بعدها قد تعدى إلى مفعوله بعده، واكتفى به؛ فلا يطلب اسم الاستفهام مفعولاً به له. وهكذا وجدتها مضبوطة في النسخة المخطوطة: ١٤٤، ل: ٤٦أ.

- قوله في مسائل الفصل بين المضاف والمضاف إليه: "الثانية أن يكون المضاف وصفًا، والمضاف إليه إما مفعوله الأول، والفاصل مفعوله الثاني.... أو ظرفه" (١٨٢/٣) وفي العبارة اضطراب؛ فإن كلمة (إما) تقدمت، ومكانها الصحيح بعد قوله: (والفاصل) لتكون صحة العبارة: أن يكون المضاف وصفًا، والمضاف إليه مفعوله الأول، والفاصل إما مفعوله الثاني... أو ظرفه)[1] والطريف أنّ نحوًا من هذا الاضطراب في العبارة والتقديم وقع أيضًا في هذا الموضع نفسه عند الأشموني، ونبّه عليه الصبان.[2]

- في حديثه عن إضافة المصدر إلى الفاعل ثم لا يُذكَر المفعول مثّل بقوله تعالى: (ربنا وتقبّل دعاءِ). (٢١٤/٣) وهكذا وردت في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين وشرحَي النجار والنسخة القديمة للمتن،، ولا ريب أنّ هذه قراءة صحيحة، لكنه كان يتحدث عن الإضافة إلى الفاعل، فكان الصواب أن يثبت القراءة الأخرى: (ربنا وتقبّل دعائي)، بذكر الياء، وهي فاعل المصدر، وبهذه تُفهم المسألة، أمّا القراءة الأولى فتشكل، وقد تشعر بالخلل والتناقض. والآية صحيحة بإثبات الياء في (التصريح) بنسختيه والمخطوط بنسختيه: ٢٦٧٦: ل٩٤ب، والمخطوط ١٤٤: ل: ٤٨ب.

---

١ راجع حاشية يس ٥٨/٢، وحاشية الشيخ عبدالحميد.

٢٧٦/٢٢

- وقال: "تحوّل صيغة (فاعل) للمبالغة والتكثير إلى: (فعّال) أو (فعول).... فيعمل عمله بشروطه...". (٣/٢١٩) وهكذا في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين وفي شرحي النجار وفي النسخة القديمة للمتن، ويشكل منه قوله: (فيعمل)، وهو يتحدث عن عدة صيغ؛ ولذلك جاء في (التصريح) بنسختيه: (فيعملن)، وكذا في النسخة المخطوطة٢٦٧٦: ٩٥أ، والأخرى١٤٤: ل٤٩أ.

- ذكر في الفروق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل أن منصوبها لا يتقدّم عليها بخلاف منصوبه. قال: ومن ثمّ صحّ النصب في: (زيدًا أنا ضاربه) وامتنع في نحو: (زيد أبوه حسن وجهُه). (٣/٢٤٨) والإشكال في ضبط هاء (الوجه)، وفيها خفاء شديد وإيهام، فقد رفعها محقق هذه النسخة، وكذلك شرحاه الآخران، ومنار السالك، في حين لم تضبط في (ضياء السالك) وفي النسخة القديمة للمتن والنسخة غير المحققة للتصريح، والنسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل:١٠٠ب. والوجه نصبها، كما في النسخة المحققة من (التصريح) وكما في النسخة المخطوطة ١٤٤: ل:٥١ب، وعليه صريح شرح الشيخ خالد، فقد بيّن أنه لا يجوز نصب (الأب) بصفة محذوفة معتمدة على (زيد) تفسّرها الصفة المذكورة المشتغلة بنصب (وجهَه)؛ لأنّ الصفة المشبهة لا تعمل في متقدّم، وما لا يعمل لا يفسّر عاملاً؛ فوجب رفعه على أنه مبتدأ ثان، و(حسن) خبره والجملة خبر (زيد).

وعلّق الحفيد على هذا الموضع أنّ الأولى التمثيلُ ب: (وجه الأب زيدٌ حسنه) قال: لأن في (زيد) مانعًا آخر، وهو كونه غير سببيّ. (حاشية الحفيد٥٨أ.) وكذلك قال المكي في: رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٨٣/ب.

- وذكر في شأن الصفة المشبهة أيضًا أنه يلزم كون معمولها سببيًّا، أي: متصلاً بضمير موصوفها، إمّا لفظًا، نحو: (زيدٌ حسنٌ وجهُه)، وإمّا معنى، نحو: (زيدٌ حسنُ الوجهُ). (٣/٢٤٨) هكذا ضبطها الشيخ عبدالحميد برفع الكلمتين الأخيرتين، وعدم تنوين أولاهما، وهكذا هي في: (ضياء السالك)، وأمّا الذي في شرحيه الآخرين: (حسنُ الوجهِ) بجر الأخيرة، وكذا في: (منار السالك)، وهي عندي أظهر في الخطأ؛ والأول أهون، ولعله

مطبعي، والصواب فيهما: (حسَنٌ الوجهُ)؛ بدليل أنه قدّر بعده (من)، فالتأويل: (حسَنٌ الوجهُ منه). وهكذا ضُبطت صحيحة في النسخة المحققة من التصريح، ولم تُضبط في النسخة القديمة للمتن، ولا في النسخة غير المحققة للتصريح والنسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل١٠٠ب. وأمّا النسخة الأخرى ١٤٤ فقد أُحسن فيها ضبط الكلمة الأولى: (حسنٌ) لكن أسيء ضبط الأخرى: (الوجه) فقد نُصبت.

- قال عن التوكيد ب(النفس) و(العين): "وأمّا في التثنية فالأصحّ جمعهما على (أفعُل)، ويترجّح إفرادهما على تثنيتهما عند الناظم، وغيره بعكس ذلك". (٣/٣٢٨) وههنا أمر لفظي يسير يتعلق بشيء من كلامه السابق، وهو قوله: (بعكس ذلك)، فقد وردت هكذا في الشرح الكبير للشيخ محيي الدين وفي شرحي النجار، لكن الذي في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين والنسخة القديمة للمتن: (يعكس ذلك)، وكذا في نسختي (التصريح) والنسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل:١١١ب، والأخرى١٤٤: ل٥٦أ. وفي حاشية الحفيد ٦٢أ وشرح المكي: رفع الستور والأرائك ٩٣/ب، وهو الأظهر، وخطبه هيّنٌ جدًّا.

- وردت الآية الكريمة هكذا في شرح الشيخ عبدالحميد: (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات ويجعل لك قصورا) ناقصة: (تجري من تحتها الأنهار). (٣/٣٩٤) وكذلك هي في شرحيه الآخرين، ووردت كاملة في النسخة القديمة للمتن، وفي شرحي النجار، وأمّا في (التصريح) بنسختيه، فقد توقف ابن هشام عند (جنات) وأكملها الشارح. وكذا في النسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل١١٨أ، و١٤٤: ل:٥٩أ.

- في حديث ابن هشام عن قوله تعالى: (والذين تبوؤوا الدار والإيمان) قال في كلام طويل:.... لعدم الفائدة في تقييد المهاجرين بمصاحبة الإيمان...). (٣/٣٩٧) وهي كذلك في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين والنسخة القديمة للمتن والنسخة المخطوطة ١٤٤: ٦٠ب، والإشكال يسير وظاهر، فالمقصود بالآية الأنصار[1]، وليس

---

[1] كما في الأشموني٣/١١٧، والألفاظ متقاربة، أو متطابقة.

المهاجرين. ونبّه على ذلك الشيخ يس العليمي[1]، ونبّه النجار على هذا السهو أيضًا في حاشية (منار السالك)، واعتمد الصواب في متن (ضياء السالك) والذي في النسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل١١٨ب اختلاف يسير: (لعدم الفائدة في تقييد الأنصار على المهاجرين لمصاحبة الإيمان).

واحتال الشارح الأزهري على نصّ ابن هشام المشكل، فجعل التقدير: (لعدم الفائدة في تقييد الأنصار المعطوفين على المهاجرين...). وأبعد حفيد ابن هشام والصبّانُ النجعةَ فجعلا من تأويله أن تُقرأ بفتح جيم (المهاجرين): أي: المهاجَر إليهم[2]، ولم يعجب ذلك المكي في شرحه.[3] وأورد الحفيد أيضًا أن الأنصار يمكن أن يقال لهم: إنهم مهاجِرون.[4]

- وذكر ابن هشام في الموضع السابق نفسه: "ويجوز حذف المعطوف عليه بالفاء والواو، فالأول كقول بعضهم: (وبك وأهلاً وسهلاً)..." (٣/٣٩٧) وكذلك أوردها الشيخ عبدالحميد في شرحيه الآخرين، وهي كذلك في النسخة القديمة للمتن، وقليلٌ من التأمّل يؤكّد أن في الكلام اضطرابًا يسيرًا جدًّا، وأنّ تصويبه: (ويجوز حذف المعطوف عليه بالواو والفاء). وهكذا وردت في شرحي النجّار، وفي نسختي (التصريح) والنسخة المخطوطة ٢٦٧٦: ل١١٨ب، والنسخة الأخرى ١٤٤: ل٦٠ب. ونبّه المكي على هذا الخطأ، وقال: إنه واقع في أكثر النسخ.[5]

- ذكر ابن هشام في صدر باب الندبة أنّ حكم المندوب حكم المنادى، فيضم في نحو: (وازيدا)..... (٤/٥٢) وهذا مشكل، فكيف كان مضمومًا؟ وقد جاء الشيخ عبدالحميد بمثل هذا في شرحيه الآخرين، وهو كذلك في النسخة القديمة للمتن، ولكنّ

---

[1] في حاشيته على التصريح٢/١٥٤.

[2] حاشية الحفيد ٦٥/ب حاشية الصبان ٣/١١٧.

[3] رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٩٦/ب.

[4] حاشية الحفيد ٦٥/ب.

[5] رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٩٦/ب.

الذي في شرحي النجار – وهو الحق–: (وا زيدُ)، وكذا في نسختي (التصريح) والنسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل:١٢٦ب، و١٤٤: ل:٦٤أ. وأحسبه ظاهر الصواب.

- وفي تحريفٍ من المحقق مشكلٍ كثيراً؛ لعدم تبيّن أمره قال: إنك تقول في ترخيم (علاوة): (يا علا). (٦٦/٤) وكذلك أوردها الشيخ عبدالحميد في شرحيه الآخرين، وهي كذلك في النسخة القديمة للمتن وفي شرح النجار: (منار السالك)، لكنّ الصواب: (يا علاو)، كما في شرح النجار الآخر: (ضياء السالك) وفي (التصريح) بنسختيه، وفي النسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل١٢٨ب، ١٤٤: ل٦٠ب. وهو ظاهر جداً، وفي كلام ابن هشام بعد ذلك ما يدل عليه ويصرح ببقاء الواو، فهو يجيز قلبها همزة لتطرفها.

- قال عن نحو: (إياك والأسدَ): إنّ الأصل فيه: (احذر تلاقي نفسك والأسدَ). (٧٦/٤) ضبطها الشيخ عبدالحميد بفتح الدال، وكذا في شرحيه الآخرين. والذي في شرحي النجار: (والأسدِ) بالجرّ. ولم تضبط في النسخة القديمة للمتن ولا في النسخة المخطوطة٢٦٧٦: ل١٣٠أ، ولا الأخرى١٤٤: ل:٦٠ب.. وأمّا ما في (التصريح) بنسخته المحققة فبالفتح، فهو موافق لما في طبعة الشيخ عبدالحميد، وهو الظاهر؛ فهو معطوف على المفعول به، ولا وجه لجره.

- في الممنوع من الصرف الذي جاء على وزن (مفاعل) ذكر منه ما سُمّي به من لفظٍ ارتُجل للعلمية، ومثّله ب(كَشاجم) وحكم عليه بالمنع من الصرف. (١١٨/٤) وأخذ عليه الشارحان: المكي[١] والأزهري[٢] أنّه بضم الكاف، وليس بفتحها؛ فليس على زنة (مَفاعل).

والأشموني الذي في الغالب يقتفي أثر ابن هشام لم يمثّل به، وإنما مثّل بمثالٍ أسلمَ منه، وهو: (هَوازن)،[٣] وعلّق الصبان: كذا في نُسخ، وهي ظاهرة، وفي نُسخ أخرى:

---

١ في رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ١٠٧/أ.

٢ في التصريح ٢١٨/٤، وانظر: حاشية الشيخ عبدالحميد.

٣ الأشموني٤ /٢٤٨–٢٤٩.

(كشاجم) بشين معجمة ثم جيم، واعتُرض عليها بأنّ (كشاجم) بضم الكاف، اسم الشاعر المعروف، وأجيب بأنه يحتمل أنّ مراد الشارح اسمٌ آخر مفتوح الكاف غير اسم الشاعر.[1]

- وفي ضبطٍ مشكل جدًّا في مسألة هي من أعسر المسائل على الإطلاق، ثم زادها إشكالاً ما فيها من ضبط غير صحيح، فقد قال في مسألة نصب الفعل بعد (حتى) ورفعِه: ويُرفع الفعل بعدها إن كان حالاً مسبباً فضلة.... ويجب النصب في مثل: (لأسيرنّ حتى تطلعَ الشمس)... لانتفاء السببية، بخلاف: أيُّهم سار حتى يدخلُها)؛ فإنّ السير ثابت، وإنّما الشكّ في الفاعل، وفي نحو: (سيري حتى أدخلُها) لعدم الفضلية، وكذلك: (كان سيري أمسِ حتى أدخلُها) إنْ قدّرت (كان) ناقصة، ولم تقدر الظرف خبرًا". (١٧٧/٤) والإشكال في ضبط (أدخلها) الأخيرة والتي قبلها بالضم، وإني لأراهما بالنصب، كما هو في النسخة المخطوطة ١٤٤: ل٦٦ب؛ فهما معطوفتان على: (ويجب النصب في مثل) وليستا معطوفتين على: (بخلاف: أيهم سار حتى يدخلُها). وقد نص على ذلك الشارح المكي[2]، ولم يبرّئ ابنَ هشام من التقصير، وقال: "وكان حقه أن يذكر هذا المثال بعد المثال الأول، ممّا يجب فيه النصب".

وضبطُ المحقق الشيخ عبدالحميد هنا بالرفع يوافق ضبطه في شرحيه الآخرين، ويوافق النسخة القديمة للمتن، ويوافق ما في شرحي النجار، مع أن كلامه في شرح المثالين يخالف ضبطهما. وكلام الشارح الأزهري صريح في مخالفة ضبط الشيخين: عبدالحميد والنجار؛ فهو يوجب النصب في المثالين الأخيرين، وضبطها كذلك محققه. ولم تضبط في النسخة المخطوطة ٢٦٧٦: ل١٤١أ.

- في العطف على فعل الشرط قبل الجواب قول الشاعر: (ومَن يقتربْ منا ويخضعَ نؤوه....) قال المكي: وقع في بعض النسخ بعد النصب ما نصّه: (بإضمار (أن)

---

١ الصبان ٤/ ٢٤٩.

٢ في رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ١١١/أ.

قياسًا على الشرط). قال: ولا معنى لقوله: (قياسًا على الشرط، وإنما امتنع الرفع لأنه على الاستئناف، ولا يمكن في الواقع بين الشرط والجزاء، بخلاف الواقع بعد الجزاء[1]

٢- اختلاف كلامه في موضعٍ عن آخر:

- أورد قولَ الشاعر: (وقد جاوزت حدَّ الأربعينِ) بكسر النون مرتين، أولاهما على أنه أجراه مجرى (غسلين)، فكسرتُه كسرة إعراب، وثانيتهما على أن علامة جرّه الياء، لكن النون كُسرت، وهذا خاص بالشعر. (٦١/١، ٦٨) وكلا التخريجين قد قيل من قبله في البيت، لكن كلامه لم يكن صريحًا في ذلك، بل قد يُشعر بالتناقض، حين يأتي في موضعين، بكلامين مختلفين، دون الإشارة إلى أن ذلك من اجتهاد العلماء في التخريج. وقد انتقد بلطفٍ الأزهريُّ ابنَ هشام وابنَ مالك من قبله في الاستشهاد بالبيت على الوجهين[2]. وأشار الدنوشري إلى تناقض في صنيعهما هذا، وأوردَ جوابًا عنه.[3]

- مثَّلَ ل(أل) الموصولية وهي داخلة على الصفة المشبهة، فقد مثّل ب (الأعمى) و (الأصمّ) و(الحسَن) (١/١٦٥،٧٣)، وهذا مخالف للراجح، وانتقده بسببه حفيده[4]، والمكّي،[5] كما أنه مخالفٌ لصنيعه هو في باب الصفة المشبهة، فقد جعلها فيه هي المعرِّفة (٣/٢٤٩)، ونُقل عنه هذا الاختلاف بين رأييه في شرح القطر للفاكهي[6]، وكلامُه في المغني صريح في مخالفة كونها تأتي مع الصفة المشبّهة موصولية، فقد قال عن كونها موصولية مع الصفة المشبهة: "ليس بشيء؛ لأن الصفة المشبهة للثبوت؛ فلا تؤوّل بالفعل الدال على الحدوث؛ ولهذا كانت الداخلة على اسم التفضيل ليست موصولة

---

[1] رفع الستور والأرائك ١١٤ أ-ب.

[2] التصريح١/ ٢٦٦

[3] (حاشية يس١/٧٩)

[4] حاشيته على التوضيح ٩/أ. واعتذر له بأنّ هذا مثال؛ فيكفي في صحة التمثيل به كونُه صحيحًا على قولٍ.

[5] في رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ١٢/أ-ب. وكذا في ٨٣/ب- ٨٤أ.

[6] ٢١٣/١

باتفاق[1]". وهذا هو الراجح؛ لحجة ابن هشام في (المغني) القوية السابقة، وهو أيضًا رأي الرضي[2]، ونقله الدماميني عن جماعة من النحويين، خصّ منهم بالذكر ابنَ الحاجب[3].

وكونُ المتصلة بالصفة المشبهة موصولةً هو رأي بعض المتأخرين، منهم ابن مالك[4] وابنُه[5] وابن عقيل[6]، وحكى أبو حيان الخلاف بين النحويين في ذلك[7]، ومثله ابن عقيل[8]، ونقل فيه عن ابن عصفور القولين. فلو أن ابن هشام جعلها هي المعرفة مع الصفة المشبّهة لسلم من مخالفة الجمهور، وبرئ من شِبه التناقض ومن تعسير المسألة على قارئي كتابه.

والعجيب أنّ ابن هشام قبل هذا الموضع بقليل – في أوّل حديث الصلة حين ذكر (أل) – مثّلها متصلةً باسم الفاعل وباسم المفعول فقط (١/ ١٥٣) ورضي شارحُه منه بذلك، وعلّل سكوتَه عن الصفة المشبهة، نحو: (الحسَن)؛ قال: لأنّ (أل) الداخلة عليها حرف تعريف، وقال: على ما صححه في المغني.[9] فتأمّل هذا الاختلاف في عمل ابن هشام في موضعين قريبين في باب واحد.

- ذكر أنّ (أل) في (النجم) و (العقبة) و (البيت) و (المدينة) و (الأعشى) أنها زائدة لازمة إلا في نداء.... (١/ ١٨٤) والإشكال في قوله: (زائدة)؛ فإنّ هذا يناقض ما صدّر به الفصلَ من قوله: "من المعرّف بالأداة ما غلب على بعض مَن يستحقه". فعدّها معرِّفة، والمعرّفة تغاير الزائدة وتخالفها وتقابلها في تقسيمات (أل)، والطريف والمهمّ أن كلمة (زائدة)

---

١ المغني١/٤٩.

٢ شرح الكافية ٢/١/٢٠٨.

٣ تعليق الفرائد ٢/ ٢١٥.

٤ شرح التسهيل١/٢٠١

٥ شرح الألفية٩٣

٦ المساعد ١/١٤٩

٧ الارتشاف ١/٥٣١

٨ شرح الألفية ١/١٠٦

٩ التصريح١/٤٤١

الزائدة لم تردْ في نص التوضيح الذي مع التصريح،١ ولا في النسخة المخطوطة ٢٧٦٧ ل: ٢٢أ ولا في نسخة ١٤٤، ل:١٠ب،٢ ولا في النص الذي أورده حفيده مع شرحه ٦٧/ب. فأغلب الظنّ أنها لا تثبت.

ولعل ابن هشام على فرض ثبوتها إنما أراد أنها كانت في الأصل معرفة، وأصبحت بعد الغلبة لازمة، وهذا معنى كلامه في المغني٣، وله وجه، وكان الأولى إظهارَ ذلك.

- بدأ في تعريف الاشتغال بأنّه إذا اشتغل فعلٌ متأخّرٌ بنصبه لمحلّ ضمير اسم متقدم عن نصبه للفظ ذلك الاسم. (١٥٨/٢) وهذا صريحٌ بأنّ الفعل المتأخر يتّجه لما بعده على طريق النصب، ولكنه في آخر الباب ذكر أن هذا الفعل المتأخّر قد يتجه لما بعده على طريق الرفع. (١٧٤/٢) وظاهر كلامه الأخير أنّه يعده من باب الاشتغال، وهو أيضًا ظاهر كلامه في كتبه الأخرى، كالجامع الصغير٤، وهو ظاهر كلام بعض النحويين،٥ وعلى هذا ظاهر التسهيل وشروحه٦، فيكون في كلامه لبسٌ، فقد حصر أوّلَه في النصب، وجاء في آخره بالرفع. وعلى هذا أيضًا فيكون تعريف ابن هشام قاصرًا. وإن كان لا يراه منه فيكون عمله مشكلاً، كيف أورده في الباب٧. والنحويون في مصنفاتهم مختلفون، فمنهم من يعده من الاشتغال، ومنهم من لا يعده.

- ذكر القول المشهور أنّ النصب في الاستثناء التامّ المنفي عربي جيد. (٢٥٨/٢) ثمّ جاء بما يخالف هذا حين جاء حديث (غير) التي لها أحكام المستثنى تمامًا على

---

١ ٥٠٠/١

٢ ووردت كذلك في شرحي الشيخ عبدالحميد الآخرين للتوضيح: هداية السالك وإرشاد السالك، وكذا في النسخة القديمة لمتن التوضيح، وكذا في شرحَي النجار: ضياء السالك ومنار السالك.

٣ ٥١/١، وانظر: الصبان ١٨٥/١.

٤ ٨٣.

٥ كما في: الارتشاف، ١١٤/٣.

٦ التسهيل ٨٢، وراجع:تعليق الفرائد ٣٠٢/٤، الصبان ٨٦/٢، حاشية يس٢٩٦/١)

٧ وقد أشار إلى هذا الصبان ٧٢/٢، وانظر حاشية يس على شرح القطر ٨٠/٢، ففيها فوائد.

اختلاف أحكامه، فقال حينئذٍ عن النصب فيها: إنه ضعيف. (٢٧٨/٢) ونحوه عند الأشموني،[١] وهو حقًّا مشكل، فهناك فرق كبير بين: (عربي جيد) و قوله: (ضعيف)، ولعله أراد أنه ضعيف نظرًا إلى الخيار الآخر، وهو الإتباع، أمّا من حيث ذاته فهو قويٌّ غير ضعيف.

- المثال: (هذا خاتمٌ حديدًا) أورده مرتين في بابين مختلفين: مرة على أنه من الحال، ومرة على أنه تمييز. (٢٩٩/٢، ٣٦٦/٢) وأشار في الموضع الأخير منهما إلى كلا الاحتمالين، وكان الأولى أن يحرّر إعرابه، ويجعله في أحد البابين، وذلك خيرٌ من أن يشكل أمرُه، وهو أقرب إلى التمييز، وذلك لانتفاء الاشتقاق فيه، والاشتقاق أصلٌ في الحال، والجمود أصلٌ في التمييز، بل هو الواجب فيه.

- أورد الحكمَ المشهور في معمول اسم الفاعل الذي يتلوه مباشرة، وهو أنه يجوز نصبه، ويجوز جرّه على الإضافة، وأضاف: "وأمّا ما عدا التالي فيجب نصبه، نحو: (خليفة) من قوله تعالى: "إني جاعلٌ في الأرض خليفةً". (٢٣٠/٣) وظاهرُ هذا يناقض ما سبق أن قرّره في باب الإضافة من أنه يجوز في السعة أن يكون المضاف وصفًا، والمضاف إليه مفعوله الأول، والفاصل مفعوله الثاني، واستشهد له هناك بقراءة بعض القرّاء: "فلا تحسبنّ اللّهَ مخلفَ وعدَه رسلِه"، وبقول الشاعر: (وسواك مانعُ فضلَه المحتاجِ) أو ظرفُه، واستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (هل أنتم تاركو لي صاحبي) وقول الشاعر: (.... كناحتِ يومًا صخرةٍ بعسيل). (١٨٢/٣-١٨٤) وبناءً على هذا الحكم الأخير فإنه يجوز قياسًا في الآية التي أوردها أوّلاً أن يقال في غير القرآن: (إني جاعلُ في الأرض خليفةٍ) فتباين الرأيان.

وما حكَم به ابن هشام في أول هذا الإيراد هو الموافق لنصّ الألفية، ولا شكّ في إبهامه، ولعله إنما أراد التعليق على ما بعد إضافة اسم الفاعل لما بعده؛ فلا يضاف مرة أخرى؛ لأنّ الاسم لا يضاف مرتين، ولذلك وجب فيما بعده النصب، في مثل: (هو معطي

---

[١] ١٥٥/٢. وهناك تقارب لفظي بين الكتابين. وسبق الإشارة إلى ذلك.

زيدٍ مالاً). وهذا قد يصحّ أن يكون عذرًا للألفية، ولما في شرحها لابنه١، وعذرًا لما في شرح الكافية الشافية٢، لكنه لا يصلح عن ابن هشام؛ لأنه أورد الآية: (إني جاعلٌ في الأرض خليفةً)، وليس فيها إضافة اسم الفاعل لما بعده مباشرة، إلاّ أن يُعتقد أن سبب منع الإضافة وجودُ الفاصل (وهذا الظاهر من كلام الأزهري في التصريح) فهذا عينُه المناقض لكلامه في باب الإضافة.

وقد تنبّه اللقاني لما في كلام ابن هشام من اختلاف، فأجاب عنه بأنّ المجرور بالإضافة هو التالي حكمًا، وغيره غيره، وإن تقدّم لفظًا،٣ وأصل هذا الاعتذار عن ابن هشام لحفيده في حاشيته على التوضيح،٤ كأنه يريد أن يقول: إنه أراد أنك تضيف الوصف إلى معمول، وهذا المعمول المضاف إليه في الحقيقة والحكم هو التالي للوصف، وإن كان مفصولاً بينهما؛ لأنّ علاقة المضاف بالمضاف إليه وطيدة، أليسا في حكم الكلمة الواحدة؟ فعلى هذا تكون أضفته إلى التالي للوصف، ولو كان بينهما فاصل، ثمّ لا يجوز لك فيما عداه إلاّ النصب. فلم يناقض ذلك ما سبق في باب الإضافة، ففي قراءة بعضهم: (مخلف وعدَه رسلِه) التالي ل(مخلف) هو (رسل) لأن الأول مضاف، والثاني مضاف إليه، ثم يجب نصب ما عدا ذلك، و هو (وعْدَ). ولا أرى هذا الاعتذار إلا تكلفًا؛ فإن قول ابن هشام (يتلو) و (التالي) إنما أراد وصفًا لفظيًا للفظٍ يتلو لفظا، وبسبب هذا التوالي اللفظي استحق ما استحق من أحكام.

وقد وقع مثل قول ابن هشامٍ لابن عقيل في شرح الألفية، وكلامهما يلزم عليه هذا الإشكالُ وآخرُ مثلُه، فقد علّق الخضري على ابن عقيل: "وإنما ينصب ما سواه إذا لم يكن فاعلاً، وإلاّ وجب رفعه، كـ(هذا ضارب زيدٍ أبوه)، ولم يكن التِّلْوُ ممّا يُفصَل به بين

---

١ ٤٣١.

٢ ١٠٤٦/٢.

٣ حاشية يس ٦٩/٢

٤ ٥٧أ.

المتضايفين، وإلاّ جاز جرّه، كـ(هذا معطي درهمًا زيدٍ و (مخلف وعدَه رسلِه). ثم قال معتذرًا: ولم ينبّه على ذلك لظهوره من مواضعه".[1] وهذا الاعتذار بحروفه مأخوذ عن الصبان الذي اعتذر به عن الأشموني الذي وقع كعادته في مثل ما وقع فيه ابن هشام[2]، فهذا يصلح أن يكون أيضًا عذرًا عن ابن هشام، غير أنه لا يُخلي ساحته تمامًا من الإيهام؛ فلم يستثن ما سبق في الفصل بين المتضايفين.

وعامة العلماء حين يذكرون هذه المسألة يحكمون أنّ هذا هو الغالب، ولا ينسون ما سبق في باب الإضافة فيستثنونه، وربما نصّ بعضهم على كونه شاذًّا، مع أن هذا يخالف الحكم في باب الإضافة؛ فظاهرٌ هناك الاطراد.[3]

وقد يُلتمس على وجهٍ بعيدٍ جدًّا لابن هشام تأويلٌ، وهو أنه في باب إعمال اسم الفاعل إنما عنى الفضلة، كما صرّح به، فهذه يجب نصبها إن وُجد الفاصل، أمّا في باب الإضافة فالمجرور رغم الفاصل قد لا يكون في الأصل فضلة؛ لأنه في الأصل هو الفاعل في المعنى، وهم (الرسل) في: (مُخلف وعدَه رسلِه) و(المحتاج) في: (مانع فضلَه المحتاجِ)، وأمّا الفاصل في الحديث: (تاركو لي صاحبي) فهو فاصلٌ مستهان به؛ لأنه متعلق باسم الفاعل ومن لوازمه، فكأنّه من تتمّته. وكذلك (يومًا) من: (ناحت يومًا صخرة بعسيل) فإنما هي مقحمة لإكمال الوزن، ولم يعتمد عليها المعنى، ولو سقطت ما أثّرت في التركيب. ولكنّ ذلك أيضًا لا يعفي تعبير ابن هشام من عدم الضبط.

- قال عن صيغتي التعجب القياسيتين: "وعلة جمودهما تضمنهما معنى حرف التعجّب الذي كان يستحق الوضع" (٣/٢٦٢) وفي هذا وقفتان: الأولى: أنه سبق أن ذكر أن اللام تدل على معنى التعجب (٣/٢٣) فقد اختلف كلامه، ولم تصدق علته، وقد أشار

---

١ (حاشية الخضري ٢/٢٧)

٢ (حاشية الصبان ٢/٣٠٠)

٣ انظر مثلاً: التسهيل وشرحه ٣/٨٤-٨٥، الارتشاف ٣/١٨٥ مع أنه في الصفحة التالية قال كقول ابن هشام في الآية، توضيح المقاصد ٣/٢٦، المساعد ٢/٢٠١-٢٠٢، تعليق الفرائد ٧/٣٢٥-٣٢٦.

إلى هذا الشيخ عبدالحميد في الحاشية، وهو نظر وجيه ومأخذ دقيق. الثانية: أنه قد مضى أولَ الكتاب أنّ تضمّن معنى الحرف إنما يكون سببًا للبناء لا للجمود، وفي هذا خلطٌ للمسألتين، على أنه لم يؤلَف في الدرس النحوي تفسيرُ وجهِ جمود الأفعال، كما لم يُبحث سبب بنائها، إنما الذي أُلف بحثُ سبب بناء الأسماء؛ لأنها خالفت الأصل فيها، وهو الإعراب.

ولم يبحث ابن هشام علّة الجمود في (نِعم) و(بئس) وفي (عسى) و(ليس)، ولو فُرض أن سبب جمود (ليس) هو تضمنها معنى الحرف (ما)، وأنّ سبب جمود (عسى) تضمنها معنى (لعلّ)، فما علّة جمود (نِعم) و(بئس)؟

لم يُجز أن تكون (كُلاًّ) من قوله تعالى: (إنّا كُلاًّ فيها) توكيدًا؛ لأنها لم تتصل بضمير المؤكَّد، وأجاز فيها وجهين: أحدهما: أن تكون حالاً من ضمير الظرف، يريد: (فيها). (٣٢٨/٣) مع أنه قد سبق في باب الحال أنْ حكَم أنّ الحال لا تتقدّم على عاملها إن كان لفظًا مضمّنًا معنى الفعل دون حروفه، (٣٢٨/٢) وإنْ عاد واستثنى من ذلك أن يكون ظرفًا أو مجرورً مخبرًا بهما، فإنه يجوز بقلة توسّط الحال بين المخبر عنه والمخبر به. (٣٣١/٢) لكنّ ظاهر كلامه أنه لا يرتضي هذا الاستثناء، فقد عقّبه بقوله: "وهو قول الأخفش، وتبعه الناظم"، قال: والحقّ أنّ البيت ضرورة...." وأوّل جميعَ الشواهد. (٣٣٤/٢) فكأنه لا يقرّه.

- في أول كتابه قسّم الضمير إلى مستتر وبارز، وقسّم البارز إلى متصل ومنفصل، (٨٣/١) ثم لمّا جاء في باب العطف قسّمه إلى متصل ومنفصل، وقسّم المتصلَ إلى بارز وإلى مستتر. (٣٩٠/٣) وكان الأولى توحيد جهة التقسيم. ولذلك انتقده فيه حفيده[١].

- في شرح مثالِ الألفية: (خذ نبلاً مُدى): جاء بما قد يُفهم منه مخالفةُ ما سبق أنْ قرره ومخالفةُ الظاهر أيضًا في مفهوم بدل البداء، فقد قال: "وإن كان أراد الأولَ، ثم أضرب عنه إلى الأمر بأخذ المدى، وجعل الأول في حكم المتروك فبدل إضراب وبداء". (٤٠٤/٣) والنظر في قوله: (في حكم المتروك) فهذا يناقض المعروف وما بدأ به المسألة

١ حاشية الحفيد ١١/أ.

من قوله: (وإن كان قصد كل واحد منهما صحيحًا فبدل الإضراب، ويسمى بدل البداء. (٤٠٣/٣) فالظاهر من تقرير العلماء لبدل البداء أنّ المبدل منه ليس في حكم المتروك، بل هو مقصود، ومراده صحيح، لكن المتكلم لمّا ذكره – وهو صحيح– بدا له أن يذكر معه شيئًا آخر، حتى قيل فيه: إنه من باب العطف دون عاطف، وعلى هذا حَمل ابن جني ما ورد من ذلك.[1] بل قد أجاز فيه ابن جني كونه بدلّ كلّ من كلّ،[2] ونقله أبو حيان عن النحويين.[3] ومنه ما جاء في حديث مَن لم يخشع في صلاته: (فليس إلا نصفها ثلثها ربعها...)

وابن هشام في كتاب له آخر كان أكثر صراحة في أنّ كلا الاسمين مراد، فهو يجعله من قبيل العطف بالواو، وليس (بل)، قال: لأنه لم يثبت حذفها،[4] وتقدير ابن جني وأبي حيان يؤيّد ذلك [5]، وقد أشار الدنوشري إلى ما في كلام ابن هشام من منافاةٍ بين أوّلِه وآخره، واستشكله بما قدّره ابن هشام من كونه في حكم العطف بالواو.[6] مع أنه في كتابه هذا قال متبعًا كثيرًا من العلماء: والأحسن فيهن أن يؤتى ب(بل).

- تحدّث عن الترخيم في غير النداء (٦٨/٤) ولم ينبّه إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أنه من الضرائر القبيحة؛ حتى لا يحسب أنّ القياس عليه ممكن.

وقد نصّ في هذا الموضع أنّه يُشترط للترخيم أن يصلح الاسم للنداء، قال: فلا يجوز في: (الغلام)، مع أنّه قد سبق أن ذكر نحو هذا الترخيم، واحتجّ به، فقد احتجّ بقول

---

١ الخصائص١/٢٩٠–٢٩١، شرح الجمل لابن عصفور١/٢٨٣–٢٨٤.

٢ الخصائص ٢/٢٨٠.

٣ النكت الحسان١٢٤، الارتشاف ٢/٦٢٥.

٤ قال ذلك في حواشيه على التسهيل ، نقلا عن التصريح ٣/٦٤٥.

٥ الخصائص ١/٢٩٠–٢٩١، النكت الحسان ١٢٤، الارتشاف٢/٦٢٥.

٦ حاشية يس ٢/١٥٩.

الشاعر المضطرّ: (درس المنا بمتالع فأبان....) (٤٣/٤) ولم يُشر إلى قبح هذا ولا إلى مخالفته الشرط.١

٣- **أمثلة مشكلة:**

- مَثّل لاسم الفعل ب(نزال) و (دراك)، وقال: "وهذا أولى من التمثيل ب(صه) و (حيّهل) (يريد مثالَي ابن مالك) فإنّ اسميتهما معلومة ممّا تقدّم؛ لأنهما يقبلان التنوين". (٢٩/١) على أنه قد يعاب هو أيضًا بمثل هذا العيب؛ فإنه مثّل اسمَ الفعل المضارع ب(أفّ)، مع أن اسميته معلومة أيضًا بالتنوين٢.

- في حديثه عن شبه الأسماء بالحروف شبهًا استعماليًا، وهو أنّه لا تدخل عليها عواملُ فتؤثّر فيها – أخرج من ذلك نحو: (ضربًا) في قولك: (ضرْبًا زيدًا)... قال: وذلك لأنه تدخل عليه العوامل فتؤثّر فيه، ومثّلَ ب: (أعجبني ضربُ زيد). (٣٢/١) والحقّ أنّ المثالين مختلفان، فكلمة (ضرْب) في المثال الأول ليست هي الثانية، كما نبّه على ذلك حفيده، وقال: إنّه لا يستقيم التمثيلُ به.٣

- مثّل لإعراب (أيّ) في الأسماء الموصولة ب(اضربْ أيَّهم أساء). (٣٣/١) وهذا مثال مشكل، كما نبّه عليه المكي في شرح (الأوضح)، وقال: كان ينبغي له أن يمثّل بمثال مجمع عليه، أمّا الإعراب في مثل هذا فهو شاذ؛ لأن (أيّ) قد أضيفت وحُذف صدر صلتها.....٤

- مثَّلَ ل(أل) الموصولة وهي داخلة على الصفة المشبهة، فقد مثّل ب (الأعمى) و (الأصمّ) و(الحسَن) (٧٣،١٦٥/١)، وهذا مخالف للراجح، وانتقده بسببه حفيده ٥، والمكِّي،٦ وقد سبق الإشارة إلى ذلك فيما ظاهرُه يُشعر باختلاف قوله في موضعٍ عن آخر.

---

١ راجع كلام الشيخ عبدالحميد في الحاشية ٤/٨٦-٦٩.

٢ حاشية الحفيد ٣/ب، التصريح١/١٧٨.

٣ في حاشيته على التوضيح ٤/أ.

٤ رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ١٠/أ.

٥ حاشيته على التوضيح ٩/أ. واعتذر له بأنّ هذا مثال؛ فيكفي في صحة التمثيل به كونُه صحيحًا على قولٍ.

٦ في رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ١٢/أ-ب. وكذا في ٨٣/ب- ٨٤أ.

- قرّر أنه يجوز حذف العائد المنصوب إن كان متصلاً، وناصبُه فعلٌ أو وصفٌ غير صلة الألف واللام، ومثّل لما لا يجوز حذفه لأن ناصبه وصفٌ صلة للألف واللام – مثَّله ب(جاء الذي أنا الضاربه) (١٧١/١) ويظهر أن السبب عنده أنه يرى فيه أن الضمير هو العائدُ على (أل) والمثبِتُ اسميتَها، وحذفُه يفوّت ذلك. لكن الشيخ المكي والشيخ الأزهري لا يوافقان على هذا، ويريانه سهوًا، ويقترحان مثالاً صحيحًا، قال الأزهري: "والتحرير أن العائد المنصوب بالوصف المقرون ب(أل) إن كان عائدًا على غير (أل) كالمثال المذكور جاز حذفه (هو يرى أنه فيه عائد على (الذي) وليس على (أل)) قال: وإن كان عائدًا على (أل) نحو: (جاءني الضاربه زيدٌ) امتنع حذفه، لما تقدّم من التعليل".[١] وممّا اقترحه المكي من أمثلة: (جاءتني الضاربها عمرٌو) و (جاءني الضاربهم خالد)[٢]

- قال في شرح تعريف الفاعل وشرحِ ما يُسند إلى الفاعل: "والمؤوّل بالفعل نحو: (مختلف ألوانه)، ونحو: (وجهه) في قوله: (أتى زيد منيرًا وجهُه)". (٨٣/٢) قال شارح كتابه المكي معلِّقًا: "حقُّه أن يقول: ونحو (منيرًا) من قولك: (أتى زيد منيرًا وجهُه)؛ لأنّ المراد التمثيلُ للمؤوّل بالفعل لا المرفوع". قال: "ولعله سقط منه حال الكتابة أو من النسّاخ بعده".[٣] ونحوه أيضًا للحفيد.[٤]

- ذكر أن نصب الاسم المشغول عنه يجب إذا وقع بعد ما يختص بالفعل، قال: كأدوات الاستفهام غير الهمزة، ومثّل ب: (هل زيدًا رأيته). (١٦١/٢)، مع أنه في أول الكتاب سبق أن ذكر أنّ (هل) من الحروف التي لا تختصّ بالأسماء ولا بالأفعال. (٢٥/١–٢٦). وقد حاول حفيده الإجابة عنه، فقال: إنّ (هل) لها حالتان: أن يكون في حيّزها فعل، وألاّ يكون، فإن كان الأول فإنها لا تدخل إلا عليه، وتكون حينئذ خاصة بالفعل، وأما إذا لم

---

١ التصريح ٤٧٣/١، وفي حاشية يس ١٤٦/١ تحقيق طويل ونقول.

٢ رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ٢١/ب.

٣ رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٤٤/أ.

٤ حاشيته على (أوضح المسالك) ٣٢/أ.

يكن في حيّزها فعلٌ فلا تكون حينئذ مختصة بالفعل.[1] وهو جواب لا يُعفي ابنَ هشام من الإشكال في أحد الموضعين أو عدمِ الدقة.

- مثّل في أسلوب الاشتعال لوجوب النصب إذا وقع بعد أدوات الاستفهام غير الهمزة وأدوات الشرط – مثّل له بأمثلة صناعية نثرية، وهي: (هل زيدًا رأيته) و(حيثما زيدًا لقيته فأكرمه)... إلخ، وهذا لا يُفهم منه إلا أنه جائز في النثر والسعة، لكنه لم يلبث أن عقّب بما صريحه يناقض ظاهرَ ما سبق، فقال: إلا أنّ هذين النوعين لا يقع الاشتغال بعدهما إلا في الشعر، وأمّا في الكلام فلا يقع بعدهما إلا صريح الفعل. (١٦١/٢) وأجاب عنه حفيده بأنّ كلامه يخلو من الإشكال؛ لأنه قد استثنى بعد ذلك.[2] ولست أرى هذا مزيلاً الإشكال؛ لأن تمثيله يخالف تقريره. وذكر أستاذنا د. أمين سالم أن هذا من تنظير ابن هشام في (الأوضح) قال: والذي أقف عليه من سيبويه وغيره أنه لا قيد، قال سيبويه: (إن زيدًا تره تضرب) تنصب (زيدًا)؛ لأن الفعل أن يلي (إنْ) أولى.[3]

- قال في الأمور التي تنوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق: "اسم مصدر، كما تقدّم، واسم عين، ومصدر لفعل آخر" ثم مثّل بمثالين، وهما: (والله أنبتكم من الأرض نباتًا) و (تبتّل إليه تبتيلاً) قال: والأصل: إنباتًا وتبتلاً (٢١٣/٢) فإن كان جعل المثالين للأخير، وهو (مصدر لفعل آخر) فقد أصاب، ولكنه ترك الأول منهما دون تمثيل، وإن كان أراد بالمثال الأول التمثيل للأول، وهو اسم عين، وهذا الظاهر من صنيعه، وهو الذي جرى عليه شارحه الأزهري[4] – فهاهنا إشكال، فليس هذا بظاهر، ولم أجد أحدًا

---

١ حاشية الحفيد ٣/ب. وأعاده ٣٦/ب – ٣٧أ.

٢ حاشية الحفيد ٣٦/ب.

٣ حاشية تحقيقه للمحرّر في النحو للهرمي ١٦٣/١، وأحال إلى الكتاب ١٣٤/١، والمقتضب ٧٤/٢، وابن يعيش ١٣٨/٢.

٤ التصريح ٤٦٠/٢–٤٦١. وجعل المكي ذلك هو الظاهر. (رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٥٥/ب.

قبله فعَلَه، وقد أخذه عليه حفيدُه[1] وإنما الذائع المشهور عنهم والأقرب إلى الصواب أن يمثلوا بالآية على أنها من قبيل الإتيان بمصدر فعل آخر، وعلى هذا كلام شيخهم سيبويه[2]، وعليه مَن راجعت كتبه من المؤلفين. وقد يجاب عنه بأنّ (النبات) يستعمل تارة بمعنى (نبْت)، وتارة اسمًا للشيء النابت.[3]

- وذكر منه أيضًا ضمير المصدر، ومثّله ب(عبدَ الله أظنه جالسًا). (٢/٢١٣). وقال شارح (الأوضح) المكيُّ بعد أن ذكر احتمالاً يُخرج هذا المثال عمّا أريد به: "وقد غرّب الشيخ –رحمه الله– بذكر هذا المثال؛ فلم أره مذكورا في شيء من كتبهم، لكن جرَتْ عادته بالتغريب بمسائل...".[4]

- في المفعول فيه وهو يذكر ممّا ينتصب على الظرفية مصادر ضمّنت معنى (في)، ومثّل لها: (انتظرتك صلاة العصر)، قال حفيده: إنه يتحدّث عن المصدر، ولكن مثاله: (صلاة)، وهي اسمٌ وضع موضع المصدر، وليس مصدرًا، ومصدر (صلّى): (تصلية)، قال: وعلى هذا ففي تمثيل المصنف به لما كان مصدرًا تسامح.[5] والأمر فيها هيّنٌ جدًّا.

- حصر تمييز النسبة في المحوّل عن فاعل وفي المحوّل عن مفعول، وهذا شأن الكثير من النحويين، لكن يُشكل على ذلك مثالٌ شهير سيورده بعد هذا بقليل، وهو قولهم: (لله درُّه فارسًا)؛ فلا يصدق عليه أيٌّ من النوعين. وقد قرر بعض العلماء أنّ من تمييز النسبة ما ليس محوّلاً، ومثّلوه بالمثال السابق وبقولهم: (امتلأ الإناء ماءً).[6] وظاهر

---

١ حاشية الحفيد ٤١/ب.

٢ الكتاب ٤/ ٨١.

٣ حاشية يس على شرح القطر للفاكهي ٢/ ١٢٠، وحاشيته على التصريح١/ ٣٢٨.

٤ رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٥٥/ أ.

٥ حاشية الحفيد ٤٣/أ

٦ راجع: شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٨٢، شرح العمدة ٢/ ٤٦٨، النكت الحسان ١٠١، شرح القطر ٢٤١، الجامع الصغير ١٢٧.

كلام ابن السراج أن هذا الأخير محوّل عن الفاعل،[1] وأما المثال الأول فلم أجد أحدًا أدخله في النوعين المشهورين.

- لا يتضح أبدًا وجهُ التعدية التي جعلها من معاني اللام، في مثاله: (ما أضربَ زيدًا لعمرٍو). (٢٩/٣) وأرى أنه لا بدّ له من توضيح، وقد قال شارحه المكي من قبلُ: "غرّب المؤلف –رحمه الله– بهذا المثال، على عادته في هذا الكتاب".[2]

- أورد ابن هشام من معاني اللام في حروف الجرّ أنها تكون للقسَم، ومثّله بقول العرب: (للهِ لا يؤخَّر الأجل). قال المكي: ظاهره أنها في المثال المذكور للقسم المجرّد عن التعجب، ولم يذكره – أي: القسَم المجرّد عن التعجّب – في المغني، وذكر فيه كونها للقسم والتعجّب معًا، قال: ويختصّ باسم الله تعالى، كقوله: (للهِ لا يبقى على الأيام ذو حيَدٍ)، ثم ذكر كونها للتعجب المجرّد عن القسم.[3] وأرى أن ما أخذه المكي صحيح؛ فلم يُذكر من حروف القسم مجرّدًا اللامُ، وإنما تأتي لمعنيي التعجب والقسم، ولو قيل: إنها لمجرّد التعجب كان وجيهًا.

- أورد من معاني اللام التعجّب، ومثله ب(لله درك). (٣٢/٣). والظاهر أن معنى التعجب مفهوم من عموم الجملة، كما يقال في باب التعجب: إن هذه صيغة سماعية، يريدون التركيب كله. أورد هذا الإشكال يس وأجاب عنه جوابًا غير قوي، فادّعى أنه مجاز، من باب نسبة ما للكل للجزء.[4]

- في توكيد الجملة توكيدًا لفظيًا ذكر أنّ الأكثر اقترانها بالعاطف، ومثّل ب(أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى) (٣٣٦/٣)، ولم يبيّن مراده في مثاله هذا بالعاطف، والظاهر

---

[1] الأصول ٢٢٢/١، ونحوه في الإيضاح لأبي علي ٢٢٣، وشرحه المقتصد٦٩٣/٢، الارتشاف ٣٧٨/٢، التذييل ١٠٥/٣ب، وأمالي ابن الحاجب ٤٠٤/١، الفوائد الضيائية٤٠٧/١.

[2] رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ٦٩ /ب. وذكر في بيانه كلامًا طويلاً، وأنه إنما يجري على مذهب البصريين في التعدية بخلاف مذهب الكوفيين.

[3] رفع الستور والأرائك ٧٠ /أ. وانظر المغني ٢١٤/١.

[4] حاشية التصريح ١٢/٢، وانظر حاشية الشيخ عبدالحميد.

أنه يريد (ثم)، وعلى هذا كلام الشارح الأزهري، ولعل أحدًا أن يدّعي أنه أراد الفاء أولاً، وهذا وراد، فقد سبق إليه ابن الناظم[1]

- ويشبهه أنه في حديثه عن مجيء (أو) للإبهام مثّل ب (وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) (٣/٣٧٨) ولم يصرّح بمراده: أهي الأولى أم الثانية. أم كلتاهما؟ وكلاّ قد قال العلماء، على اختلاف بينهم فيها.

٤- شواهد مشكلة:

- قال في باب (كان) وأخواتها: وتقديم أخبارهن جائز (يريد على الأفعال نفسها) بدليل: (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) و(أنفسهم كانوا يظلمون). (١/٢٤٤). وفي هذا الاستشهاد نظر؛ فإنه مبنيٌّ على قاعدة أن تقدم المعمول يؤذن بجواز تقدّم العامل، وهي – على شهرتها – غير مسلمة عند بعض العلماء، ومنتقَضة[2]. وبعض أدلة النقض مأخوذة عن ابن هشام نفسه. والخير لو استشهد بما هو أصرح من هذا، وأسلم من الاعتراض، وهو قول الشاعر:

مهْ عاذلي فهائما لن أبرحا   بمثل أو أجمل من شمس الضحى[3]

- عن استعمال اسم فاعل من (كاد) و (كرب) وما في ذلك من تحقيق، قال: "واستعمل اسم فاعل لثلاثة وهي: (كاد)، قاله الناظم، وأنشد عليه: (وإنني يقينا لرهنٌ بالذي أنا كائدُ)، و(كَرَبَ)، قاله جماعة، وأنشدوا عليه: (أبنيّ إنّ أباك كارب يومه)..... والصواب أن الذي في البيت الأول: (كابد) ـ بالباء الموحدة ـ من المكابدة والعمل، وهو اسم غير جار على الفعل، وبهذا جزم يعقوب في شرح ديوان كثير، وأن (كاربا) في البيت الثاني اسم فاعل: (كرب) التامة، في نحو قولهم: (كرب الشتاء)، إذا قرب، وبهذا جزم الجوهري". (١/٣١٨-٣٢٢)

---

[1] نقلا عن الأزهري في التصريح ٣/٥٢٦، وكلامه في شرح الألفية فيه التمثيل بالآية كاملة، ولم يعلّق، فهو كابن هشام، وانظر: حاشية محقق التصريح.

[2] التصريح ١/٦٠٦، وحاشية الشيخ عبدالحميد.

[3] (البيت في شواهد التوضيح لابن مالك ١٠٣، والأشموني ١/٢٣٤ لغير هذه المسألة)

والطريف فيه أنّ ابن هشام رجع في كلمة (كارب) إلى قول مَن خالفهم فيها، يقول حفيده: "حكى ولد المصنف -يعني جدَّه ابنَ هشام- عنه أنه رجع بعد ذلك، وكان يقول: الصواب ما قاله ابن مالك، إلا أنّه لم يغيّر ما وقع هنا؛ لأنه قد شاع في النسخ"[1]

- قال عن الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر بعد (نعم) و(بئس):... وقيل: إن أفاد معنى زائدًا جاز، وإلاّ فلا، كقوله: (فنعم المرء من رجل تهامي). (٣/ ٢٧٨) وظاهر كلامه أن البيت شاهد لما لم يفد الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز معنى زائدًا،[2] والحق أنه ليس كذلك، بل هو للأول، وهو ما أفاد.

- استشهد للأوجه الجائزة في النعوت المتكررة بقول خرنق:

لا يبعدَنْ قومي الذين همُ   سُمّ العداة وآفة الجــــــزُرِ

النازلون بكل معتــركٍ   والطيبون معاقد الأزُرِ (٣/ ٣١٤)

لكنه في التعقيب على البيت لم يذكر إلا (النازلون) و(الطيبون). وفي عمله هذا شيئان:

الأول أنه أغفل النعت الأول (الذين). ولعله إنما سكت عنه لأنه مبني لا يظهر فيه إعراب، ولا أثر للإتباع ولا للقطع.[3] ولذلك أهمله تمامًا في النظر إلى اشتراط الإتباع أو القطع في الأول، وجعَل ذلك في (النازلون)، وعدَّه الأولَ (وهذا ظاهرُ عمله وصريحٌ في صنيع الشراح). وهذا العذر على فرض قبوله لا يغني عن الإشارة إلى (الذين)؛ لئلا يُتوهم أنه ليس نعتًا.

الثاني: أنّه عدّ (الطيبون) نعتًا، مع أنه مسبوق بحرف العطف الواو، وهذا شائع في كتب النحو، ومنها كتاب سيبويه[4]، وغيره كثير في هذا الموضع وغيره، والظاهر أنه

---

١ حاشية الحفيد ٢٦/ب.

٢ هذا ما فهمه المكي، وانتقد ابن هشام بسببه. (رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ٨٥/أ.

٣ أورد هذا الشيخ خالد الأزهري في التصريح٣/ ٤٩٤، نحوه في حاشية الصبان٣/ ٦٨.

٤ ٢/ ٦٦.

حينئذ معطوف لا نعت؛ فمن العسير جدًّا تجاهل حرف العطف، وقد سبق لابن هشام أن نبّه على مثل هذا مرتين: أولاهما في تعدّد الخبر، وثانيتهما في تعدّد الحال، فنفى أن يكون ما بعد العاطف من قبيل التعدّد، وخالف في أحدهما ابنَ الناظم. (١/٢٢٨، ٢/٣٣٦) فتأمّل الفرق.

على أنه قد يقال: إن هذه الواو ليست هي العاطفة المعتادة، إنما هي من لوازم القطع ويؤتَى بها لأجله، وهذا ما يفسِّر مجيئها في البيت الذي يلي البيت السابق، وهو قوله:

ويأوي إلى نسوة عطّلٍ وشعثًا مراضيع مثل السعالي

فظاهرٌ فيه أنها ليست عاطفة، فما بعدها منصوب، وما قبلها مجرور، وقد تكون قد عطفت جملة، هي الفعل المقدّر للقطع والنصب ومعموليه.

وقد نصّ الرضي على أنها هي الواو الدالة على القطع والفصل، وأنها حرفٌ أُتي به؛ لأنه نصٌّ في القطع، قال: والواو في النعت المقطوع اعتراضية، نصبته أو رفعته[1] وهذا بحث نفيس يخلو منه كلام ابن هشام الذي أشكل بهذه الواو، وكان الأولى توضيحَ ذلك.

على أنّ ذلك لا يُعفي كلام ابن هشام من احتمال الإشكال؛ فإنه عدّ النعت الأخير في البيت الأول، وهو (الطيبون) نعتا وهو بعد الواو في حالة الإتباع، فإذا كانت الواو تُحتمل في حالة القطع فما حكمها في حالة الإتباع، فالأولى ألاّ يُعدّ ما بعدها حينئذ نعتًا.

- ورُوي البيت:

رضيت بك اللهم ربًّا فلن أرى أدين إلهًا غيرك اللهُ ثانيًا

ونصّ الشيخ عبدالحميد على أن الشيخ خالدًا الأزهري يرويه: (غيرك الله راضيا). (٤/١٢) وكذا فعل في شرحيه الآخرين. والنسخةُ القديمة للمتن تقتصر على صدر البيت فقط، ورواية الشيخ النجار في شرحيه توافق رواية الأزهري، وكذلك في النسخة المخطوطة ٢٦٧٦: ل١٢٢أ، والأخرى ١٤٤:ل٦٠ب. والنص الوارد مع شرح الحفيد ٦٦/ب.

---

[1] شرح الكافية ١/٢/١٠١٠.

٥- عدم ظهور المراد:

- قال عن النكرة: "الاسم نكرة، وهي الأصل، وهي عبارة عن نوعين: أحدهما ما يقبل (أل) المؤثرةَ للتعريف، كـ(رجل) و(فرس) و(دار) و(كتاب). والثاني: ما يقع موقع ما يقبل (أل) المؤثرةَ للتعريف، نحو: (ذي) و(مَن) و(ما) في قولك: (مررت برجل ذي مال) و (بمَن معجبٍ لك) و (بما معجِبٍ لك)؛ فإنها واقعة موقع (صاحب) و(إنسان) و(شيء)، وكذلك نحو: (صهٍ) منوَّنًا؛ فإنه واقع موقع قولك: (سكوتًا).(١/٨٢-٨٣) وقال عن المعرفة: "ومعرفة، وهي الفرع، وهي عبارة عن نوعين: أحدهما: مالا يقبل (أل) ألبتة، ولا يقع موقع ما يقبلها، نحو: (زيد) و(عمرو)، والثاني: ما يقبل (أل) ولكنها غير مؤثرة للتعريف، نحو: (حارث) و(عباس) و(ضحاك)؛ فإنّ (أل) الداخلةَ عليها للمح الأصل بها". (٨٣/١).

فقد اعتمد في التعريف كلِّه على أمرٍ لا علاقة له بالتعريف والتنكير، ولا بتعيين المراد أو عدم تعيينه، وهو قبول (أل)، وذاك أمرٌ لغوي، وثمة أمور تدخلها (أل) ولا تعدّ نكرة؛ لأنّ (أل) عدة أنواع، والقارئ أولاً بحاجة إلى تمييزٍ بين هذه الأنواع، ولمّا يأتِه تأويلُها، فهو إحالةٌ إلى أمر آخر بعيد؛ ولذلك جاء التعريف صعبًا، انتقده فيه حفيده[١]، والمكي[٢] والشيخ خالد الأزهري[٣] من شرّاح (الأوضح).

- ذكر أنه لا يخبر بالزمان عن أسماء الذوات، قال: فإن حصلَت فائدة جاز، كأن يكون المبتدأ عامًّا والزمان خاصًّا، نحو: (نحن في شهر كذا)، ثم استشكل قولهم: (الورد في أيار)، وتأوَّله (٢٠٣/١). ولم يظهر لي وجه التفريق بين هذه الجملة والتي قبلها؛ فالزمان فيها أيضًا خاص؛ فهو محدّدٌ في شهر معيّن مسمًّى، وقد يكون السبب أن ابن هشام لم يرَ فيها وفيما بعدها أن المبتدأ عام، ولا أدري كيف لا يكون (الورد) عامًّا، في

---

١ راجع نقدًا له عند حفيده في حاشيته على التوضيح ١٠أ، ب

٢ رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ١٢/ب.

٣ التصريح ٣٠٣/١-٣٠٤.

حين أنّ (نحن) عامّ، وقال الدماميني: "لا أدري كيف يصحّ التمثيل ب(نحن) لاسم العين العام، ولم يتضح لي المراد بذلك إلى الآن"[1]، واستشكل ذلك أيضًا المكي[2]، ونقل عن الناظم قوله: إن العموم لا يعقل في (نحن)، ثم ذكر له تأويلاً بعيدًا عن بعض الشيوخ.

ونقل يس عن اللقاني عن الرضي أنّ من الأعيان المخبر عنها بالزمان نوعًا يشبه المعنى في تجدّده وقتًا دون وقت، منه (الورد)؛ فلا ضرورة فيه إلى تقدير مضاف، قال: وهذا هو التحقيق فليُتأمّل.[3]، والذي عند الرضي التمثيل ب(الليلة الهلال)[4] ولا أجد فرقًا بينهما، وهو دالٌّ على جواز: (الورد في أيار) دون تأويل. وإطلاق هذا الحكم من قبله عند ابن مالك في التسهيل[5]، ومثّل له في الشرح ب(الرطب) و (الكمأة)[6]، وهما لا يختلفان عن (الورد)[7] وصرّح ابن الناظم بالمثال الذي منعه ابن هشام إلا بتأويل، وهو: (الورد في أيّار)[8]. وأجاز أبوحيان الإخبار بظرف الزمان عن الأعيان إذا وصفته وجررته ب(في)[9]، و(أيّار) في مثال مسألتنا الذي منعه ابن هشام إلا بتأويل– ينطبق عليه شرطُ أبي حيان؛ فقد جُرَّ ب(في)، وهو أولى من الزمان الموصوف؛ فهو أكثر منه تعريفًا وتعيينًا؛ فإنه عَلَمٌ.

ولو أن ابن هشام أجاز بعض ما منعَ تبعًا لهؤلاء العلماء ولهذه القواعد الجيدة التي تراعي المعاني وتستحضر الفائدة، أو أنه أطلق الأمر بالجواز، كما أطلقه بعض العلماء – لكان أيسر وأظهر.

---

[1] تعليق الفرائد ١١٤/٣، وانظر: حاشية يس على شرح القطر للفاكهي٢٤٦/١

[2] في رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ٢٥/ب.

[3] حاشية يس ١٦٧/١

[4] شرح الكافية ٢٨٢/١/١.

[5] ٤٩

[6] ١٣٩/١٦.

[7] وانظر: توضيح المقاصد ٢٨٢/١، وشرح الألفية لابن الناظم ١١٢.

[8] شرح الألفية ١١٢.

[9] الارتشاف ٥٦/٢

وقد يكون وجه التفريق بين (نحن) و (الورد) عند ابن هشام ومتابعيه أنّ (الورد) يحتمل احتمالات كثيرة، فلا يُدرى عن أيها الإخبار: أعن زراعته أم ظهوره أم بيعه؟ أمّا (نحن) فالمراد بها الكون المطلق، وهو الوجود الذي لا يحتمل تفصيلات، فليس في الإخبار عنه إلباس، لكنّ ذلك غير ظاهر، والأولى بيانه، مع أنّ (الورد) ظاهر فيه أن المقصود ظهوره؛ فلا وجه لمنعه، ولا حاجة لتأويله.

- قال عن خبر (لا) النافية للجنس: "وإذا عُلِم فحذفه كثير.... ويلتزمه التميميون والطائيون" (٢/ ٢٩) والمشكل مرجع الضمير (ويلتزمه)، وقد أورد الشيخ عبدالحميد فيه تأويلين، أحدهما – وهو الذي فسّر به الشيخ خالد الأزهري كلام ابن هشام – أنّ المراد أنهم يلتزمون حذف الخبر إذا كان معلومًا، وهذا هو المشهور عنهم في كتب أهل العلم[1]، ولكن الزمخشري عزا إليهم غير ذلك، أنهم يحذفونه مطلقًا.[2] وكلام ابن هشام غير ظاهر المراد، مع أن الاحتمالين كليهما واردان في أقوال العلماء.

- تكرّر عند ابن هشام في كتابه هذا أن يقول: (أن يُحصَر) (٢/ ١٢٠) أو (أن يكون محصورًا) (٢/ ١٢٩، ٢/ ١٨٣، ٢/ ١٨٤ (موضعان)، ٢/ ٣١٨، ٢/ ٣٢٤، ٢/ ٣٢٦ وغيرها.

ويُخشى عليه في هذه المواضع أن يوصف بأنه عكَسَ المراد، فإن مراده: (أن يُحصر فيه) و (أن يكون محصورًا فيه)، ومن المعلوم البيّن أنّ ثمة محصورًا ومحصورًا فيه في مثل قولك: (إنما أنت كريم) وهما مختلفان، بل متباينان متقابلان.

وابن هشام في هذا الاستعمال متأثر بمتن الألفية في بعض المواضع، ولا ريب أن قوله صحيح على وجهٍ من التجوّز، وقد صرّح ابن هشام في كتاب له آخر أنّ بعض

---

[1] شرح الجزولية الكبير ٣/ ١٠٠٥، شرح الجمل لابن عصفور ٢/٢٧٣، المقرب ١/ ١٩٠، التسهيل ٦٧، شرحه ٢/ ٥٦، شرح الكافية الشافية ١/ ٥٣٥، توضيح المقاصد ١/ ٣٧٣، المساعد ١/ ٣٤١، شرح ابن عقيل للألفية ١/ ٤١٣.

[2] المفصل ٣٠ ينقله عن بني تميم، وانظر شرحه لابن يعيش ١/ ١٠٧، وحاشية الشيخ عبد الحميد على التوضيح، وحاشية محقق التصريح.

النحويين يتجوّز في العبارة، فيسمي المحصور فيه محصورًا[1]. وحاول اللقاني الاعتذار عن ابن هشام، لكنه وقع في التكلُّف البعيد.[2]

- قال في مرجحات نصب الاسم المشغول عنه على الرفع: ومنه (حيث)، نحو: (حيث زيدًا تلقاه فأكرمه)[3] قال: "كذا قال الناظم، وفيه نظر". (١٦٨/٢)، ووجه الإشكال هنا، أنه لم يبيّن وجه النظر، فالظاهر أنه أراد الموضع نفسه وهو (حيث)، لكن يُشكل على هذا الظاهر أنّ هذا هو رأي ابن هشام أيضًا في المغني، وأتى فيه بمثال آخر[4] وقد لا يخطر ببالك،وقد يفاجئك أنّ توقف ابن هشام في المثال فقط، لا في القاعدة نفسها، وهذا ما أورده الشيخ خالد[5]، والأمر مختلف، ومراد ابن هشام غير ظاهر.

- وكان حديث ابن هشام عن جرّ التمييز ب(مِن) في غاية الإشكال، وانتقده الشراح في مواضع منه، يقول: "ويجوز جر التمييز ب(مِن)، ك(رطل من زيت)، إلا في ثلاث مسائل: إحداها: تمييز العدد، ك(عشرين درهمًا). الثانية: التمييز المحوّل عن المفعول، ك(غرست الأرض شجرًا)، ومنه: (ما أحسن زيدًا أدبًا) بخلاف: (ما أحسنه رجلاً). الثالثة: ما كان فاعلاً في المعنى إن كان محوَّلاً عن الفاعل صناعة، ك(طاب زيد نفسًا)، أو عن مضاف غيره، نحو: (زيد أكثر مالاً)، إذ أصله: (مال زيد أكثر)، بخلاف: (لله دره فارسًا) و(٠٠٠٠أبرحت جارًا)؛ فإنهما وإن كانا فاعلين معنى، إذ المعنى: (عظُمتَ فارسًا) و(عظُمتَ جارًا) إلا أنهما غير محولين، فيجوز دخول (مِن) عليهما، ومن ذلك: (نعم رجلاً زيدٌ)، يجوز: (نعم من رجل)، قال: (.... فنعم المرء من رجل تهامٍ)". (٣٦٧/٢-٣٦٩).

ولقد وجدتُ عُسْرًا شديدًا في ترتيب هذه المسألة وعرضها، وعنتًا كبيرًا في فهمها، وتقييدُ ثالثة المسائل هو الذي زادها عنَتًا، ويقول المكي في شرحه ل(الأوضح): إنه "لم

---

١ تخليص الشواهد ٤٨٦، وراجع حاشية الصبان ٥٦/٢، وحاشية محقق التصريح ٢٩٠/٢ ح:١.

٢ (حاشية يس ١/ ٢٨٢، وحاشيته على شرح القطر للفاكهي٧٠/٢).

٣ وقع فيها خطأ مطبعي، كما سبق.

٤ المغني ١٣٢/١، وانظر: رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك)٥١/أ، والتصريح ٣٦٩/٢.

٥ التصريح ٣٦٩/٢، وجزم به الشيخ عبدالحميد.

يَذكر هذا الشرطَ غيرُه فيما رأيت"! و"إنه يحتاج في ذلك إلى سلَف".[1] ولعلّ الأيسر والمناسب في التعليل وربط هذا الفصل بأصل الباب وجميع تقسيماته أن يقال: إنّ التمييز نوعان: مفرد (ذات)، أو نسبة (جملة)، فالأوّل بعد أربعة أنواعٍ من الأسماء المبهمة (قُرِّرتْ بوضوح في الباب)، وكلها يجوز جرُّها ب(مِن) ما عدا العدد؛ لأنّ العدد متعدّد، وليس ذاتًا واحدة اسمَ جنسٍ؛ فتأتي (مِن) البيانية لتبيينها. وأمّا الثاني (وهو تمييز النسبة: الجملة) فقد ذكر المؤلف من مواضعه أربعة أيضًا: أن يقع بعد ما يفيد التعجب، وبعد (أفعل) التفضيل، وأنه إمّا أن يكون في نسبة الفعل للفاعل، أو للمفعول (والحق أنّ هناك نسبة غيرهما) فيقال: إن هذه الأنواع الأربعة كلها لا يجوز جرّها ب(مِن) إلا بعد التعجّب، وما يشبهه من أفعال المدح والذمّ، فيشمل:نحو: (عظُمت من جار) و (نعم المرء من رجل) و (لله درُّه من فارس) و (ويالها من امرأة) و (ويحه من بطلٍ) لأن التعجب إبداء الإعجاب بشيءٍ من جهةٍ مّا، فتأتي (مِن) لبيانها، مع التنبيه إلى أنّ ما كان فيه معنى التعجّب وهو في الأصل محوّلٌ عن مفعول، مثل: (ما أحسن زيدًا أدبًا) أنه لا يجوز جرّه ب(مِن)؛ لأنه داخلٌ في المحوّل عن مفعول، وقد سبق عدُّه من الأمور التي لا يجوز جر تمييزها.

- ذكر من أنواع الإضافة نوعًا يفيد تخصّص المضاف دون تعرّفه، قال: وضابطه أن يكون المضاف متوغلاً في الإبهام ك(غير) و(مثل)، إذا أريد بهما مطلق المماثلة والمغايرة، لا كمالُهما. (٣/٨٧)

وللإشكال هنا محلاّن: الأول: أنه سيُتساءل عن هذا النوع والفرقِ بينه وبين ما سبق تقريره قبله مباشرة، وهو النوع الذي يفيد تخصّص المضاف بالمضاف إليه، والملحوظ أنه استعمل مصطلح (التخصص) في الموضعين، وكان الأولى الإشارة إلى فرقٍ بينهما، وبينهما فرق، فالأول في الذكر في الكتاب مرجعُ تخصيصه إلى أن المضاف إليه نكرة،

---

[1] رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ٦٨/ب. مع أنه أثنى كثيرًا على فهم الشيخ في بعض تفصيلاًت هذه المسألة.

فنكتة التقسيم ترجع إلى المضاف إليه، وأما الثاني فسبب التخصيص فيه لا يرجع إلى المضاف إليه، بل إلى المضاف، فهو الذي لسببٍ فيه لا يقبل التعريف، ولا يقبل إلا التخصيص؛ لأنه موغل في الإبهام.

أمّا المحل الثاني للإشكال فأنه أشار إلى مطلق المغايرة والمماثلة، وأشار أيضًا إلى كمالهما، ولم يمثّل للثاني ولم يبيّن حكمه صراحة، ولم يبيّن المراد بهما ولا الفرقَ بينهما، وكل هذا حجَب شيئًا مهما من أمر المسألة؛ فكانت من المسائل المشكلة.

وقد قال المكي شارح (الأوضح): "وقد غرّب –رحمه الله– باستعمال هذه اللفظة، ولم أرها في كلام غيره، فإنْ أراد بها ما قاله السيرافي فذاك، وإن أراد ما قاله ابن مالك.... فبعيد".[1]

- ضبط الإضافة التي تكون بمعنى (في) بما يكون فيها الثاني ظرفًا للأوّل. (٣/٨٦)

ولا ريب في صحة هذا، لكن يُشكل عليه في بعض الفهوم نحوُ: (حصير المسجد) و(قنديله)، فالمضاف إليه ظرف للأول، وقد جاء بهما ابن هشام مثالين على الإضافة بمعنى اللام، وليس (في).

وجواب هذا وتبيينه ما ذكره ابن الحاجب من أنه يُشترط في هذا القسم أن يُقصد بالإضافة بيان الظرفية، بخلاف ما إذا قُصد بالإضافة إلى الظرف بيان الاختصاص.[2] وإن تأمّلت وجدت حديث ابن هشام لا يخالف هذا، ولكنه غير ظاهر، وهو محل سؤال.

- أجاز في الضمير من: (الضارباك) و (الضاربوك) أن يكون في موضع نصب، أو في موضع خفض. (٣/١٠١) أمّا كونه في محل جرّ فظاهر؛ ولأجله حُذفت نون التثنية والجمع للإضافة، غير أنّ النصب مشكل؛ فحذف النون دليل على الإضافة، والعلماء يقولون: إن النون إن قدِّرت النصب لم تُحذف للإضافة، بل للتخفيف. وهذه علة لم تُعهد في هذا الباب الذي وردت فيه، بل إنه منذ أول هذا الباب والمقرر أن الإضافة تسبّب حذف النون، فيكون

---

١ رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ٧٢/ب.

٢ الكافية ٢/٥٩٠، الأمالي ٢/٥٦٣، ٣٨٧.

هذا مفسدًا للقاعدة في ظاهرها. وكان الأولى الحكم بأن الضمير في محل خفض، وقد أصرّ على هذا الإعراب الجرمي والمازني والمبرد في أحد قوليه والزمخشري[1]، ولسنا بحاجة إلى تكلف إعرابٍ إلا إذا لم نجد إلا سبيلَ التكلف، أما وقد وجدنا وجهًا وجيهًا فلا حاجة لمزاحمته بآخر ليس كذلك.

- جاء في تأويل الإضافة في: (سعيد كرزٍ) بتأويل بعيد شاق على الناظر فيه، وهو أن المراد بالأول المسمّى، وبالثاني الاسم، أي: جاءني مسمّى هذا الاسم. (١٠٨/٣). وهل لغة العرب تحتمل مثل هذا؟، وكيف ذهب بمعنى (سعيد) ودلالته وألغاها؟، وهو العلم المعرفة الذي قد يكون أعرف ممّا بعده، لا يمكن قبول التأويل إذا كان بعيدًا في المعنى، فما بالك بهذا الذي أعجبُ كيف خطرَ ببال قائله؟ ويشتدّ العجبُ إذا علمتَ أنّ هذا التأويل ليس في وجهٍ نادر أو كلمة شاردة، بل هو الوجه الذي يوجبه البصريون في العلمين المفردين إذا اجتمعا، وأحدهما اسم والآخر لقب. وهذا تأويلهم للغة القياسية وتفسيرهم للتركيب المشهور! ولو تطلّبت من شراح ابن هشام توضيحًا لما في (توضيحه) لوجدت ما هو أشقّ من هذا وأبعد.[2]

- ذكر في تأويل قول بعضهم: (تركُ يومًا نفسِك وهواها سعيٌ لها في رداها) أنه من قبيل إضافة المصدر (ترْك) إلى فاعله (نفسك)، والفاصل الظرف (يومًا). (١٧٩/٣–١٨٠) مع أنّ المتبادر إلى الأذهان أنّ المعنى: (أن تترك أيها الإنسان نفسَك وهواها سعيٌ لها في رداها)، فـ(النفس) هي المفعول به، وليست الفاعل.

وابن هشام لم يشرح وجه ما أراد، لكن الشراح هم الذين فعلوا، فقالوا: المعنى: (أن تترك نفسُك شأنَها يومًا مع هواها سعيٌ...)[3] وتأولَ آخرُ: (أن تترك نفسُك إياك)[4]

---

[1] شرح الرضي١/٢/ ٩١٠، التصريح٣/١٢٦.

[2] كما في: التصريح ١٣٣/٣.

[3] التصريح ٢٢٦/٣–٢٢٧.

[4] حاشية الحفيد ٥٤أ– ٥٥أ. وانظر: حاشية يس ٥٨/٢.

ففرّق بين المرء ونفسِه! وأجاب عن إيرادٍ: لماذا قال: (وهواها) ولم يقل: (وهواك)، وهو المناسب للمخاطب؟ قال: لما كان (إياك) و (نفسك) عبارة عن شيء واحد صحّ أن يقول: (وهواها)!!![1]

ولو أنهم تركوا هذا الثقيل كلَّه، وادّعوا أنه من قبيل الإضافة إلى المفعول وحذف الفاعل، والأصل: (تركك يومًا نفسَك وهواها سعيٌ...)[2] – لكان أظهر، فهو مثل: (لا يسأم الإنسان من دعاء الخيرِ). ولو أن ابن هشام أيضًا ترك هذا المثال المشكل إلى خيرٍ منه، وهو جزء من قول الشاعر في شاهد نحوي مشهور: (.... لله درُّ اليومَ مَن لامها)[3]– لكان أحسن وأولى، مع أنه لن يظهر كيف أضيف المصدر إلى فاعله.

- قد يستعمل ابن هشام في بعض المواضع اسم الإشارة، ولا يتبيّن المشارُ إليه، حتى لقد قال شارحه المكّي عند أحد المواضع التي خفي فيها المشار إليه: "ولقد أولِع –رحمه الله– في هذا الكتاب بالإجمال والإبهام والإحواج إلى مراجعة الكتب المطولة".[4]

- كما ورد عنده استعمال الضمير وعدم استعمال الاسم الصريح، وهذا كثير في (الأوضح) وفي الكتب المتقدمة، فتكثر الضمائر المستترة التي تحوج إلى بيان مرجعها، وقد تخفى، وقد يختلف في تقديرها الشرّاح، فقد يعيد الضمير إلى غير القريب منه السابق له مباشرة، كما في قوله: "أن تكون الصفة ب(أل) والمعمول مجردًا منها ومن الإضافة إلى تاليها". (٣/٢٤٩) يريد: من الإضافة إلى تالي (أل). وكلامه غير ظاهر، وكما في قوله في التوكيد اللفظي للحروف: "وأشذُّ منه قوله:..." يريد: أشذّ من البيت الأول، وليس من البيت الثاني الذي قبله مباشرة. (٣/٣٤٢)، وعطَف مثالاً يريد له النصب عطفًا على مثال سابق،

---

١ المرجعان السابقان.

٢ ورد في التصريح ٣/٢٢٧، الصبان ٢/٢٧٦.

٣ حاشية التصريح٢/٥٨.

٤ رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ١٠٠أ–ب.

ولم يُرد العطف على ما قبله مباشرة المحكوم له بالرفع، ويدل على ذلك إعادة الجار معه، لكن ذلك قد لا يكفي لفهم المراد، حتى إن الشيخ عبد الحميد على بلوغه الغاية في العلم والفهم قد حسِبها معطوفة على ما قبلها مباشرة، فضبطها هي وما بعدها بالرفع، مع أنها تستحق النصب، حملاً على ما عُطفتْ عليه. (١٧٧/٤).

- قال: يجوز بكثرة حذف المنعوت إن عُلم، وكان النعت إما صالحًا لمباشرة العامل، نحو: (أن اعمل سابغات) أي: دروعًا سابغات، أو بعض اسم مقدم مخفوض ب(من) أو (في). (٣١٨/٣–٣١٩) وتقدير العاطف (أو) مشكل وغامض، فظاهر الألفاظ أنه عطفٌ على: (وكان النعت إما صالحًا)؛ لأنه أراد التفصيل، وهذا المناسب له، وهو الأقرب في اللفظ، لكن الحقيقة أنه أراد تقدير: (أو كان المنعوت) فجعله عطفًا على أول الفصل، مع أن المعطوف عليه لم يكن ظاهرًا في اللفظ، لكن يدل على مراده هذا الأمثلة بعد ذلك وكلامُ الشراح الذين صرّحوا بذلك، كما فعل حفيده.[1]

- حكَم في قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر..﴾ أنّ (لمن) بدلٌ من الضمير في (لكم) بدلَ بعض.(٤٠٥/٣) ومثله تمامًا حكمُه في قوله تعالى: "تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا" أنّ (لأوّلنا) بدلٌ من ضمير المتكلم في (لنا). (٤٠٧/٣) هكذا أطلق القول، وعلى هذا أكثر أعاريب المتقدمين، يكتفي ويكتفون بأنها بدل، ولم يفصلوا في شأن هذه اللام الثانية، وقد يتوقف الناظر فيها، فالضمير الثاني في الموضعين في موضع جرّ بحرف الجر اللام، وهو عامل الجرّ في الضمير حسب الظاهر، وليس الإتباع، وكيف تكون وهي كلمتان: جار ومجرور بدلاً من كلمة واحدة هي الضمير، فهل اللام زائدة في البدل، أو هي توكيد لفظي للأولى، وهل الإعادة واجبة أم جائزة؟ ونقل يس العليمي عن بعض الفضلاء أنه كيف يكون بدلاً مع وجود العامل ملفوظا به، والبدل على نية تقدير العامل.[2]

---

١ حاشية الحفيد ٦١/ب.

٢ حاشية التصريح ١٦٠/٢.

كل ذلك لم يبيّنه ابن هشام، والذي أستحسنه في هذه المسألة وأستيسرُه ألا تورد هذه المسألة على أنها من البدل، فإن فيها عاملاً لفظيًّا صريحًا أقرب من البدل، أو أن يبيِّن بوضوح شأنُ هذه اللام.

- في عطف الفعل على الفعل ذكر تفصيلاً جيدًا، لكنه لم يبيّن: هل المراد عطف الفعل فقط، أم عطف الفعل وفاعله المستتر أو البارز، فيكون من باب عطف الجمل، الظاهر من كلامه الأول، وهو الأحسن، مع أن من العلماء مَن أنكره، ولكنهم مخالَفون ومحجوجون.

ويبقى الموضع محلَّ إشكال إن لم يُعالَج بالتصريح، ولذلك يُستشكل العطف في (فالمغيرات صبحا فأثرن) ويزول الإشكال لو قيل: إن المراد عطف الفعل دون فاعله.[1]

٦ – أن يلزم على بعض قوله لوازم غير صحيحة:

- وصَف (هذان) و (هاتان) بأنهما معربان. (٣١/١) وهذا يقتضي أنهما مثنيان حقيقة، وقوله بعدُ في الموضع نفسه: (لمجيئهما على صورة المثنى) يقتضي أنهما ليسا بمثنيين حقيقة، قال الشيخ خالد الأزهري: "وإذا جُمع بين طرفي كلامه أنتج كونهما معربين مع عدم تثنيتهما، وهذا قول ثالث لم أقف عليه".[2]

- قال: "و(ذو) ملازمة للإضافة لغير الياء". (٤١/١) وظاهره – كما يقول حفيده – أنها قد تضاف لضميرٍ سوى الياء.[3] مع أنّه في باب الإضافة صرّح أنّها مختصة بالإضافة إلى الأسماء الظاهرة. (٣/ ١١٢).

- أطلق ابن هشام القولَ فأشكلَ، وذلك حين تحدّث عن فتح نون المثنى بعد الياء في لغةٍ، ثم قال: "وقيل: لا يختص بالياء" (١/ ٦٤) ومراده ظاهر في الألف، على لغة مَن

---

١ راجع: النحو الوافي ٣/ ٦٤٨.

٢ التصريح ١٨٧/١، والجواب عنه في حاشية يس ٥٠/١.

٣ حاشية الحفيد ٤ /أ. وذكر أن الواجب العملُ بما صرّح به في باب الإضافة، لأنه إذا تعارض المفهوم والمنطوق قُدِّم المنطوق. (٥٣/ب).

يلزم المثنى الألف؛ لأنه استشهد لذلك، لكن كلامه أيضًا يحتمل شيئين اثنين، قدّرهما وأنكرهما عليه الأزهري، وقال: إنه لم يقف عليهما في نصٍّ صريح يعتمد عليه، ولا شاهد يُستند إليه، وهما: الفتح بعد الألف إذا كانت علامةَ رفع، في نحو: (جاء الرجلانَ)، وفي نون (اثنين) و (اثنتين)[1].

- ذكر أن من أسماء الإشارة إلى المكان (هنالك) (١٣٧/١) وقد يُفهم منه أنها لا تكون إلا له، ولا تكون للزمان، وهذا ما صرّح به الشارح المحقق الشيخ عبدالحميد في الموضع نفسِه، وعلى هذا فالموضع مشكل؛ لأنه قد ورد استعمالها في الزمان في مثل قوله تعالى: "هنالك دعا زكريا ربه"، و "هنالك ابتلي المؤمنون"، و "وخسر هنالك الكافرون"؛ فإن هذه الآيات الثلاث تحتمل الزمان والمكان، والزمان فيها ظاهر، بل هو الأظهر، وعليه كثيرٌ من المفسرين. ومن الآيات التي لا يرد فيها إلا إرادة الزمان قوله تعالى: "فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون" وكذا قوله تعالى: "هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت" فإن قبلها قولَه تعالى: "ويوم نحشرهم".

- حكم ابن هشام في باب التعدي واللزوم أنه يجب تقديم المفعول الأول على الثاني إذا كان الثاني ظاهرًا والأول ضميرًا. (١٨٦/٢) قال المكي: معناه وجوب تقديم المفعول الذي هو ضمير على المفعول الذي هو ظاهر، فيلزم تأخيره، وليس كذلك، نعم، يجب تقديم الضمير لأنه أمكن الاتصال، فلا يعدل عنه إلى الانفصال، وأمّا المفعول الظاهر فأنت بالخيار: إن شئت قدّمته عن الفعل وإن شئت أخرته عن الأول، وهذا الاعتراض نظير ما اعترض به ابن هشام على الناظم في باب الفاعل، عند قوله:

وأخّر المفعول إنْ لبسٌ حُذِر   وأضمر الفاعل غير منحصر

فسبحان مَن لا يغفل ولا ينسى ولا يذهل.[2]

---

١ التصريح ٢٦٤/١)

٢ رفع الستور والأرائك ٥٣/أ.

- إذا تعددت الحال وكانت مختلفة فُرِّقَتْ بغير عطف، ويقدّر الأول للثاني وبالعكس، واستشهد ابن هشام بقول الشاعر: (عهدت سعاد ذات هوى معنى)، ثم قال: "وقد تأتي على الترتيب إن أُمن اللبس، كقوله:...." (٢/ ٣٣٧-٣٣٨)، وهو في المغني أظهر[1]، وكلامه هذا يوحي بأنّ أمن اللبس إنما هو في البيت الآتي، وأنّ البيت الذي أُنشدَ قبلُ لم يؤمن فيه اللبس، فحُكِم أن أول الحالين لثاني الصاحبين، وأن ثاني الحالين لأول الصاحبين، ولكن هذا غير دقيق؛ فالبيت الأول قد أُمن فيه اللبس أيضًا، فالحال الأولى (ذات هوى) وتأنيثها يقطع بأن المراد (سعاد)، و(مُعَنَّى) المذكر للمتكلم المذكر.

- قال: وينفرد اسم المفعول عن اسم الفاعل بجواز إضافته إلى ما هو مرفوع به في المعنى. (٣/ ٢٣٢-٢٣٣) ويُفهم منه أنّ اسم الفاعل لا يُضاف إلى مرفوعه. وهذا غير دقيق؛ فإنّ اسم الفاعل إذا كان مشتقًا من فعل لازم يجوز إضافته إلى مرفوعه، نحو: (محمد ماضي العزيمة، قائم الأبِ نافذُ القول)[2]، وفي هذه المسألة إشكال آخر، ولها عودٌ ثانٍ.

- قال متّبعًا لفظ الألفية فيما تختص به الصفة المشبهة عن اسم الفاعل: إنه يلزم كونُ معمولها سببيًا. (٣/ ٢٤٨) ولا أجد في كلام ابني هشامٍ ومالكٍ حرجًا، غير أنّه قد يفهم أنّ معمولها لا يكون إلا سببيًا ظاهرًا، كما يوهمه ظاهر العبارة، ويكون التساؤل: ألا يمكن أن يكون معمولها ضميرًا مستترًا، مثل: (محمد حسنٌ) أي (هو). وهذا في غاية الظهور. ولعل الأولى في رأيي ضبطًا للعبارة أن يقال: إنها إذا عملت في ظاهر لزم أن يكون سببيًا، أي: متصلاً بضمير موصوفها، إمّا لفظًا أو معنى. وعبّر ابن هشام في شرح القطر بتعبير مختلف لا يلزم عليه الإشكال، وهو قوله: إن معمولها لا يكون أجنبيًا.[3]

---

١ ٢/ ٥٦٤-٥٦٥

٢ نبّه على ذلك المكي في شرحه: (رفع الستور والأرائك عن مخبّآت (أوضح المسالك) ٨١/ب). وانظر: تعليق الشيخ عبدالحميد.

٣ شرح القطر ٢٧٧، ٢٧٩.

- في تعريف البدل قال: (هو التابع المقصود بالحكم) قال حفيده: قد يُفهم منه أنّ المبدل منه غير مقصود، وهذا غير دقيق، وإن قاله بعض العلماء؛ لأن ابن هشام نفسَه سينصّ بعدُ على ذلك، فيقول: (وإن كان قصد كل منهما صحيحًا)، قال الحفيد: وإنما المراد بالنظر إلى بقية التوابع، وإلاّ فالجميع الأول منه مقصود.[1] وسيأتي إشارة إلى شيء من ذلك.

٧- أن ينقص أمورًا في بعض المسائل:

- ذكَر في علامات الجر أن المراد به الكسرة التي يحدثها عامل الجر (١/١٣-١٤). وقد يعني ذلك الاقتصار عليها، دون غيرها من آثار الجرّ وعلاماته، كالياء والفتحة، وكان الأولى التعبير بعلامات الجرّ عامة، ولعله إنما أراد أشهرها وأسهلها. (ستجد انتقاد ابن هشام وجوابًا عنه وبحثًا جيدًا في حاشية يس ١/٣٠)

- قال عن تنوين الترنم: إنه اللاحق للقوافي المطلقة، وعن التنوين الغالي: إنه اللاحق للقوافي المقيدة. (١/١٥، ١٧). وحفيده يرى أن يزيد بعد ذكر القوافي: (الأعاريض)؛ لأنّ التنوين يلحقها، كما في البيتين اللذين استشهد بهما.[2] وأمر هذه سهلٌ جدًّا، فابن هشام إنما أراد حيث يكون من المناسب الإتيان بصوت التنوين، آخر البيت أو نهاية الشطر.

- ذكر أن أنواع البناء أربعة فقط، وذكر الحركات الثلاثَ والسكون. كأنه يحصرها فيها حين قال: "وأنواع البناء أربعة".(١/٣٨) والمعروف الذائع أنها أكثر من ذلك، فثَمّ المبني على حذف النون، وعلى حذف حرف العلة، وعلى الألف، وعلى الياء. ولعل هذا ما أوهم بعض الطلاب أن يقول في نحو: (اُدعُ): إنه مبني على الضم، وإن (اذهبوا) مبني على السكون، ودعاهم إلى ألاّ يعرفوا شيئًا إذا سُئلوا عن (يا رجلان) أو (لا رجلين) أو يقولوا: إنهما مبنيان على الكسر!

---

١ حاشية الحفيد ٦٥/ب

٢ حاشية الحفيد ٢/ب.

وقد يُعتذَر بأن ابن هشام –رحمه الله– ذكر الأشهر، أو بأنه سبق ذكرُ بعض ذلك، وسيأتي ذكرُ باقيه في أبوابه، منها ما هو في الجزء الثاني، ومنها ما هو في الرابع، ولكن هذا مخالف الأولى، إذ الأحسن أن تُجمع الأنواع في مكان واحد؛ ليتلقاها المتلقي بأمثلتها، ويقارن بينها في مقدمات العلم، لا أن يلتمسها في أبواب متناثرة.

- كما أنه مواضع استتار الضمير وجوبًا، ولم يذكر منها ضمير المصدر النائب عن فعله، نحو: (ضربًا زيدًا)، (٨٧/١) ولم يقبل المكي أن يُعتذَر عنه بأنه داخل في فعل الأمر؛ وذلك للفرق بينهما.[١]

- في باب نائب الفاعل قال: إنه إذا حُذف الفاعل فإنه ينوب عنه في رفعه، وعمديته، ووجوب التأخير عن فعله، واستحقاقه للاتصال به، وتأنيث الفعل لتأنيثه واحد من أربعة أمور. (١٣٧/٢) والملحوظ أنه اقتصر على خمسة من أحكام الفاعل، والحقّ أن نائب الفاعل يُحكم له بجميع أحكام الفاعل السبعة كلها، وليس بهذه الأحكام الخمسة فحسب، وقد بقي من أحكام الفاعل الحكم الرابع: أنه يصحّ حذف فعله إن أجيب به نفي..... والحكم الخامس: أنّ فعله يوحَّد مع تثنيته وجمعه. ولا فرق في هذين الأخيرين بين الفاعل ونائبه.

وابن هشام في القطر يقول: فينوب عنه في أحكامه كلها[٢]. وقد أعجبتْ هذه العبارةُ الفاكهيَّ فيه، وفضّلها على عبارته هنا، قال: "وهذه العبارة لعمومها أحسن من عبارته في (الأوضح)".[٣] وانتقد حفيدُ ابن هشام جدَّه؛ لأنه هنا أخلّ بحكمين من الأحكام لم يذكرهما، قال: "ولو قال: (فينوب عنه في جميع أحكامه) لكان أخصر وأظهر".[٤]

---

١ وشرح ذلك في رفع الستور والأرائك عن مخبآت (أوضح المسالك) ١٣/أ.

٢ شرح القطر له ١٨٧.

٣ شرح القطر للفاكهي ٧٥/٢.

٤ حاشية الحفيد ٣٥/أ.

- ذكر أنّ الحال يجب أن تتأخّر عن صاحبها ومثّل بموضعين. (٣١٨/٢). والحقّ أنها أكثر من ذلك، فكل المواضع التي ستُذكر بعدُ في وجوب تأخر الحال عن عاملها داخلة فيه أيضًا. (نبّه على ذلك الشيخ عبد الحميد في حاشيته مرتين: ٣٢٠/٢، ٣٢٨)

- قال: إنّ (قبل) و (بعد) معرفتان إذا ذُكر المضاف إليه بعدهما صراحة، أو حُذف ونُوي ثبوت لفظه؛ فكأنه موجود. (١٥٩/٣) ولم يرتض اللقاني هذا الإطلاق، ورأى أن يقيّدا بكون المضاف إليه المذكور أو المنويّ معرفة، بخلاف ما إذا كان نكرة؛ فلا يتعرّفان[1]. وهذا حق. وأنا أذهب إلى أبعدَ من هذا، وأتساءل عن وجه تعريفهما، حتى لو كان المضاف إليه معرفة؟ أليست (قبل) و (بعد) من الألفاظ المبهمة التي لا تقبل تعريفًا، بل تقتصر على التخصيص؛ لأنها موغلة في الإبهام، فهي مثل: (مثل) و (غير) التي سبق لابن هشام أنْ حكم أنهما لا يتعرّفان مهما كان المضاف إليه. (٨٧/٣)، ولا أرى فرقًا بين هذه الأسماء؛ فإنّ (قبل) و (بعد) لا تقبل التعريف، فكلمة (قبلك) و (بعدك) تدلّان على أيّ شيء سواك، من كلتا جهتيك: التي قبلك والتي بعدك، وأؤيّد هذا بدليل لفظي، وهو أنه لا يوصف بهما إلا النكرة، نحو: (مررت برجلٍ قبلِك) ولا يقال: (مررت بالرجل قبلِك) على القول: إنهما متوسطا التصرف[2]. ويمكن الاحتجاج بهذا على فرض عدم تصرّفهما وكونهما ظرفين. فإنهما لا يكونان بعد النكرة إلا صفةً.

- حين أحصى الفواصل التي تفصل بين المضاف والمضاف إليه، ولا تجوز إلا في الشعر أحصى منها الفصل بالأجنبي، ويعني معمول غير المضاف، قال: فاعلاً كان كقوله:

أنجب أيامِ والداه به إذ نجلاه فنعم ما نجلا (١٨٦/٣)

والفاصل بين المضاف (أيام) والمضاف إليه (إذ) ليس الفاعل فحسب، بل معه الجار والمجرور[3] وهو أجنبي عن المضاف. وقد يُجاب عنه بأنه هو وعامة من استشهدوا كابن

---

١ حاشية يس) ٥٠/٢.

٢ شرح الرضي ٢/١/ ٥٩٨، الهمع٣/ ١٩٩.

٣ راجع حاشية الحفيد ٥٥/أ.

جني[1] وابن مالك[2] وابنه[3] والمرادي[4] – بالبيت تركوا الجار والمجرور، وأهملوه في الذكر بعد الفاصل الأهم، وهو الفاعل، ولو كانت وحدها ربما عُدَّت فاصلاً، لكن ذلك يفوِّت فائدةً يحسن التنبيه عليها، وهي إمكان أن تتعدّد الفواصل وتجوز. قال الصبان: والفصل في هذا البيت بالفاعل وبالجار والمجرور أيضًا، لكنهم اكتفوا بالتنبيه على الفصل بالأشرف، ويؤخذ منه جواز الفصل باثنين من المعمولات الأجنبية في الضرورة.[5]

- لم يذكر في ألفاظ التوكيد المعنوي (٣/٣٢٧) إلاّ سبعة ألفاظ، وترك (أجمع) وفروعَها، مع أنها قد يُؤتَى بهن مستقلاتٍ في التوكيد دون (كل)، وقد ورد شيءٌ من ذلك في القرآن، وقد أشار إلى ذلك هو في فصل خاص يأتي بعدُ، كما قد ترك (جميع) و (عامة) فلم يجعلهنّ ضمن السبعة، وإنْ ذكرهنّ في أثناء الباب، وقال عنهما: غريبان.

والأولى في اجتهادي ذكرُ الجميع في أول الباب والتسويةُ بينهن في ذلك؛ لأن حصر العدد قد يعني خروج ما زاد على ذلك، وبعض ما استغربه ابن هشام ولم يدخله في عدة الألفاظ قد ذكره سيبويه والنحويون القدامى, والذي يبدو لي بجلاء أنّ كل ألفاظ الباب: ما بدأ به وما استدركه، كلها اليوم سواء في التوكيد بهنّ، وفي ذلك توسعة في التعبير وزيادة في الحصيلة اللغوية. واعتذر لابن هشام حفيدُه أنه يرى أن التوكيد بهذه الأخيرة الأكثر أن يكون عند تقوية التوكيد، لا في أصله.[6]

- قال في التوكيد اللفظي: "وإن كان اسمًا ظاهرًا، أو ضميرًا منفصلاً منصوبًا فواضح" ومثّل لها. (٣/٣٣٦) والملحوظ أنه سكت عن المنفصل المرفوع، وأمّا حديثه الذي ولي ذلك مباشرة فهو عن توكيد المتصل بالمنفصل، وظاهره وأوّله كأنه حديث عن

---

[1] المحتسب ١/١٥٢

[2] شرح الكافية الشافية ٢/٩٩٠-٩٩١، شرح التسهيل ٣/٢٧٤، شرح العمدة ١/٤٩٤

[3] شرح الألفية ٤١١

[4] توضيح المقاصد ٢/٢٩٢

[5] حاشية الأشموني ٢/٢٧٧.

[6] حاشية الحفيد ٦٢/أ

المنفصل المرفوع بعد أن سلف حديث المنفصل المنصوب، وهذا إشكال آخر، ولست أعرف سبب إهماله؟ إن كان ظهورَه فالاسم الظاهر أظهر منه.

وأرى أنه يحسن به أن يجمع الثلاثة في حكم واحد تيسيرًا للقاعدة ووفاء بمسائلها، فكلها سواء في ذلك، فيقال: (أنت أنت كريم) و (ما فاز إلا أنت أنت) وبهذا تُحكَم القاعدة وتُنفى تفاصيلها. وقد قال اللقاني عن تقييد ابن هشام الضمير المنفصل بأنه المنصوب– قال عنه: الظاهر أنه لا مفهوم له؛ لأن المرفوع مثله.[1]

- حصَر ما توصف به (أيّ) باسم الإشارة وبما فيه (أل). (٣٥/٤) وهذا أيضًا صحيح ودقيق، وليته قال: وبالاسم الموصول الذي أوله (أل)؛ لأنّه قد يُذهَل عن (أل) التي في أوله؛ أو قد يرى أنّ (أل) التي في أوله ليست هي المعرفة، بل هي من أصل بنيته، ووافق لفظها لفظ (أل)، وهذا وجهٌ قوي، قاله بعض العلماء، فمنهم من يرى أنها فيه ليست هي المعرفة، بل لتحسين اللفظ،[2] وأيًّا كان الأمر فإن التوضيح أولى من الإجمال واحتمال الإيهام. والعلماءُ من شأنهم في هذا الموضع التصريح بالاسم الموصول.[3]

٨- **أن يزيد أمورًا في بعض المسائل:**

- عرّف العلمَ الجنسيَّ بأنه اسمٌ يعيّن مسمّاه بغير قيدٍ تعيينَ ذي الأداة الجنسية أو الحضورية. (١٣٢/١) ويرى حفيدُه أنه لا حاجة لزيادة: (أو الحضورية)؛ لأنّ (الحضورية) نوعٌ من أنواع (الجنسية)، ولأنه سيذكر بعدُ أن علم الجنس يُشبه المعنى في النكرة، والمعرَّفُ بـ(أل) الحضورية لا مشابهة بينه وبين النكرة.[4]

---

[1] انظر حاشية يس ١٢٨/٢، والنحو الوافي ٥٣١/٣.

[2] أسرار العربية ٣٧٩–٣٨٠، إملاء ما منّ به الرحمن٧/١ ، البسيط لابن أبي الربيع٣١١/١.

[3] كما في شرح التسهيل ٣٩٩/٣، وشرح عمدة الحافظ ٢٨١/١، توضيح المقاصد٢٩٧/٣، شرح الألفية لابن الناظم ٥٧٦ وغيرها).

[4] حاشية الحفيد ١٤/ب.

- لابن هشام الحفيد على تعريف جده للفاعل وشرح محترزاته (٨٣/٢) أربعة مآخذ، اثنان منها أنّه زاد قيودًا لا حاجة لها.١

- ذكر ابن هشام في شروط المفعول له أن يكون علة، وذلك ظاهر جدًا، حتى قال حفيده: إنه لا يصح جعل هذا شرطًا؛ لأنه معلوم جدًا، وعليه حقيقة الباب٢.

٩- مشكلات علمية في تحرير بعض المسائل:

وأعني بها تحقيقات علمية وأحكام وتقريرات في بعض المسائل رأى بعض الشراح أنها غير صحيحة، منها:

- حَكَم أنّ الإعراب تقديريٌّ في نحو: (فإمّا ترينّ) وفي نحو: (ولا تتبعان). (٣٨/١) وهذا غير دقيق، فإنّ الإعراب فيهما ظاهر، وهو حذف النون للجازم، نبّه على ذلك الأزهري الشارح ٣، وهو أيضًا من قبله عند حفيد ابن هشام وعند المكي،٤ وعدّه الفاكهي سهوًا من ابن هشام.٥

- سمّى (بنون) و(حَرّون) (سبق حديثٌ عنها في ضبط النصب) و(أرضون) و(سنون) وبابَه جموعَ تكسير (٥٢/١). وفي ذلك غير إشكال، والأولى فيما أرى ألاّ تسمّى بذلك؛ فليست من أوزان جموع التكسير المعروفة، بل الأولى أن تُسرد على أنها ألفاظ دالة على الجمع حُمِلتْ على جمع المذكر السالم للشبه الكبير بينها، وما أيسرَ الأمرَ لو قال: ويُلحق بجمع المذكر السالم ويُعرب إعرابَه كلُّ ما دلّ على جمع، وخُتم بالواو والنون أو الياء والنون، وهذا صادق على كل الألفاظ التي ذكرها من الألفاظ الملحقة بجمع المذكر السالم، والمسمّى به منها أمرُه ظاهر.

---

١ حاشية الحفيد ٣٢/أ.

٢ حاشية الحفيد ٤٢/ب.

٣ راجع التصريح ٢٠٥/١

٤ كما في شرحه: رفع الستور والأرائك ١٠/أ- ١٠/ب. وانظر: حاشية يس٥٦/١.

٥ شرح القطر ٨٢.

ومن العلماء مَن يرى في (بنون) خاصة أنها جمع سالم، لا تكسير؛ لأنّ رجوعها إلى أصلها: (بنوٌ) لا يعني تكسيرها.[1]

- ظاهر كلامه في الموضع السابق أنه عدّ (أبون) و(أخون) من جموع التكسير (٥٢/١). والظاهر لي أنها ليست كذلك، وأنها من الجمع السالم، وما جرى من تغييرٍ وحذفٍ لآخرها لا يختلف عن حذف آخر (الداعي) مثلاً التي يقال في جمعها: (الداعون)، وهي جمع سالم، رغم هذا الحذف الصرفي والتغيير الذي وقع في الآخِر.

- قال عن (سنون) وبابِه: "فإنّ هذا الجمع يطّرد...." (٥٢/١) وهذا مشكل؛ لأنه شاذ بنصّ الألفية، كما أنه مخالف لقوله قبلُ: "يُشترط في كل ما يُجمع هذا الجمع...." (٥١/١) وراجعْ كلامًا جيدًا ليس العليمي في حاشيته.[2]، ولمحقق التصريح في هذا الموضع.[3]

- ذكر من أسماء الجموع الملحقة بجمع المذكر السالم: (عالَمون). (٥٢/١)، ولم يبيّن وجهَ ذلك، وهو مشكلٌ قديمًا وحديثًا، وله وجهٌ كان يحسن ذكره، والأقرب أنه جمع (عالَم)؛ فهو جمع حقيقي، لا ملحق به، وعلى هذا كثير من العلماء، ومنهم شرّاح ل(الأوضح)[4] ولو أنه جعله كذلك لكان أيسر.

- أخذ حفيد ابن هشام على جدّه أنّ ظاهر عبارته أنّ سبب بناء الضمائر هو شبهها بالحروف شبهًا وضعيًّا، وقال: إنّ (نحن) لا تشبهها شبهًا وضعيّا، ويرى أن الأولى أن يقال: إنّ سبب بناء الضمائر هو شبهها بالحروف شبهًا معنويًّا. (حاشية الحفيد ٤ /أ.)

- عرَّف ناقلاً عن غيره الضمير المستتر وجوبًا بأنه ما لا يخلفه ظاهر ولا ضمير منفصل. (٨٧/١)، وعدَّ من ذلك (أفعل) في التفضيل. ويُستشكل عليه وعليهم حينئذٍ أنّ (أفعل) التفضيل قد يرفع الاسم الظاهر والضمير المنفصل.[5]

---

[1] حاشية يس ٧٢/١.

[2] ٧٣/١٢.

[3] (٢٤٢/١ ح: ٤)

[4] التصريح ٢٣٩/١.

[5] التصريح ٣١٩/١.

- عدَّ من الموصولات الحرفية (الذي). (١٣٧/١) وعَدُّها مشكل، فالأظهر أنها من الموصولات الاسمية، وهي أشهرها، وأمّا كونها من الحرفية فرأيٌ يُعزى للفارسي، وانتصر له ابن مالك في بعض كتبه، مع أنه في تعريفه للموصول الحرفي قد أخرجه[١] قال أبو حيان: والصحيح منعُه، وهو مذهب البصريين[٢]. وعزا المنعَ السيوطيُّ لجمهور النحويين[٣]، وأكثرُ النحويين في مصنفاتهم لا يذكرون (الذي) من الموصولات الحرفية. ونقل الأزهري عن الرضي أنه لا خلاف في اسمية (الذي) المصدرية، على القول: إنها تكون مصدرية، قال الأزهري: وصنيع الموضح – يعني ابنَ هشام – يأباه[٤]. واستشكل يس العليمي نقلا عن اللقاني كونَ (الذي) حرفًا، مع أنّ فيها (أل)، وهي بجميع أنواعها من خواص الاسم[٥].

- أطلق الحديثَ ثمّ قيّده في حذف العائد المجرور بالإضافة بأن يكون المضاف وصفًا غير ماض، نحو: (فاقض ما أنت قاض). (١٧٣/١) وأرى أن إطلاقه وتقييده كليهما غيرُ موفقين: أمّا التقييد بكونه غيرَ ماض فلم يفعله ابن مالك في النظم، وإنما أخذه بعضهم من مثاله، وأرى أنه لا معنى له، لأنه إنما أراد أن يكون منصوبًا تقديرًا، ولو كان ماضيًا فإنه لن يكون منصوبًا تقديرًا، بل سيكون مجرورًا، وهذا لا يحول دون حذفه؛ فإن المجرور يحذف أيضًا كما يحذف المنصوب، وفي (الأوضح) حديثٌ عن حذف العائد المجرور بالحرف، ومن العلماء مَن أطلقه إلا بشرط أن يكون معلومًا، ولم يَشترط غيرَ ذلك.

وأمّا إطلاق ابن هشام كونَه وصفًا فهو مشكل حقًّا، وعليه أكثر شراح الألفية والمؤلفين؛ وسبب إشكاله أنه سيشمل فيما يشمل اسمَ المفعول، والضميرُ المتصل به إن تأملتَ لا يكون في محل جرّ، بل يكون في محل نصب، في نحو: (يرضيني الذي أنا

---

١ شرح التسهيل١/١٨٨.

٢ الارتشاف ١/٥٢١.

٣ الهمع١/٢٨٥.

٤ التصريح ١/٤١٥.

٥ حاشيته على التصريح١/١٣٠.

معطاه)، وقد نصّ الأزهري على أنه لا يجوز نحو: (جاء الذي أنا مضروبه) قال: لأن الوصف اسم مفعول، وأن العائد ليس منصوباً تقديراً[1].

- عدّ ابن هشام في حديثه عن العلم بالغلبة من العبادلة ابن مسعود – رضي الله عنه– (١/١٨٤) قال المكي: وليس كذلك، وإنما رابع العبادلة عبدالله بن الزبير، نصّ على ذلك أئمة الحديث، قال: وقد يجاب عنه بأنّ كلامه فيما غلب على العبادلة، لا فيمن غلبت عليهم العبادلة[2].

- في ظاهر كلامه إشكال، حين قال: "ويجوز في (عسى) خاصة أن ترفع السببي، كقوله: وماذا عسى الحجاج يبلغ جهدُه...." (١/٣٠٨) وحقيقة الأمر أنّ الذي يرفع السببي – وهو (جهدُه)– ليس (عسى)، وإنما الفعل الواقع في خبرها، وهو في البيت: (يبلغ). ولذلك كان الأزهري أدقّ حين زاد في الشرح كلمة (خبر)، لتصبح: "ويجوز في خبر (عسى).... "[3]. ونحوه في شرح الشذور[4]، والهمع[5]، ويقول الأشموني الذي تُشابه ألفاظُه عادةً ألفاظَ ابن هشام: "وأمّا (عسى) فإنه يجوز في المضارع بعدها خاصة أن يرفع السببي"[6].

- في قوله تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ فسّر ابن هشام الفاعل بقوله: إذا بلغت الروحُ. (٢/٨٩) ولا إشكال في صحة كلامه وصواب مآله، ولكنّ الأدق أن يفسّر الفاعل بضمير مستتر تقديره: (هو)، يعود إلى (الروح) التي دل عليها الكلام والحال المشاهدة؛ ليكون ذلك موافقاً لما قرره قبلُ في القاعدة من قوله: "وإلاّ فهو ضمير مستتر"، ولما فسّر به أيضاً الحديث الذي سبق الآية، ليكون الجميع على سَنن واحد، وهو

---

١ التصريح١/٤٧٧، وانظر شرح القطر للفاكهي١/٢٢٤،، وخالف في ذلك الصبانُ١/١٧٢.

٢ رفع الستور والأرائك ٢٢/أ.

٣ التصريح ١/٦٨٤.

٤ ٣٤٧.

٥ ٢/١٣٤.

٦ ١/٢٦٤.

ما فعله الأزهري في تأويله1، وصرّح اللقاني ويس بأن ابن هشام خالف الأولى في التعبير وفي التقدير.2

- حكم بأنّه لا يقع الاشتغال بعد أدوات الشرط إلا في الشعر، وهذا مشكلٌ؛ لأنّه يخالف: (وأمّا ثمودَ فهديناهم) في قراءة النصب، و(أمّا) من أدوات الشرط.3

- في باب التعدي واللزوم وصف الفعلين: (نصحته) و(شكرته) بأنهما سماعيّان جائزان في الكلام المنثور (١٨٤/٢) واستشكله حفيده، وذكر أنه في شرح الشذور4 تبعًا لما في التسهيل5 ذكر أنّ هذين الفعلين ممّا يتعدّى تارة بنفسه وتارة بحرف الجرّ؛ فعلى هذا لا يكون منصوبًا مع عدم الحرف سماعيًّا، بل يكون قياسيًّا، فهو مخالف لما هنا.6

- عدَّ (الميل) و (الفرسخ) وأسماء المقادير –تبعاً للألفية– من الظروف المكانية المبهمة. (٢٣٧/٢) ولم يظهر لي بجلاء كيف تكون مبهمة، وهي الدالة على مقدار معين، وإنها لا ينطبق عليها الضابط الذي وضعه ابن هشام لبيان المبهمات، وهي أنها ما افتقرت إلى غيرها في بيان صورة مسماها. و(الميل) ونحوه من أسماء المقادير دالة على شيء محدد، ولا تحتاج لغيرها في بيان حقيقتها؛ ولذلك نقل الصبان عن بعض العلماء أنه يراها من قبيل المختصات لا المبهمات7، وهو رأيُ الشلوبين، وصحح بعضهم أنها شبيهة بالمبهم، وليست مبهمة.8 وأورد ابن هشام في كتاب آخر له القولين وصحّحهما.9

---

1 التصريح ٢٥١/٢، وانظر تعليق المحقق.

2 حاشية يس ٢٧٢/١.

3 حاشية يس على التصريح ٢٩٨/١ وعلى شرح القطر للفاكهي٨٦/٢، وفيه مزيد بحث وجواب.

4 ٣٥٦

5 ١٤٩/٢ سمّاه المتعدي بوجهين.

6 حاشية الحفيد ٣٩/أ

7 ١٢٩/٢.

8 الارتشاف٢٥١/٢، توضيح المقاصد ٩٣/٢.

9 شرح الشذور ٢٣٤.

- قال: إن الوصف الرابع من أوصاف الحال: أن تكون نفس صاحبها في المعنى. (٣٠٥/٢) وهذا لا يختلف عن الوصف الثاني من أوصاف الحال.

- وفي الفواصل التي تفصل بين المضاف والمضاف إليه أوردَ أنَّ الفاصل قد يكون مفعولاً، وشاهده: (تسقي امتياحًا ندى المسواكَ ريقتِها.....) وذلك حق وصواب، لكنّ الإشكال يأتي في تقدير البيت، إذ قدّره ابن هشام: (أي: تسقي ندى ريقتها المسواك). (٣ / ١٨٧) ومن قبله ابن مالك١، وكذلك ابنه٢ وغيرهما، وظاهره أنّ (ندى ريقتها) هو المفعول الأول؛ لأنه بدأ به، وأنّ (المسواك) هو المفعول الثاني، وعلى هذا تقدير الشارح الأزهري صراحةً وإعرابُه٣، وهذا خلاف الأولى؛ لأن من أحكام الفعل المتعدي لمفعولين، أن يكون الفاعل في المعنى هو المفعول الأول، كما تقول: (أسقيت الدابة ماءً) ف(الدابة) هي المفعول الأول؛ ولذلك فالأولى أن يكون (المسواك) هو المفعول الأول، لكنه تأخر، وعلى هذا إعراب الشيخ المحقق عبد الحميد.

والدنوشري يصرح بمخالفة تقدير الأزهري وظاهرِ صنيع ابن هشام للصواب. ومن العلماء مَن يعتذر للأزهري بأنه أراد الأول في اللفظ والذكر.٤ وكل هذا لا يعيب ابن هشام في أصل المسألة، فهو أطلق أن يكون الفاصل مفعولاً، و(المسواك) مفعولٌ حتمًا، إمّا أنه الأول، وهو الظاهر، أو الثاني في بعض التقديرات.

- جزَم غير مرةٍ أنّ المصدر الميمي اسمُ مصدرٍ، وليس مصدرًا. (٢٠١/٣، ٢٠٩)، وخالفه في ذلك حفيده، محتجًّا عليه بكلامٍ آخرَ له في كتابه (الشذور)،٥ وأرى أنّ الأولى أن يُعد مصدرًا، أليسوا يسمّونه مصدرًا، ولا وجه لأن يفسّر المصطلح بخلاف ما هو صريحٌ فيه، ثمّ إنه لمّا جاء إلى العمل، وهو المهمّ من شأنه، قال: إنه فيه كالمصدر اتفاقًا. (٢٠٩/٣) فلم يكن وجهٌ قويٌّ لإخراجه عنه في الاصطلاح.

- قال في الصيغة القياسية للتعجب (ما أفعله)، نحو: (ما أحسنَ زيدًا): "فأمّا (ما) فأجمعوا على اسميتها؛ لأن في (أحسن) ضميرًا يعود عليها، وأجمعوا على أنها مبتدأ..."

---

١ شرح الكافية الشافية٢/٩٨٩–٩٩٠، شرح التسهيل٣/٢٧٤.

٢ شرح الألفية ٤١٠

٣ التصريح ٣/٢٣٢.

٤ (حاشية يس ٢/٥٩).

٥ حاشية الحفيد ٥٥/ب. وانظر: شرح الشذور ٤١٠–٤١١.

(٢٥١/٣) وفي تقريره هذا موقفان للعلماء، أولهما: أنّ قوله (لأن في (أحسن) ضميرًا يعود عليها) قال عنه يس: فيه نظر؛ فإن الكوفيين الظاهر أنهم لا يقولون إن فيها ضميرًا.[1] والموقف الثاني: أن ابن هشام حكى الإجماع على كون (ما) مبتدأ، وكذلك فعل ابن مالك،[2] مع أنّ للكسائي رأيًا يخالف هذا الإجماع، فهو يرى أنها لا محل لها من الإعراب، وحكم أبوحيان على هذا الخلاف أنه خلاف شاذ.[3] وقال الأزهري عن رأي الكسائي: إنه شاذ لا يقدح في الإجماع. ويرى الشيخ عبدالحميد أنه لا يصح أن يقال عن الكسائي قريع سيبويه ونديدِه: إنّ خلافه لا يُعبأ به، وإنّه لا يحتاج إلى مثله في ادعاء الإجماع، ثم متى انعقد من النحاة الإجماع حتى يقال فيه ذلك.[4]

- قال عن التوكيد ب(النفس) و(العين): "وأمّا في التثنية فالأصحّ جمعهما على (أفعُل)، ويترجّح إفرادهما على تثنيتهما عند الناظم، وغيره بعكس ذلك". (٣٢٨/٣). ونقله الأخير غريب جدًّا[5]، حتى لقد قال عنه حفيده: إنه شيء لم يقل به أحد.[6] وقال الأزهري: "ولم أقف عليه؛ فهو نقل غريب، كيف وقد قيل: إنّ التثنية لم ترد إلا في الشعر.[7]

- قال ابن هشام عن وقوع عطف البيان في المعارف: إنه متفق عليه. (٣٤٦/٣) ولم يعجب ذلك شارح كتابه الشيخ عبدالحميد، ولم يُسلّم به، وقال: إن بعض العلماء يخصّه بالعلم دون سائر المعارف.

---

١ حاشية التصريح ٨٧/٢، وانظر: حاشية الشيخ عبدالحميد.

٢ شرح التسهيل٣ /٣١.

٣ الارتشاف٣ /٣٣.

٤ حاشية (الأوضح)

٥ وكذا في كتابه: (شرح اللمحة ٢/ ٢٣٤) وكذا في الأشموني ٣/ ٧٤.وذكر أبو حيّان أن ابن مالك وابنه وهِما في إجازتهما: (قام الزيدان نفساهما)، وقال: لم يذهب إلى ذلك أحد من النحويين. (الارتشاف ٢/ ٦٠٨، التذييل ٤/ ١٠٤ب، ونحوه في توضيح المقاصد ٣/ ١٥٩، والمساعد ٢/ ٣٨٥، وممّن أجاز التثنية ابن إياز، ونقله عنه المرادي (توضيح المقاصد ٣/ ١٦٠)

٦ حاشية الحفيد ٦٢أ.

٧ التصريح ٣/ ٥١٠.

ولا أرى في كلام ابن هشام مطعنًا، فإنه إنما أراد إثبات كونه في المعارف مطلقًا دون خوض في تفصيلها، وإنه يقابل دخولها المعارف بدخولها النكرات، وهذا الثاني من العلماء من ينكره، أما الأول فلا أحد ينكره، وإن اختلفوا في بعض أنواعه.

- أورد في البدل المباين تفصيلاً كثيرًا، يُشكل فيه تسميته أحد الأنواع بدل نسيان، وهو ما كان مقصودًا من أول الأمر، ثم تبيّن بعد ذكره فساد قصده. (٤٠٣/٣) ولا أدري كيف يُسمَّى في اللغة هذا نسيانًا، إنما النسيان هو عدم التنبّه لشيء والسهوُ عنه، أمّا ما أراده ابن هشام فهو الغلط عينُه، وهي تسمية متقدّمي النحويين الذين سبقوه، كالمبرد[1] والزجاجي[2] والسيرافي[3] وابن مالك[4]، وعلى هذا أكثر النحويين، وهو الحق فيما أرى، ولا وجه لانتقاد ابن هشام إياهم أنهم لم يفرقوا بين النوعين (٤٠٣/٣) بل إنه هو الأولى بالنقد حين فرّق بينهما.

- قال: إنّ نداء المختوم بتاء التأنيث مرخمًا أكثرُ من ندائه تامًّا، ثم أعقبَ: "لكن يشاركه في هذا مالك وعامر وحارث". (٦٦/٤-٦٨)[5]. أمّا الأول – وهو المختوم بالتاء– فمصداقه في كتاب سيبويه[6]، وشرح الجمل لابن عصفور[7]، وشرح الرضي[8]. وأمّا (مالك) و (عامر) و (حارث) فتصريح سيبويه: "وليس الحذف لشيء من هذه الأسماء ألزم منه لحارث ومالك وعامر".[9] ويُفهم منه أنها هي أكثر الأسماء ورودًا في الترخيم، لكن قد لا

---

١ في المقتضب ١٦٦/١، والكامل ٩٠٦/٢-٩٠٧.

٢ في الجمل ٢٣،

٣ في شرح الكتاب ١٠/٢ب

٤ في الألفية وعامة كتبه.

٥ ونحوه في الارتشاف ٣ / ١٥٧.

٦ ٢٤١/٢، ٢٥١

٧ ١٢٢/٢.

٨ ٤٧٦/١/١.

٩ الكتاب ٢٥١/٢.

يُفهم منه أنّ الأكثر فيها الترخيم.[1] ويؤيّد هذا أن أبا حيان نقل عن الكسائي والفراء أنهما لم يسمعا الترخيم إلا في هذه الثلاثة.[2]

ولم يذكر ابن عصفور (عامر) واقتصر على: (حارث) و (مالك)[3].

- علّل بناء (أمس) على الكسر في لغة الحجازيين بتقديره مضمَّنًا معنى اللام. (١٣٤/٤) ووجه النظر في هذا أنّ اللام لا معنى لها ظاهرًا في (أمس)، فالمعنى الأصلي للاّم هو الملك، ولا أجد لها وجهًا قريبًا أو بعيدًا في (الأمس)، ولو أنّه قال: معنى (في) لكان هو الظاهر، فإنّ (أمس) تفيد الظرفية، و(في) أصل فيها، وهذا ما استظهره الدنوشري في وجه بنائها،[4] أو أنه قال: الباء؛ فهي تدل على ذلك، والخليل يجعل التقدير:: (بالأمس)، ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفًا على اللسان.[5]

إلاّ أن يكون أراد باللام (أل) فهذا أقرب،[6] ؛ لأنّ المراد ب(أمس) شيءٌ يشبه المعرفة؛ فإنّ المراد بها اليوم الذي قبل يومك، ففيه معنى (أل)، ويشهد لهذا تقديرُ الخليل السابقُ.

لكن ابن هشام لم يصرّح بهذا، والناظر في كتابه لا يتبادر إلى ذهنه (أل) حين يسمع اللام، إنما ذلك للمتقدّمين، وقد رأيتَ الدنوشري ذهب إلى الجارة، ويرى أن الحرف هو (في)، وليس اللام.

* * *

---

١ وانظر كلام الشيخ عبدالحميد في حاشيته ٤ /٦٨.

٢ الارتشاف ٣ /١٥٧ وخالفهما.

٣ شرح الجمل ٢ /١٢٢.

٤ حاشية يس٢ /٢٢٦.

٥ الكتاب ٢ /١٦٢–١٦٣، وراجع الأشموني ٤ /٢٦٨.

٦ أشار إلى هذا بلمحة عابرة الأزهري، إذ زاد في الشرح: (المعرفة) (التصريح ٤ /٢٧٠) وانظر كلام العلماء في الأشباه والنظائر١ /٢٥٢.

الخاتمة

أظهرتْ لي هذه الدراسةُ وكشَفَ لي التدقيقُ في كتاب ابن هشام (أوضح المسالك) أنّه كتاب عظيم، كثيرُ النّفع، وافر الأحكام، ظاهر الإحكام، وإنْ كنتُ قد أحصيت فيه أمورًا ليست في جملتها بالكبار، وإنما هي أشياء أردت أن أنبّه عليها قارئي هذا الكتاب من الطلاب الذين يدرُسونه، ومن الأساتذة الذين يدرِّسونه.

وقد ظهر لي أن المشكلات في ضبط النص إنما هي في أكثرها والسواد الأعظم منها ليست من ابن هشام، وإنما من ناقلي كتابه، وتبيّن لي أنه لا يُستغنى عن شروحه، ووجدت من أنفعها وأحسنها شرح الشيخ خالد الأزهري (التصريح)، كما تبيّن لي التوافق الكبير بين نشرة الشيخ عبدالحميد والنسخة القديمة التي طبِع فيها متن (أوضح المسالك) دون شرح أو تعليق، كما تبيّن لي أنّ نشرة الشيخ محمد النجّار الذي سمّاه (ضياء السالك) أنه خيرٌ وأدق وأوضح من نشرة الشيخ عبدالحميد المشهورة.

وقد أحصيت مواضع قليلة جدًّا قد يُفهم منها اختلافُ قولِ ابن هشام في هذا الكتاب، وأمّا اختلافه مع كتبه الأخرى فذاك معتاد لا يُنكر مثلُه.

وسوى ذلك فهناك مشكلات تتعلق بأمور مألوفة في كل الكتب النحوية، كأن يلزم على ظاهر بعض أحكامه لوازم غير صحيحة، أو أن يكون في بعض المواضع ما يخفى، وهذان سبيلهما أن الشارح والأستاذ كفيلان أن يزيلاهما. وما هي إلا مواضع قليلة، وقد وجدتها ظاهرة لدى الشرَّاح رحمهم الله.

ولم يخلُ الكتاب من مواضع قال الشرَّاح إن فيها نقصًا أو زيادة، أو أمثلة أو شواهد ينقصها الدّقة، أو تحتاج إلى الوضوح، وبان لي أنها لا تختلف عن المعتاد في مثل هذه الشروح.

وأخيرًا أحصيت مواضع عديدة كان للشّرَّاح فيها مخالفات لابن هشام لم أجد منها ما يوصف منها بالشناعة، وإنما هي تقريرات خالفَت الأولى وجانبَت الأحسَن، لكنها قليلة جدًّا إذا ما قيست بهذا الكتاب الكبير الواسع.

ووصيّتي أنّ من أراد أن يصنع شيئًا في الكتب التعليمية أن ينطلق من هذا الكتاب أو من مثله، على أن يزيده توضيحًا وتمثيلا.

رحم الله ابن هشام رحمةً واسعة، وجزاه عنّا وعن المسلمين خير الجزاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

أهم المراجع

- الارتشاف، لأبي حيان، تحقيق مصطفى النماس، مطبعة المدني.
- أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد البيطار، مجمع اللغة دمشق. د. ت.
- الأشباه والنظائر، للسيوطي، ت: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ
- الأصول لابن السراج، تحقيق حسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ
- أمالي ابن الحاجب، تحقيق فخر قدارة، دار عمار، الأردن، ودار الجيل ١٤٠٩هـ.
- إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري، مطبعة البابي الحلبي ١٣٨٩هـ.
- الإيضاح العضدي لأبي علي، تحقيق حسن شاذلي فرهود، دار العلوم ١٤٠٨هـ
- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع، تحقيق: د. عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٤٠٧هـ.
- التذييل (شرح التسهيل لأبي حيان)مصور بجامعة الإمام، الأرقام: ٧٣٢١، ٧٣٢٣، ٧٣٢٤، ٧٣٢٦).
- التسهيل لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، ١٣٨٧م.
- التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، تحقيق: د. عبدالفتاح بحيري، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤١٨هـ ورجعت في مواضع معينة إلى الطبعة القديمة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني، تحقيق د. محمد المفدى، الطبعة الأولى
- توضيح المقاصد للمرادي، ت: عبدالرحمن سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية،ط٢.
- الجامع الصغير لابن هشام، تحقيق أحمد الهرميل، مكتبة الخانجي ١٤٠٠هـ
- الجمل في النحو للزجاجي، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ
- حاشية الحفيد على التوضيح، مصورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، برقم: ٩٢٣٨ف.
- حاشية الصبان (بحاشية شرح الألفية للأشموني).
- حاشية يس العليمي الحمصي على التصريح = التصريح

- حاشية يس على شرح القطر للفاكهي مطبوعة مع الشرح.
- الخصائص لابن جني، تحقيق:محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، دار الكتب المصرية.
- رفع الستور والأرائك عن مخبآت أوضح المسالك للإمام المكي، مصورة بمكتبة جامعة الإمام. رقم ١١١٢٦/ف.
- شرح الألفية لابن الناظم، تحقيق: عبدالحميد السيّد عبدالحميد، دار الجيل بيروت.
- شرح الألفية لابن عقيل بشرح محيي الدين عبدالحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت
- شرح الأشموني مع حاشية الصبان، دار إحياء الكتب العربية ١٣٣٦هـ
- شرح التسهيل لابن مالك، ت: عبدالرحمن السيّد ومحمد المختون،دار هجر، القاهرة.
- شرح الجمل لابن عصفور (الشرح الكبير) تحقيق صاحب أبو جناح د. ن د. ت.
- شرح الشذور لابن هشام، يشرح محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا.
- شرح القطر للفاكهي (مجيب الندا) ومعه حاشية يس عليه، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٩٠هـ
- شرح القطر لابن هشام بحاشية محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية صيدا ١٩٨٤م.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: عبدالمنعم هريدي، دار المأمون للتراث
- شرح الكافية للرضي، تحقيق: د. حسن الحفظي، ود. يحيى مصري، جامعة الإمام، ط١، ١٤١٧هـ
- شرح الكتاب للسيرافي، مصور بجامعة الإمام برقم١٠٢٩٦/ف، عن دار الكتب المصرية ١٣٧/نحو.
- شرح اللمحة البدرية لابن هشام، ت: هادي نهر، الجامعة المستنصرية،العراق ١٣٩٧هـ.
- شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت د. ت.
- شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، ت: د. تركي العتيبي، مكتبة الرشد ١٤١٣هـ
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك، ت: عدنان الدوري، مطبعة العاني بغداد
- الفوائد الضيائية في شرح الكافية، للجامي، تحقيق: أسامة الرفاعي، وزارة الثقافة، بغداد، ١٤٠٣هـ

- الكافية لابن الحاجب، تحقيق: طارق نجم عبدالله، مكتبة الوفاء، جدة، ١٤٠٦هـ
- الكامل للمبرد، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ
- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، عالم الكتب ١٤٠٣هـ
- المحرر في النحو، للهرمي، تحقيق: د. أمين سالم، مؤسسة العلياء، ط١، ١٤٣١هـ
- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات، جامعة الملك عبدالعزيز، دار الفكر ١٤٠٠هـ
- المغني لابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الشيخ: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الباز، مكة.
- المقتصد شرح الإيضاح للجرجاني، تحقيق كاظم المرجان،وزارة الثقافة بغداد ١٩٨٢م.
- المقتضب للمبرد، تحقيق الشيخ محمد عضيمة، لجنة إحياء التراث القاهرة ١٣٩٩هـ
- المقرب لابن عصفور، تحقيق: أحمد الجواري وعبدالله الجبوري، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط ٩.
- النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، لأبي حيان، ت:حسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ

* * *

VOLUME 30
November - 2013

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research